الأديرة المصرية المعاصرة

الأديرة المصرية العامرة

بقلم

القمص

صموئيل تاوضروس السرياني

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى ١٩٦٨

المطبعة التجارية الحديثة
٢٢ شارع ادريس راغب بالظاهر

قداسة البابا المعظم الأنبا كيرلس السادس

بطريرك الكرازة المرقسية والرئيس الأعلى للأديرة القبطية

+ الرقم العام : ٥١٩ .
+ الرقم الخاص : ٢٧٨ /
+ القسم : ١
مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)
باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد

إهداء الكتاب

إلى النجمين اللامعين اللذين اختفيا من الأجواء الامبراطورية الصاخبة ، ليشرقا فى سماء البرارى المصرية الصافية .

إلى الشابين الأبيين اللذين أبغضا المجد الباطل وتجملا بمبادىء المسيح فازدريا بولاية العهد ورفض أحدهما أن يكون أسقفاً لروما .

إلى الزاهدين العظيمين اللذين خلعا ثياب الملك القرمزية واستبدلاها بمسوح رهبانية ، لا عن كره واضطرار ، بل عن حب واختيار .

إلى صاحبى السمو الملكى الأمير مكسيم وشقيقه الأمير دوميس اللذين استشهدا بغير دماء حباً فى وجهه تعالى .

إليكما يا أبوى الكريمين أقدم كتابى الذى يدور حول « أديار الرهبنة » التى توجتما مقالها الافتتاحى بانتمائكما إليها منذ سبعة عشر قرناً ، ولى ملء الأمل أن يكون تقدمة مقبولة يصعد بخورها إلى مذبح كنيسة الأبكار فيصل إليكما وأنتما تتناوبان الصلاة والشفاعة تحت قبابها الطاهرة من أجل رفاقكم المناضلين الذين لم يكتمل جهادهم بعد ؟

القمص صموئيل تاوضروس السريانى

الصحراء الشرقية والحياة الرهبانية

هى الهضبة الصخرية الكبيرة الممتدة من مدينة الاسماعيلية شمالا إلى الحدود السودانية جنوباً ، فى رقعة عريضة بين ضفاف النيل الشرقية والشواطىء الغربية للبحر الأحمر .

ويتكون سطح المنطقة الممتدة من السويس إلى نهاية محافظة قنا من الحجر الجيرى، وما يليها جنوباً من الحجر الرملى النوبى ، بينما يوجد شمالى حافة الهضبة التى يخترقها طريق مصر — السويس الصحراوى أراضى واسعة تتميز بطبقة من الحصى والزلط المتراكم على السطح ، والذى يرجع تاريخه الجيولوجى إلى حقب أحدث من تاريخ الحجر الجيرى الذى يميز الهضبة (١).

وبهذه الصحراء جبال شاهقة العلو منها الجيرى فى الشمال كجبل عتاقة الذى يشرف على مدينة السويس فى منظر سحرى جميل ، وجبل المقطم الذى تربض فى سفحه مصر والقاهرة وجبال الجلالة البحرية والقبلية قرب ديرى انطونيوس وبولس .

ثم جبل الزيت وجبل الدخان وجبل حماده فى الجنوب ، ومعظمها من الأحجار النارية والمتحولة كالجرانيت والجنيس والشست والاردواز والرخام ، ويبلغ ارتفاع بعضها أكثر من ألفى متر .

الماء فى البرية

لا يوجد حالياً بهذه المناطق الجبلية القاحلة مياه جارية أو جداول صغيرة ولكن بها أودية يرجع عهدها إلى عصور مطيرة كانت فيها أنهاراً جارية فى بعض فصول السنة إن لم يكن على مدارها .

---

(١) صحارى مصر للدكتور عبد الحليم منتصر ومحمد عبد الفتاح القصاص .

وما زالت هذه الأودية التى يخالها الناظر أنهاراً جافة لها كل صفاتها الشكلية من فروع وروافد ، قائمة إلى اليوم فى قلب الصحراء منها وادى دجلة الذى كان يصب عند المعادى ووادى حوف شمالى حلوان والرشراش على مقربة من الصف، ووديان أخرى صغيرة كان بعضها يصب عند الجبل الأحمر والخانكة ، والآخر فى بلاد محافظة الشرقية .

الرهبنة فى صحراء العرب

قاست مصر فى عهد الاحتلال الرومانى كثيراً من أنواع المظالم الدنيئة والتفرقة المذهبية البغيضة . فكان ولاتها يعملون على توسيع شقة الخلاف بين الوثنيين ومواطنيهم من النصارى فمنحوا الحقوق الكاملة والامتيازات الرفيعة لمن يدينون بدين الدولة ويسجدون لأصنامها الوضيعة، كما جعلوا المناصب الرئيسية قاصرة عليهم فى الجيش والإدارة ، بينما كانوا يضيقون على المسيحيين فى عباداتهم ، ويغلقون سبل العيش فى وجوههم ، ويرهقونهم بالضرائب الفادحة ، ويعتبرون دينهم جريمة يعاقب عليها القانون ، ويقدمونهم للمحاكمة لأية تهمة حتى ولو كانت باطلة . لهذا سئم المؤمنون الحياة بين عبدة القياصرة ، وعافت أنفسهم مناظر الفجور والخلاعة التى كانت تجرى بين هياكل الزهرة ، وتحت قباب باخوس إله المسكرات ، وانطلقوا إلى البرارى يطلبون الخلاص لنفوسهم وينشدون حياة أفضل !

وأول من لجأ إلى البرية من النصارى هو القديس بولس الأسكندرى ٢٢٨-٣٤٣م الذى اختار الصحراء الشرقية لبعدها عن الحاكم الفاسق ، وتوغل فى أعماقها حتى أرشدته العناية الإلهية إلى مغارة طبيعية على مقربة من نبع صغير عاش فيها تسعين عاماً لم يزد طعامه فى أثنائها عن كسرة من الخبز كان يلتقطها يومياً من غراب أعده الله لذلك. وبعد حياة كريمة كهذه انتقل إلى دار المجد فى الثانى من أمشير سنة ٣٤٣ م وهو عيد نياحته فى الكنيسة القبطية .

كما تعبد أيضاً فى هذه المنطقة النائية القديس أنطونيوس العظيم ٢٥١ - ٣٦٥ م

فدخل اليها من جهة الميمون ، وأقام فى مكان على الضفة الشرقية من النيل ، ثم انتقل منه إلى مكان بعيد فأبعد حتى انتهى إلى كهف جعل منه مسكناً أقام به إلى أن دعاه الرب إلى جواره فى اليوم الثانى والعشرين من شهر طوبة سنة ٣٦٥ م .

ويعتبر مار أنطونيوس المؤسس الأول للرهبنة كفكرة فلسفية فى مصر خاصة، وفى العالم المسيحى عامة، فقد أنشأ فى حياته بعد ديره الرئيسى أديرة أخرى فى ممفيس وبابل وأفروديت ، كان يشرف عليها بنفسه ، وامتدت مؤسساته إلى أعالى الصعيد فشيد بالقرب من طيبة دير « بسبار » الذى ترهب فيه القديس بفنوتيوس تلميذه المجاهد العجيب (١) .

ومع أننا لم نعرف فى البرية الشرقية غير ديرى القديس أنطونيوس والأنبا بولا المعروفين إلى هذا اليوم ، إلا أن الباحثين فى هذه المنطقة عثروا على أنقاض ثلاثة أديرة أخرى هى دير بخيت ! ودير بردع ، ودير يوحنا الدرجى الذى لا تزال خرائبه على مقربة من فنار أبو الدرج .

وقد أشار إلى هذه الآثار الرهبانية المسيو جرانجر فى كتابه « رحلة فى مصر » ص ١٠٦ وعلى باشا مبارك فى الخطط التوفيقية ج ١٢ ص٧٥ والقمص عبد المسيح المسعودى فى كتابه تحفة السائلين ص ١٦٤

والواقع أننا لا نعرف بين آباء الرهبنة أحداً باسم بخيت !

وقد يكون بردع نسبة إلى القديس يعقوب البرادعى ٥٧٨ + مطران الكنيسة الأرثوذكسية العام وملفانها الذى لا يبارى . أما يوحنا الدرجى فقد كان فلسطينياً خلكيدونياً ترهب فى سيناء وصار رئيساً لدير القديسة كاترين وتوفى سنة ٦٤٩ م بعد أن وضع كتابه المعروف بسلم الفضائل الذى شغف رهبان القبط بقراءته كما هاموا أيضاً بنسكيات مار اسحق أسقف نينوى ومقالات يوحنا دليانا المعروف بالشيخ الروحانى وكلاهما نسطورى أصيل !

---

(١) تاريخ الكنيسة القبطية ص ٩٧ ، ١٠٤

وقد وجدت بعض الأديرة فى مصر السفلى التى لم يكن أنطونيوس مؤسساً لها ، وإنما كانت تنسب اليه ، وتسلك غالباً بموجب المبادىء التى وضعها . عرف منها دير رومانوس أو قيسون الذى تنيح به القديس يعقوب البرادعى على حدود مصر الشرقية ، ودير السيدة مريم قرب تانيس ، ودير الشهيدة دميانة بالبرارى ، ودير المغطس قرب بحيرة البرلس ، ودير العسكر أو الرسل على مقربة منه ، ودير الميمنة فى منطقة السباخ أو برارى بلقاس الحالية ، ودير أباهور بسرياقوس ، ودير السيدة العذراء بأتريب . وقد أشار إلى هذه الأديرة الشيخ أبو المكارم فى كتابه « الأديرة والكنائس » ، وعنه أخذ الشيخ تقى الدين المقريزى فى الجزء الرابع من خططه، وعلى ضوء ما تركاه من وثائق تاريخية كتب القمص عبد المسيح المسعودى موجزاً عن هذه الأديرة شغلت قسماً كبيراً من كتابه « تحفة السائلين » .

وقد اندثرت كل الأديرة التى أسسها مار أنطونيوس ، أو كانت تحت إشرافه فى أماكن مختلفة من القطر ، ولم يبق فى البرية الشرقية سوى ديره الأول ، ودير الأنبا بولا .

البدو فى البرارى الشرقية

يفهم من سيرة القديس أنطونيوس أن البدو كانوا يسكنون فى صحارى مصر الشرقية قبل ظهور الاسلام بأكثر من ثلاثة قرون ، وأن البار استعان بهم فى معرفة مجاهلها فتوغلوا به من شواطىء النيل إلى أعماق البرية الداخلية حيث يقوم ديره الحالى ، كما كانوا يحضرون اليه الخبز اللازم لمعيشته « تحفة السائلين » ص ٢٣

وفى الوقت الحاضر يسكن صحراء العرب عدد وافر من البدو الرحل ينتسبون إلى قبائل شهيرة جاءت مصر وقت الفتح الإسلامى وبعده مثل عرب المعازه الذين يضربون خيامهم بين جبال الجلالة والغردقة ، والعبابدة ويسكنون جنوبى أرض المعازة ، والبشارية وهم فى جبال أسوان ومشارف السودان الشمالية .

ويعيش الاعراب فى هذه المناطق على تربية الإبل وبعض أنواع الماشية وزراعة

مناطق صغيرة من الشعير تروى بمياه الأمطار التى تنزل فى مواسم معروفة وتنقلب أحياناً إلى سيول جارفة تهلك الحرث والنسل فى آن واحد .

ومن البدو من يحترف الصيد والقنص حيث توجد فى هذه الصحارى قطعان كبيرة من الغزلان والماعز البرى المعروف بالبدن ، والوبر والأرانب والقطط الوحشية ، وأنواع مختلفة من الثعالب والذئاب والضباع ، وهم ذو مهارة فى صيدها وحذق فى تتبع آثار أقدامها والتعرف على جميع أنواعها .

ويشرب سكان البرارى من المياه التى تتخلف فى التجاويف الصخرية بعد الأمطار والسيول ، أو من العيون المتفجرة التى توجد فى بعض المواضع كعين العريضة وعين الدرجى وعين بخيت وعيون بردع العذبة وعين السمار .

هذا وقد عمد أشرار البدو فى القرون الأخيرة على سلب الرهبان ونهب أمتعتهم ورشقهم بالحجارة والألفاظ النابية من فوق المرتفعات التى تعلو أسوارهم لا سيما إذا دق المارة منهم ناقوس الباب وتأخر الرهبان فى إسعافهم بالخبز والماء ولو لظروف قاهرة .

وقد ظل الأمر على هذه الحالة المؤلمة حتى جلس على كرسى الحبرية البابا كيرلس الرابع فرفع إلى الجهات المختصة كتابا ضمنه شكواه من العربان وعدّد فيه اعتداءاتهم على الأماكن المقدسة وساكنيها ، فاهتمت الحكومة بمظلمة البطريرك ، ودعت إلى عقد مؤتمر يجمع بينه وبين رؤساء القبائل على أن يحضره البعض من رجال الدولة ، وفى اليوم المحدد لذلك وقف البابا وسرد على مسامع الحاضرين حوادث البدو ، وما يقومون به من استفزازات خطيرة على التوالى . وبعد مناقشات طويلة وحادة أخذت الحكومة بوجهة نظر البطريرك وقضت بإدانة شيوخ العشائر ، وألا يقترب أتباعهم من الأسوار بعد مغيب الشمس ، وأن الرهبان غير مكلفين بإطعامهم ليلا .

ومن ثم أخلد العربان إلى الهدوء والسكينة ، وصاروا يعملون فى خدمة الدير ، وحراسة قوافله بكل إخلاص وأمانة إلى هذا اليوم .

الرحالة الأجانب والصحراء الشرقية

إن الحياة المسيحية الكريمة التى عاشها مار أنطونيوس وما أتاه من جلائل الفضائل الرهبانية جعلت الكثير من الأجانب يخاطرون بحياتهم فى اجتياز الصحراء ويسلكون طرقاً محفوفة بالأتعاب والمخاطر ليشهدوا منسكه المقدس ويروا بأنفسهم كيف عاش البار بين هذه القفار الموحشة مع تلاميذه الأتقياء كما جاء نفر منهم ليحصلوا على بعض الأسفار النفيسة التى طارت بشهرة الأديرة منذ أزمنة بعيدة .

وأول من وصل إلى أديرة البرية الشرقية ابتداء من القرن السابع عشر هو كوبان الذى زار دير أنطونيوس مع جماعة من الأوروبيين سنة ١٦٤٠م وترك وصفاً دقيقاً لطريق القواقل وبعض أجزاء الدير المذكور .

ثم وفد من بعده على البلاد سنة ١٦٧٠ الراهب فانسليب الدومنيكى فكتب عن ديرى أنطونيوس وبولا وبعض المرافق الطائفية الأخرى .

وفى سنة ١٧١٦ زار مصر وأديرتها الشرقية والعربية الأب سيكار وبرفقته المونسنيور يوسف السمعانى أمين مكتبة الفاتيكان ، وكتب وصفاً مسهباً لدير مار أنطونيوس ، وموجزاً عن دير الأنبا بولا ، ونعت الرهبان فى كلا الديرين بما يتفق وطباعه الخلكيدونية الحاقدة .

وجاء فى كتاب جرانجر الذى وضعه بعنوان «رحلة فى مصر» حديث مختصر عن الديرين لا يروى غليلا . ولم يزد عنه سافارى فى وصف الديرين شيئاً يذكر .

وفى سنة ١٨١١ وصل كاترمير المستشرق الفرنسى وأمين مكتبة المخطوطات الشرقية فى باريس إلى جبال الجلالة واهتم بتعيين المواقع الجغرافية الواردة فى السير الرهبانية ولم يتعرض للديرين إلا فى عبارات مقتضبة وخاطفة .

وفى سنة ١٨٣٤ قام دوق دى راجوس برحلة استكشافية على شواطىء البحر الأحمر فزار دير الأنبا بولا ، ولم يستطع الذهاب إلى دير مار أنطونيوس ، وكتب عن أصل العرب وعاداتهم ولم يتكلم عن الدير إلا قليلا .

ويعتبر شوينفرت الألمانى مؤسس الجمعية الجغرافية الملكية الذى زار الصحراء الشرقية سنة ١٨٧٦ أحسن من كتب من الرحالة الأجانب عن صحراء العرب وأديرتها .

ويأتى بعده فى الأهمية الأب جوليان الذى قصد البرية فى زمرة من رفاقه سنة ١٨٨٤ ووضع فى مذكراته وصفاً دقيقاً لدير الأنبا بولا .

كما جذبت محاسن قفار الرهبنة المصرية السيد شستر سنة ١٨٨٧ فوضع كتاباً عن « الأديرة القبطية » فى وادى النطرون والجبل الشرقى ، وذكر أنباء المذبحة التى قام بها عربان الصعيد فى الديرين نقلا عن قصص متداولة بين الرهبان .

وكان آخر من زار « الديرين » من الرحالة العالميين هو كوجر دان سنة ١٩٠١ الذى استرسل فى وصف الطريق ، وعندما أخذ يتحدث عن الأديرة لم يكن موفقاً فى بعض القضايا فنسب تعمير الديرين بعد خرابهما إلى البابا غبريال السادس ١٤٦٦ — ١٤٧٤ م والمعروف أن الديرين تخربا سنة ١٤٨٤ ، وقام بتعميرهما البابا غبريال السابع الذى تولى البطريركية سنة ١٥٢٥ م .

وها نحن الآن على ضوء المؤلفات القبطية والعربية والأجنبية نقدم للقراء كل ما استطعنا جمعه من معلومات مختلفة عن ديرى مار أنطونيوس أب رهبان العالم ، والأنبا بولا السائح الأول فى كنيسة المسيح .

دير مار انطونيوس

هو بكر المناسك القبطية الذى فيه تشكلت أول هيئة رهبانية ،ورأس أديرة العالم المسيحى فى دوائر الوجود .

وقد أسسه القديس انطونيوس فى جبل العربة بالصحراء الشرقية على مسيرة أربعة أيام من شاطىء النيل تجاه مدينة بنى سويف .

ويقال الدير « موناستيريون» μοναστηριον وهى كلمة يونانية أطلقت منذ أوائل القرن الرابع على كل مؤسسة رهبانية قائمة بذاتها فى قلب الصحراء . ولما تجمع الرهبان داخل الأسوار وبدأوا يعيشون معاً على النظم الاشتراكية التى وضعها أعلام الرهبنة الأوائل أمثال القديس باخوميوس وغيره استعملوا للتعبير عن الدير كلمة « كنوبيون » κοινοβιον وهى أيضاً يونانية الأصل وتعنى عيشة اشتراكية إلا أن الكلمة الأولى أشهر من الأخيرة وبها أخذت الليتورجيات القبطية ومعظم اللغات الغربية .

وعندما انتشرت العربية فى بلاد الشرق المسيحى ترجمت موناستيريون إلى دير وهى الكلمة التى أطلقها مسيحيو العرب على مؤسساتهم النسكية التى عرفت بينهم قبل ظهور الإسلام فى نجران وشمالى الجزيرة والعراق .

ويقول ابن سيده، الدير: خان النصارى والجمع أديار وصاحبه ديّار وديرانى، ويرى المقريزى أن الدير عند النصارى ، يختص بالنساك المقيمين به والكنيسة مجتمع عامتهم للصلاة .

وكان ساكن البرية سواء كان يعيش متوحداً أو مع الجماعة داخل الأسوار يسمى فى القبطية واليونانية « موناخوس » وهى الكلمة التى ترجمت براهب فى اللغة العربية وجمعها رهبان . وقد تأتى رهبان للدلالة على المفرد وتجمع رهابين كسلطان وسلاطين . ويقال أيضاً للراهب الأبيل وتجمع آبال وأبُل والأبيلى والأيبلى لغة فيها .

ترجمة حياة القديس أنطونيوس

القديس العظيم الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان

* * *

« يجب ألا تتعجبوا من كتاب الملك لى ، فهو رجل يكتب إلى رجل آخر ، ولكن تعجبوا من أن الله قد خاطبنا بابنه الوحيد »

« أنطونيوس »

بزغ نور هـــذا الكوكب العظيم سنة ٢٥١ م فولد من أبوين مسيحيين أسمياه « انطونيوس » وهى كلمة لاتينية ترجمتها عوض وقد تأتى انطونيو ، وانطوان ، وانطون ، وانطونى ، وانطونه ، وانطونين وكلها تفيد المعنى الأول .

وقد كانت ولادته فى بلدة قمن من أعمال مركز الواسطى التى سميت بقمن العروس منذ أوائل القرن العاشر الهجرى وأشار إليها ياقوت الحموى فى معجم البلدان ، وابن مماتى فى قوانين الدولة ، واميلينو فى جغرافيته وهى لا تزال عامرة إلى يومنا هذا .

وعلى الرغم من الثراء الذى كان ينعم به والد القديس إلا أنه لم يلحق ابنه الوحيد بأية مدرسة من المدارس الخاصة أو العـامة ، مدنيـــة كانت أو دينية ، بل تولى بنفسه الإشراف على تهذيبه وتثقيفه بالطريقة التى يراها فتربى الفتى تحت أقدام والديه اللذين جعلا من منزلهما المثـالى مدرسة وكنيسة فى آن واحد . فشب الفتى متضلعاً فى معرفة الكتب ومتمكنا من لغته القومية كما هو واضح من الرسـائل التى تركها .

وقبل أن يبلغ انطونيوس الثامنة عشرة مات والداه وتركاه وحيداً ليس له من عائل أو معز سوى الله وشقيقته الصغرى التى كان دائماً يغمرها بحنانه وعطفه لاسيما بعد أن فقدت أبويها .

وقد عرف البار منذ حداثته بميوله الدينية فكان يكثر من التردد على الكنائس وسماع القداس والعظات ، وذات مرة سمع الكاهن وهو فى البيعة مع جمهور المؤمنين يردد قول السيد المسيح للشاب الغنى « إن أردت أن تكون كاملا ، اذهب بع كل مالك واعطه للفقراء وتعال اتبعنى » (مت ١٩ : ١١) . فتأثر من هذه العبارة القوية التى استقرت فى أعماق قلبه ولاقت من نفسه قبولا ، لاسيما أنه كان دائم التفكير فى حياة الرسل وتضحياتهم وكيف كان المؤمنون الأوائل يبيعون ممتلكاتهم عن طيب خاطر ويقدمون أثمانها للكنيسة التى كانت تنفق منها على الفقراء والمعوزين كل حسب احتياجه . وأمام هذه العوامل الروحية التى تسلطت على مار انطونيوس حتى ملأت عواطفه وقلبه لم يجد بداً من إجابة الصوت الإلهى الذى كان يناديه من حين لآخر فشرع فى تصفية أمواله على الفقراء والمرافق الخيرية بعد أن احتفظ لأخته بحصتها . ولما فرغ من عرض الحياة الزائل ودع حياته الأولى وانصرف إلى مكان بالقرب من شاطىء النيل فى الموضع الذى يعرف الآن بدير الميمون وانفرد هناك للعبادة وأخذ يجد فى اقتناء الفضائل وما يليق بالنساك من عفة وصبر وصمت وثبات .

وجاء فى بستان الرهبان أنه لما مات والد القديس ودخل انطونيوس عليه ورآه جثة هامدة وقد ظهرت عليه علامات الإنحلال ، ارتاع من هذا المنظر وأخذ يتأمل مصير العالم وزواله فى شخص أبيه الذى كان بالأمس يكد ويشقى ويحرص على حطام الدنيا . وها هو الآن لا يحس بمجد ولا يشعر بهوان وذهب دون أن ينتفع بشىء من مقتنياته الباطلة ، فالتفت إليه وهو مسجى فى فراشه وقال : « إن كنت قد خرجت بغير اختيارك فلا أعجبن من ذلك ، بل أعجب من نفسى إن عملت كعملك » ثم خرج هائماً على وجهه حتى وصل إلى النهر فعبره إلى الضفة الشرقية وهناك وجد جميزة كبيرة وبجانبها بربا فسكن بها زمناً ثم انصرف أخيراً إلى البرية الجوانية وأقام متوحداً فى جبل العربة .

ولما فاح أريج نسكه حسده الشيطان وأخذ يضع أمامه العراقيل المختلفة ويزعجه بالمناظر المخيفة ، إلا أن القديس لم يتراجع عن مبادئه بل اتخذ من اسم الرب برجا حصيناً وقاوم خصمه بالصبر والصلاة . وبعد جهاد عنيف أسفرت المعركة عن فوز انطونيوس وسقوط خصمه كالبرق من السماء . ومن ثم انتشرت أخباره وسمع الناس بسيرته العجيبة فاقبلوا عليه من مختلف الجهات . فلم يمض زمن طويل حتى امتلأت جبال الجلالة بتلاميذه الأفاضل الذين أحبوا مجد الله أكثر من مجد أنفسهم ، وسكنوا فى المغائر وشقوق الأرض فى الوقت الذى لم يكن العالم مستحقاً لهم .

القديس يتوق للشهادة

وفى عهد مكسيميانوس قيصر الذى اشتدت وطأته على المسيحيين بعد أن تنازل له دقلديانوس عن الحكم سنة ٣٠٥م اشتهى القديس أن يسفك دماءه حباً فى المسيح. فمضى إلى مدينة الاسكندرية واعترف علانية باسم الرب يسوع ولكن لم يقرب منه أحد ! وإذ رأى أن الوالى ورجاله قد تغاضوا عنه كرجل مسيحى أخذ يستفزهم بطرق مختلفة فكان يزور المسجونين ويشجعهم على التمسك بايمانهم. وبلغت به الجرأة أنه كان يقاوم مراسيم القيصر عياناً ويكشف عن شرور الدولة الرومانية فى الطرق والمحافل ، كما كان يرافق المقبوض عليهم من المسيحيين إلى المحاكم والسجون وهناك يتولى الدفاع عنهم بنفسه مبيناً مساوىء القياصرة ومشجعاً الشهداء على احتمال الشدائد . وعندما هدأت العاصفة عاد إلى ديره وهو يندب حظه العاثر لأنه لم يظفر بشرف الشهادة !

انطونيوس بين الدولة والكنيسة

كان هذا البار موضع تقدير واحترام رجال الحكومة المسيحية التى قامت على أنقاض العهد الوثنى البائد وعلى رأسها الامبراطور قسطنطين الذى عندما سمع بصاحب

الترجمة وما يقال عن برّه وفضله كتب إليه يمدحه ويسأله الصلاة من أجله . أما هو فلم يغتر بنفسه ويفرح بشهرته التى اقتحمت أبواب الملوك ، بل تغاضى عن الرسالة وكاد أن يهملها لئلا تسبب له نوعا من متاعب الخيلاء . وأخيراً قبل برجاء من الإخوة وتحت إلحاحهم المتواصل أن يكتب للعاهل الكبير يشكره ويعزيه ويبارك عليه من أجل حبه للكنيسة ورفع المظالم عن المؤمنين فى كل البلاد الخاضعة لسلطانه.

كما كان هذا العابد الجليل محبوباً جداً من البابا اثناسيوس الرسولى الذى كان يرتبط به ارتباطاً روحياً وثيقاً ، وقد لمس اخلاصه وغيرته عندما وقف بجانبه فى كفاحه ضد الاريوسيين . وعند اعتقال البطريرك ونفيه كتب انطونيوس إلى قسطنطين يحتج على تصرفاته ضد هذا البابا الذى يتولى بحق وجدارة قيادة الفئة الأمينة ليس فى مدينة الاسكندرية فحسب بل فى كل العالم المسيحى .

وحينما أشاع الهراطقة - لعلة فى نفوسهم - أن انطونيوس رئيس الرهبان يؤيد آراءهم المضلة ذهب إلى الاسكندرية للمرة الثانية وهناك أعلن عن عقيدته الأرثوذكسية بلسانه وقلبه، كما ناشد مستقيمى الرأى محذراً إياهم من مخالطة الهراطقة ومبيناً لهم سفاهة القائلين بعدم أزلية الإبن الذى هو بهاء مجد الآب ورسم جوهره .

وقد ترك دفاع انطونيوس عن العقيدة السليمة وتجنده مع رهبانه لخدمة الكنيسة أثراً حسناً فى قلب أثناسيوس فتولى بنفسه تدوين سيرته الطاهرة وعمل على نشرها فى إيطاليا وفرنسا أثناء وجوده هناك ولم يقف البابا الاسكندرى عند هذا الحد ، بل أخلص لجميع الرهبان وأحبهم فى شخص انطونيوس، ولاقتناعه بمقدرتهم على أعمال الرعاية دعا بعضهم لخدمة الكنيسة برتبة الأسقفية وفى مقدمتهم الأنبا سرابيون أسقف تمّى الاماديد الذى سافر إلى القسطنطينية سنة ٣٥٣م ليدافع عن رئيسه أمام القيصر قسطنس . والأنبا ميلاس أسقف رينوكولورا «العريش» الذى احتمل النفى والمشقة من فالنص الاريوسى فى سبيل التمسك بمبادئه الأرثوذكسية.

هذا وكانت الكنيسة قد سبقت واختارت القديس بفنوتيوس أحد تلاميذ

أنطونيوس الأوائل لأسقفية طيبة ، وهو الذى مثل كنيسته مع البابا اسكندر فى المجمع المسكونى الأول سنة ٣٢٥ م . ومنذ ذلك الحين درجت البيعة على انتخاب أساقفتها من بين الرهبان .

مبادىء القديس انطونيوس

يفهم مما كتبه البابا أثناسيوس عن هذا البار أنه كان يجمع بين أحسن الفضائل التى عرفت عن النساك السابقين ، ويتخذ منها طريقاً لنفسه ، وأن آراءه وأعماله لم تخرج عن وصايا الله المكتوبة فى الأسفار المقدسة . كما استطاع أخيراً أن يميز بين النافع والضار فى الوسائل النسكية التى سلكها . لهذا كان تعليمه صائباً ومقبولا فلم يتذمر أحد من قوانينه التى وضعها .

ويلوح لنا من سيرته الشهية أن القديس لم يكن متزمتاً فى أفكاره بل كان واسع الأفق وخاصة فى حل مشاكل الآخرين ، كما لم يكن أنانياً يتراجع عن إسعاف مواطنيه متى دعت الحاجة ، فلم يجعل من البرية سجناً يحبس فيه ذاته ولكنه أوجد من القفر مكاناً هادئاً مريحاً يمتلىء فيه من مواهب الروح ويستعد لمواجهة الخدمة التى أوجبتها الضرورة الملحة . وإذ شعر بتكامل النعمة المتفاضلة اندفع برجاله الذين كمل نضجهم نحو حقول الكنيسة المبيضة وأخذوا يقاومون الوثنية ويعارضون الآرية ويشددون الأيادى المسترخية والركب المخلعة . وأحياناً كانوا يروح من التضحية العالية يكافحون الأوبئة ويحاربون المظالم فبارك الرب صنيعهم وكلل أعمالهم بالفلاح ، وجعل منهم صوراً حية للخدمة الصالحة النبيلة على مـــدى الأجيال المتعاقبة .

تلاميذ الأنبا انطونيوس

تتلمذ لهذا الناسك المثالى كثيرون من أتقياء الآنام الذين أعرضوا عن عرض الحياة الزائل . وباتوا يتوقعون ظهور المسيح المبارك . اشتهر من بينهم بفنوتيوس وامونيوس وسرابيون وميلاس وبولس البسيط ومكاريوس المصرى ومكاريوس

الاسكندرى وأوجين القلزمى ، وإيلاريون الفلسطينى . كما عاصره واهتدى بهديه دون أن يراه اللونيوس وأغابيوس السوريان وباخوميوس أب الشركة وبيشوى حبيب مخلصنا الصالح وغيرهم من قادة الرهبنة الأفاضل .

كما كان انطونيوس سبباً رئيسياً فى شهرة البرارى المصرية من شرقية وغربية . فتوافد على زيارتها كثيرون من الأجانب على ممر الأجيال ليروا بأنفسهم تلك النهضة الروحية التى جعلت من القفر أبراجا للنسك وحصوناً للطهر والعفاف تصدر منها أصوات ملائكة من البشر يسبحون الله ويقدسون له دائما وأبداً .

وتيمناً بهذا الكوكب العظيم فقد تسمى باسمه كثيرون من المسيحيين فى مختلف جهات العالم ، طلباً فى شفاعته المقبولة ، بينهم عدد من رجال الدين برز منهم أنطونيوس كاولياس البطريرك القسطنطينى ٨٩٣ - ٨٩٥ م ، والراهب الفرنسيسكانى مار أنطونيوس البادوانى ١١٩٥-١٢٣١ الملقب بالصغير والمعروف عند قومه برجل العجائب ، والواعظ الأسبانى الشهير أنطونيوس الفيارى الذى ذاع صيته سنة ١٢٣١ عندما تحدث عن قوله تعالى « وتجعل الناس كسمك البحر » (حب ١ : ١٤) فكان أبلغ من تصدى لشرح هذه العبارة والتعليق عليها .

واعترافاً بفضل هذا الرائد الكبير فقد أنشأت روما رهبانيات تحمل اسمه فى كل الكنائس الشرقية التابعة لها من أرمنية وكلدانية وسريانية ومارونية .

زمن تأسيس الدير

بعد أن تدرج القديس على العبادة فى عدة أماكن توغل أخيراً فى أعماق صحراء العرب حتى وصل إلى نبع ماء جار فأقام على مقربة منه منفرداً بذاته بعيداً عن العالم ومتاعبه الكثيرة ، إلا أن الناس الذين أعجبوا بحياته الطاهرة وسيرته النقية لم يتركوه وشأنه بل أقبلوا على زيارته من أماكن مختلفة فكان يبارك عليهم ويصرفهم مزودين بدعواته الصالحة . أما الذين رفضوا العودة ، وأصروا على الإقامة عنده والتتلمذ على

يديه فقد قبلهم بفرح وبشاشة ورسم لهم كيف يبنون القلالى والطرق التى يسلكون بموجبها ، ومن هؤلاء تشكلت أول هيئة رهبانية فى العالم المسيحى .

ويؤخذ من سيرة القديس أنه كان يسكن بعيداً عن الإخوة ، ولكنه كان يخرج اليهم من حين لآخر معزياً ومعلماً ومشجعاً ، ولظروف خاصة عندما اتسع نطاق العمل الروحى اضطر البار أن يفتقد أبناءه ومريديه الساكنين بعيداً عن منسكه فى نيتريا والفيوم وأعالى الصعيد ، وأن يصلح أحوالهم الرهبانية، ويدبر حياتهم حسب الحكمة التى أعطيت له من الرب .

وقد كان دير القديس الرئيسى فى ذلك الوقت عبارة عن عدة قلالى متناثرة حول مسكنه أو تبعد عنه قليلا، بعضها من المغائر التى أوجدتها الطبيعة ، والآخر مما أصلحه الرهبان بأيديهم كقلاية بولس البسيط التى لا تزال آثارها باقية إلى هذا اليوم .

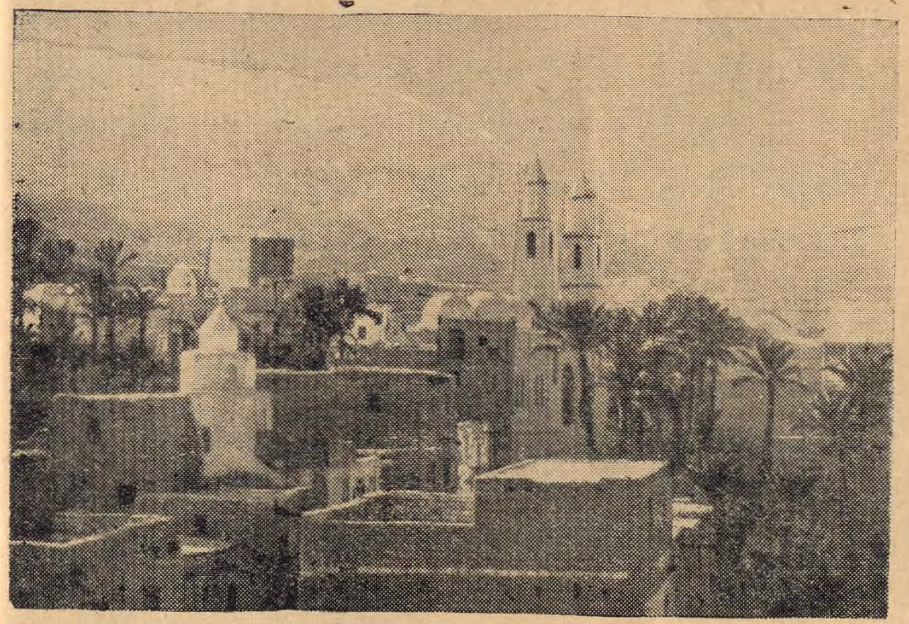

منظر داخلى لدير القديس الأنبا أنطونيوس

ولعل أول بناء قام فى هذه المحلة المقدسة هو الكنيسة التى سميت باسم أنطونيوس الذى بعد انتقاله وضعت رفاته فى مكان منها .

أما أسوار الدير فيقول الشيخ أبو المكارم إنها بنيت فى عهد يوليانوس الملك الكافر ٣٦١ - ٣٦٣ م أى قبل وفاة مؤسسه بعامين أو ثلاثة .

ويرى البعض أنها شيدت بعد ذلك ، ولكنهم لا يتجاوزون فى تكهناتهم ختا القرن الرابع .

انتقال القديس من هذا العالم

بعد حياة روحية عميقة حافلة بجلائل الأعمال ، استقرت فى أثنائها أوضا الرهبنة وصيغ لها من القوانين النسكية المهذبة ما يكفل حمايتها، رقد مار أنطونيوس فى الثانى والعشرين من شهر طوبة سنة ٣٦٥ م ودفن فى مكان مجهول من كنيسة دير كما سبق وأوصى تلاميذه بذلك ، حتى لا يستغل جسده فى أمور لا تتفق مع المسيحية الصحيحة .

مات ولم يترك خلفه أكثر من عكاز كان من نصيب القديس مكاريوس المصرى ورداء بال وجلدين من فراء الغنم أوصى أن يعطى الواحد مع الرداء للبابا أثناسيوس والآخر للأنبا سرابيون أسقف تمى .

هذا ويعتبر أنطونيوس أب الرهبنة المسيحية فى جميع العالم ، وإن كان قد سبق بعض النساك المتبتلين إلا أن إليه يعود الفضل فى وجودها كهيئة منظمة ذات زى موحد ، وهو الشعار الذى استلمه رأساً من الملاك عندما ظهر له فى البرية كراهب يقوم بضفر الخوص ، وقد شد وسطه بمنطقة من جلد ، واتشح بأسكيم على مثال الصليب ، وجعل على رأسه غطاء يشبه الخوذة تزينه صلبان كثيرة .

▲ ▲ ▲

تحسين الدير وتحصينه

كان دير القديس أنطونيوس فى أواخر القرن الخامس لا يزيد فى مساحته عن ثلاثة أفدنة . ويفهم مما كتبته مدام بوتشر فى الجزء الثانى ص ٨٩ من مؤلفها « تاريخ الأمة القبطية وكنيستها » وبعض المصادر الأخرى أن أول تعديل جرى عليه كان فى أيام الامبراطور جوستنيان الذى ضاعف مساحته سنة ٥٣٧ م وبنى به حصناً منيعاً لصد غارات المغيرين على حدود مصر الشرقية وزوده برهبان من الملكيين الموالين لعرشه حتى يضمن بقاء الدير فى قبضته كنقطة استراتيجية هامة. كما فعل ذلك أيضاً فى دير الأنبا بولا ودير القديسة كاترين بجبل سيناء .

ويقول برنار دى بريدينا خ الذى زار مصر سنة ١٤٨٣م وهو يصف مشاهداته « وفى تلك الصحارى كان يوجد بالأديرة بعض الرهبان اليونانيين المدعوين كاليجورى».

ومن الواضح لدينا أنه فى هذا العهد الذى سبق خراب الديرين بعام واحد كانت الأديرة القبطية شرقاً وغرباً خالية تماماً من اليونانيين إذ من المستبعد جداً أن يبقى الرهبان الملكيون بين الأرثوذكسيين بعد الانشقاق الذى أوجده المجمع الخلكيدونى بعشرة قرون كاملة !! فلا بد أن المؤلف أراد بقوله هذا صحارى سيناء حيث يوجد رهبان الروم منذ منتصف القرن الرابع إلى يومنا هذا فى دير القديسة كاترين ، والمناسك الأثرية التى حوله .

وهناك احتمال آخر يأخذ بوجهة نظر بريدينا خ وهو وجود رهبان من الروم بدير يوحنا الدرجى الذى ما زالت أنقاضه قائمة إلى اليوم فى الصحراء الشرقية ، وقد كان ملكى المذهب كما أوضحنا ذلك فى مكان آخر ، ولكن هذا الرأى ليس لنا ما يؤيده بتاتاً .

وقد بقى دير مار أنطونيوس محتفظاً بمساحته التى أوجدها الامبراطور جوستنيان وقدرها المؤرخون بستة أفدنة حتى قام المعلم ابراهيم الجوهرى بتوسيعه مرة أخرى عندما كان يشغل منصب كبير كتاب المالية فى القرن الثامن عشر فضم إليه رقعة

واسعة من الأرض وشيد السورين الغربى والقبلى ، وبعد ذلك بسنة واحدة بنى الساقية مع السور البحرى .

منظر خارجى لدير القديس الأنبا أنطونيوس وترى أسوار الدير وقباب الكنائس

أما العمارة الكبرى التى أجريت فى هذا الدير وجعلت مساحته على الوجه الذى نراه فهى التى قام بها البابا كيرلس الرابع واستمرت من سنة ١٥٧٣ إلى سنة ١٥٧٥ش وكان العمال والمعماريون يبدأون أعمالهم طيلة هذه السنوات من اليوم الأول من شهر أبيب حتى اليوم الأول من شهر برمهات . وقد أضاف هذا البابا إلى المبانى القديمة الجزء الأمامى الذى يشتمل حالياً على شونة الوقود ، والكنيسة الجديدة والمطعمة ثم الجانب الخلفى وبه المكان المسمى بين الأسوار ، وشونة المعيز .

ومن الروايات المتواترة بين رهبان هذا الدير أنه عندما شرع الأنبا كيرلس فى بناء الأسوار حدثت أزمة سياسية عنيفة بين مصر وأثيوبيا كادت تعصف بسلام البلدين فأشار المسئولون على سعيد باشا حاكم مصر أن يعهد إلى بطريرك الأقباط بتسوية هذه المشاكل. فلما فاتح الخديوى البابا كيرلس فى هذا الأمر اعتذر عن السفر لانشغاله بترميم الدير وتجديده ، فطلب منه الوالى أن يقوم بهذه المهمة على أن تقوم الحكومة بإتمام المبانى على الصورة التى يراها ، فوضع البابا رسماً هندسياً لكل مطالبه ، وأقام على تنفيذه القمص بولس أمين الدير ، ثم انصرف إلى طريقه فى

٣٠ مسرى سنة ١٥٧٢ ش ، وبعد أن حقق لمصر أمانيها عاد فى السابع من أمشير سنة ١٥٧٤ ش فوجد الدير يرفل فى ثوب قشيب .

ويقول شيوخ الرهبان الأنطونيين ويؤيدهم فى ذلك أعراب البادية أن القمص بولس أدخل صخرة مرتفعة بين الأسوار فعندما جاء البابا كيرلس لزيارة الدير بعد عودته من أثيوبيا لم ترق فى عينيه تصرفات أمين الدير وأراد معاقبته ففر من بين يديه ولاذ بشيوخ عرب المعازة ، وطلب منهم تأمينه ومرافقته إلى الريف فلما شعر البطريرك بهروبه طالب الإعراب برده ، أما هم فرفضوا تسليمه حفظاً لتقاليدهم الكريمة ! ! .

زمن خراب الدير وإعادة تعميره

يقول شستر الذى زار مصر سنة ١٨٨٧ م فى كتابه « الأديرة القبطية » نقلا عن رهبان دير الأنبا أنطونيوس الذين تحدث اليهم أنهم قبل مجيئه إلى مصر بما يقرب من أربعة قرون اتخذوا من عرب البادية خدماً لهم ، واقتدى بهم أيضاً رهبان دير الأنبا بولا ، وقد تظاهر الأعراب فى كلا الديرين باعتناق المسيحية والإخلاص لأسيادهم ، ولكنهم كانوا فيما بينهم يدبرون مؤامرة لاغتيال مخدوميهم ، وفى ساعة معينة هجموا بنفس واحدة على رهبان الديرين فقتلوهم ، ولم يبقوا منهم غير أفراد قلائل اتخذوا منهم عبيداً وخدماً .

وذكر المؤرخ يعقوب بك نخله روفيله فى كتابه « تاريخ الأمة القبطيـــة » (ص٢٤٣- ٢٤٤) أنه فى سنة ١٤٨٤ هجم عربان الوجه القبلى على ديرى أنطونيوس وبولا وقتلوا جميع من فيهما من الرهبان ، وبقيا خراباً نحواً من ثمانين سنة . وكان فيهما مكتبتان عظيمتان تحتويان على عدد عظيم من الكتب القديمة الثمينة فجمعها العرب وأحرقوها عن آخرها ، ولم يبق منها إلا ما خفى عن عيونهم ا . هـ .

وقد استمر الديران فى خرابهما إلى أن رسم الراهب روفائيل السريانى بطريركا فى أول أكتوبر سنة ١٥٢٥ م باسم البابا غبريال السابع . وكان دير السريان وقتئذ

يسكنه ثلاثة وستون راهباً فأرسل عشرين منهم إلى دير أنطونيوس ، وعشرة إلى دير الأنبا بولا بعد أن زودهم بالكتب وأوانى الهيكل ، وكل ما يلزم لعمارة الديرين من غذاء وكساء .

ولما عاد الدير إلى نضارته الأولى بارك الرهبان صنيع هذا البطريرك المصلح الجليل ، وخلدوا أعماله فى بطون الكتب التاريخية والطقسية التى لديهم ، كما سجلوا على جدار بيعة الأنبا أنطونيوس الأثرية وفاته التى وقعت فى يوم الثلاثاء ٢٩ بابه سنة ١٢٨٥ للشهداء الأطهار بدير الجيزة المعروف بدير الميمون أو دير أنطونيوس التحتانى . ثم أشار الكاتب إلى أن رفات رئيس الكهنة الطاهر نقلت فى ٢٥ هاتور من نفس السنة إلى كنيسة القديس مركوريوس بمصر القديمة حيث أعيد تجنيزه ودفنه فى احتفال رهيب شهده خمسة وثمانون من الأساقفة والكهنة .

هذا وقد رسم البابا كيرلس الرابع للكهنة الأنطونيين الذين يقومون بتقديس السرائر فى كنائس الدير أن يذكروا دائماً وأبداً وهم على مذابح الصعيدة البطريرك غبريال السابع ، والبابا بطرس الجاولى ، والأنبا سرابيون أسقف المنوفية ، ومن العلمانيين المعلم ابراهيم الجوهرى ، والمعلم لطف الله شاكر ، والمعلم حسب الله البياضى .

كنائس الدير والمرافق الأخرى

تضم أسوار دير مار أنطونيوس السميكة الشاهقة قطعة كبيرة من الأرض لا تقل مساحتها عن عشرين فداناً تقوم عليها مجموعة من المبانى القديمة والحديثة مع بعض المرافق الهامة وهاك موجزاً عنها :

كنيسة الأنبا أنطونيوس الأثرية

وهى أقدم المبانى الموجودة بالدير حالياً ، ويرجح أنها بنيت فى حياة القديس ، وعند نياحته دفن فى جانب منها .

ويبلغ طول هذه البيعة عشرون متراً وعرضها عشرة أمتار، وهى مكونة من ثلاثة خوارس تعلو كل منها قبة . ويفصل بين الخورس الأول والثانى جدار حجرى لا يزيد ارتفاعه عن متر ونصف متر ، وبين الثانى والثالث حاجز من الخشب المخروط يعلوه عدد من الأيقونات الحديثة .

أما حجاب الهيكل فمصنوع من قطع خشبية صغيرة تتوسطها صلبان من العاج فى صناعة بسيطة ، ولا يقل ارتفاعه عن أربعة أمتار . ومن داخل الحجاب توجد ثلاثة مذابح تعلو كل منها قبة محكمة الرسم والبناء علاوة على القباب الخشبية الصغيرة التى تزين هذه المذابح . والخورس الأول من هذه الكنيسة هو أكثر أقسامها اتساعاً ، وقد رسمت على جدرانه كثير من الأيقونات الأثرية الجميلة التى زالت المعالم فى عدد منها وذلك بسبب الدخان الذى تكاثف عليها بمرور الزمن ، ولا يعرف جيداً أهو دخان البخور المتصاعد من مجامر الكهنة أم هو مما تخلف عن طهى طعام البدو الذين أقاموا بالدير زمناً أثناء خرابه !

ومما هو جدير بالملاحظة أن هذه الكنيسة تتميز عن غيرها من الكنائس القبطية بوجود مذبح فى الجهة القبلية من الخورس الغربى برسم الأربعة حيوانات يعتبر الأول من حيث اتجاهه الغريب .

كنيسة الرسولين بطرس وبولس

ويقال لها أيضاً كنيسة الرسل وهى تتصل بكنيسة الأنبا أنطونيوس بواسطة دهليز طويل يمتد من الغرب إلى الشرق ، ولا تختلف فى رسمها عن الكنيسة الأولى إلا بكثرة القباب .

ويفصل بين الخوارس حاجزان من الخشب المخروط . أما الحجاب فهو أيضاً من الخشب المطعم بالعاج والمتواتر عنه بين الرهبان أنه صنع فى مدينة أخميم على نفقة الارخن الجليل المعلم لطف الله شاكر الذى قام بتجديد هذه الكنيسة سنة ١٤٨٧ ش

ويذكر أن هذا المحسن الكريم قد استشهد فى ٢٧ بشنس ١٤٩٤ ش - ٢ يونيو سنة ١٧٧٨ م على يد الأتراك الموالين لابراهيم بك ومراد بك اللذين اتهماه بمخابرة اسماعيل بك خصمهما العنيد . وقد وصلت أخبار مقتله إلى رهبان الدير عن طريق القافلة التى تجلب اليهم الطعام فحزنوا جداً لمصرعه ، وسجلوا هذا الحادث المشئوم على كتاب تاريخ تحتفظ به مكتبة الدير تحت نمرة ٢٦ (فن تاريخ) . وجاء أيضاً بغلاف هذا الكتاب أن القافلة عادت اليهم مرة أخرى فى ١٨ بؤونة من نفس السنة المذكورة، وقال مرافقوها من الاعراب إن الشخص الذى قتل المعلم لطف الله ناظر الدير قتل هو أيضاً انتقاماً من العزة الإلهية لروح شهيده [طبق الأصل عن النسخة المخطوطة] .

كنيسة السيدة العذراء

وهى بالطابق الثانى من الربيتية أو المائدة ، وهى مكونة من خورسين يفصل أولها عن الهيكل حجاب من الخشب المطعم بالعاج البسيط . وبها قنطرة يعبر منهـ إلى الحصن القديم .

كنيسة الأنبا مرقس

وقد كان هذا الناسك البار معاصراً للبابا متاؤس الأول، ويعد من خيرة الرهبا الأنطونيين الذين ظهروا فى القرن الرابع عشر وامتازوا بأخلاقهم المرضية الحميدة وقد تعبد فى حديقة الدير ، وقام بأعمال تقشفية صارمة ، وظل صائماً مصلياً معظ أوقاته حتى اختاره الرب لجواره فى الساعة السادسة من يوم الاثنين الثامن من شه أبيب سنة ١١٠٢ ش ، فدفنه الآباء بعد تجنيزه فى القلاية التى قبض فيها ، وبنوا ع رفاته الطاهرة كنيسة لا تختلف فى نظامها المعمارى عن كنيسة الرسل . وقد ق بترميمها وتجديدها مع الكنيسة المذكورة ناظر الدير المعلم لطف الله شاكر كتاب رقم ٢٦ بمكتبة دير أنطونيوس.

كنيسة الملاك

وهى بأعلى الحصن القديم كما جرت العادة فى الأديرة الأخرى باستثناء دير الأنبا بولا .

كنيسة الأنبا أنطونيوس الجديدة

وقد بناها البابا كيرلس الرابع ، ولكنها لم تكرس بعد ، كما تنقصها أعمال النجارة من أبواب وشبابيك . ويقال إن المسئولين عدلوا عن إتمامها لأنها لا تتجه إلى الشرق كما هو الحال فى الكنائس القبطية .

كنيسة أخرى برسم الأنبا أنطونيوس

وهى التى بناها الأنبا ثاؤفيلوس مطران القدس والشرقية أثناء رئاسته للدير سنة ١٩٣٩ — ١٩٤٥ ولم تكتمل إلى الآن .

الحصن القديم

وهو مكون من ثلاثة طوابق يبلغ ارتفاعها نحو خمسة عشر متراً ولا يختلف فى رسمه وتصميمه عن بقية الحصون فى الأديرة الأخرى . ويمكن الوصول إلى بابه الذى يفتح فى الدور الثانى عن طريق عارضة خشبية متينة يرتبط أحد طرفيها بعتبة الباب بمفصلات قوية بينما يرتكز الآخر فوق بناء مواجه لا يزيد ارتفاعه عن الدور الأول ، وبذلك تصبح العارضة قنطرة متحركة يمكن رفعها عند الضرورة .

وبما أن المياه الجوفية قريبة من سطح الارض فى أديرة وادى النطرون فقد حفر الآباء آباراً داخل حصونها لكى يتزودوا منها بالماء عند حصار البربر أو البدو المغيرين .

أما فى دير أنطونيوس حيث لا يمكن استخراج الماء عن طريق الآبار الارتوازية

فقد مد الرهبان أنابيب فخارية تحت الأرض يجرى فيها الماء من العين الطبيعية إلى صهاريج داخل الحصن ، وبذلك يمكنهم الحصول على حاجتهم من الماء آمنين أعين الرقباء .

الماء والحديقة

بنى الدير فى بادىء الأمر على مقربة من العين التى كان يستقى منها أنطونيوس أثناء توحده فى قلب الصحراء ، وهى عبارة عن نبع طبيعى يتدفق بقوة من صخرة صماء بفعل قادر عظيم . ولكى لا يذهب الماء هباء فى جوف الرمال فقد صنع له الرهبان قناة يجرى فيها حتى يدخل الدير من ثقب فى أسفل السور المجاور فيشربون منه ويروون الحدائق، واستمر الوضع على هذه الحالة حتى ارتقى رئيس الدير القمص داود الصومعى إلى كرسى البطريركية باسم البابا كيرلس الرابع فضم هذا المرفق الرئيسى إلى داخل الدير ، وأحاطه بسور مرتفع مع نبع صغير آخر فبطل نزاع الرهبان مع أعراب البادية الذين كانوا يتحكمون فى هذا الشريان الحيوى ويلوثونه بقاذوراتهم متى أرادوا نكاية الرهبان وإزعاجهم .

وتروى مياه هذا النبع المتدفق ليلا ونهاراً حديقة الدير التى تشغل ما يقرب من ثلثى مساحته ، وهى عبارة عن أرض جيدة تعب الرهبان فى إعدادها وإصلاحها منذ سكناهم فى هذا الموضع المقدس ، وغرسوا فيها أنواعاً شتى من الفواكه ،منها العنب بكافة أنواعه والخوخ والتفاح والكمثرى والبلح والرمان والزيتون والليمون والخروب والمانجو مع الخضروات المختلفة التى تجعل من الدير جنة باسقة وروضة يانعة فى قلب الصحراء .

هذا وتعتبر حديقة دير مار أنطونيوس أكبر حدائق الاديرة القبطية العامرة وأكثرها خصوبة وإنتاجاً .

▲ ▲ ▲

مكتبة الدير

كان هذا الدير الذى نحن بصدده يملك فى الازمنة البعيدة مكتبة تحتوى على مجموعة كبيرة من المخطوطات النادرة ، ولكنها تعرضت فى أوقات عصيبة للنهب والحريق ، ولم يبق بها الآن إلا أسفار قليلة اختفت عن أعين المغيرين ولصوص الكتب من الرحالة الأجانب .

وجاء فى الجزء الثانى من دليل المتحف القبطى ص ١٠٦ أن مكتبة هـــذا الدير احترقت بما كان فيها من الكتب الدينية والوثائق التاريخية سنة ١٤٨٤ م عندما هجم عليه عرب البادية ونهبوه وقتلوا رهبانه ولم ينج منهم إلا نفر قليل .

وعندما أعيد تعميره بواسطة رهبان دير السريان حملوا اليه عدداً من مخطوطاتهم الخاصة علاوة على ما زودهم به البطريرك المعاصر من كتب دينية وطقسية كما جمعوا ما وجدوه من كتب متناثرة هنا وهناك ، وجعلوا منها نواة المكتبة الجديدة التى اكتظت منذ منتصف القرن السادس عشر بمختلف المؤلفات النفيسة من لاهوتية وتاريخية وطقسية مما دعا بعض المستشرقين أن يقتحموا مجاهل الصحراء حتى يصلوا اليها وينهبوا من الرهبان السذج كل ما راق فى أعينهم من الكتب النفيسة ، وفى مقدمة الذين تركوا بصماتهم على رفوف هذه الخزانة العلمية الخطيرة برناردوس الصقلى وفانسليب الدومنيكى وسيكار والسمعانى وجوليان وشستر وكوجردان ممن سبقت الإشارة اليهم فى حديث سابق . وقد قال الأخير إن سيدتين انجليزيتين زارتا الدير قبل وصوله بقليل لشراء بعض المخطوطات !

وبديهى أن هؤلاء الرجال الذين تخصصوا فى نقل الكنوز الشرقية من أماكن مختلفة وغيرهم ممن لم تصل أسماؤهم الينا حملوا إلى بلادهم عدداً وافراً من أنفس مقتنيات الاديرة بطرق معوجة وأمور لا تشرف ، فمنهم من تسلل ليلا إلى خزانة الكتب ، ومنهم من حاول أن يعطى أمين الدير خمراً ليشرب !

ولا تزيد كتب المكتبة فى الوقت الحاضر عن ألفى كتاب بين مخطوط ومطبوع

يرجع تاريخ أقدمها إلى القرن العاشر الميلادى . أما الكتب الأخرى فهى من عمل الرهبان الذين عاشوا فى القرن الثالث عشر إلى هذا اليوم .

وتمتاز مخطوطات المكتبة الأنطونية بما تحمله من تعليقات تاريخية على حواشيها بعضها يتعلق بالدير خاصة والآخر بالكنيسة عامة . ففى كتاب اعتراف الآباء المؤرخ سنة ١١٩٦ ش كتب أحدهم يقول إن البطريرك غبريال الخامس والتسعين الذى اهتم بتعمير ديرى الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا تنيح سنة ١٢٨٥ ش .

وجاء فى حاشية بانجيل الرسول مرقس المخطوط بالقبطية سنة ١٥٢١ ش ١٨٠٥ م أن رهبان دير أنطونيوس كانوا فى ضنك شديد بسبب انقطاع وصول القوافل للدير كما يقول كتاب البشائر الذى يحمل تاريخاً كالسابق . إن ضيقاً وقع فى ذلك الزمان على سكان القطر عامة وعلى رهبان دير الأنبا أنطونيوس خاصة .

وفى كتاب ٥٩٨ طقس كتب أحدهم يقول بلغة دارجة : فى سنة ١٤٤٢ ش تنيح أبونا الأب البطريرك أنبا بطرس الأسيوطى فى الصوم الكبير وتنيحت قسوس كثيرة وأساقفة ووقع الموت فى الناس وأخربها قرى وبلاد وفاتت الناس الزرع فى الغيط ، وكان عام الموت من البحيرة وأرض مصر جميعها إلى أسوان إلى أن صاروا يدفنوا الناس فى الحصر من قلة الأكفان وما يعلم بحال الناس إلا الله وحده . وفى تلك السنة تلف القمح فى الوادى وما سد إلا القليل ، واللى طلع من الحبوب أخذوه الديانة من أصحابه الله يلطف بعباده ، ويطلع النيل بدرى والشكر لله دائماً . ا . هـ .

وفى كتاب ٣٤٣ طقس يقول الناسخ فى النهاية « كمل بسلام يوم الخميس ٢٣ بابه سنة ١٥٢١ ش ، وكان ذلك على يد أبونا الراهب العابد الزاهد الناسك جرجس الجاولى أحد رهبان القديس العظيم أنطونيوس بجبل العربة ببحر القلزم ، وفى سنة تاريخه كان بالدير ٢٥ راهباً لأنه عقب زمان ، وكانوا فى شدة عظيمة من العربان وانقطعت القوافل حتى والأخبار عن الدير ، وكان تعب شديد على كل العالم وكان الخراب فى أرض مصر كلها ولا كان فيها حكم وكان ذلك فى رياسة الأب البطريرك

أنبا مرقس ١٠٨ فى عدد البطاركة ، وتنقب السور علينا فى الليل ولم قدروا ينفدوه وفتحوا العين الشرقية وكانت سنة مكرهة على الرهبان المقيمين بالدير من كل ناحية ، وبخاصة بسبب انقطاع القوافل . اهـ . طبق الأصل .

كنوز الدير الأثرية

يحتفظ دير الأنبا أنطونيوس بمجموعة من المقتنيات النفيسة على الرغم من خرابه مدة لا تقل عن سبعين عاماً بدأت فى أواخر القرن الخامس عشر واستمرت حتى نهاية النصف الأول من القرن الذى يليه .

ومن بين التحف النادرة التى ما زال الدير يكتنزها مجموعة من القناديل المعلقة بكنيستى الرسل والأنبا أنطونيوس الأثرية يبرز من بينها مصباح قديم كبير القيمة يرجع تاريخ صنعه إلى العصور البعيدة وقد نقشت على هيكله البرونزى صور متعددة تمثل السيد المسيح فى بعض مراحل حياته كإله متأنس .

كما يوجد فى خزانة الدير مجموعة من الصلبان والحيات الأسقفية والأتراس الاثيوبية ، وأشياء أخرى نفيسة أهديت اليه فى عصور مختلفة من أحبار الكنيسة وملوك الحبشة وأساقفتها كالمظلة الجميلة الصنع التى أشار اليها شستر فى كتابه ، وقال إن الآباء كانوا يظللون بها الانجيل عند خروجهم إلى المغارة للاحتفاء بعيد نياحة القديس الذى يقع دائماً فى الثانى والعشرين من شهر طوبة .

قنديل المؤيد

فى سنه ١٩٣٠ م طبع المرحوم مرقس سميكه باشا كتاباً فى جزأين دعاه « دليل المتحف القبطى » بصفته مديراً ومنشئاً لهذه المؤسسة الأثرية، وذكر فى الجزء الثانى ص ١١١ أثناء حديثه عن كنيسة الرسل التى بدير مار أنطونيوس ، أن أمام الهيكل قناديل زجاجية من بينها قنديل مزين بالمينـاء يرجع تاريخه إلى عهد الملك المؤيد ١٤١٢ — ١٤٢١ م

كما ذكر فى ص ١١٤ من نفس المؤلف أن أحمد شفيق باشا مدير مصلحة الحدود زار الدير المذكور ورأى قنديلين قديمين غير القنديل الذى ورد ذكره فى ص ١١١ ملفوفين بخرق بالية فى صندوق من الخشب ثم واصل حديثه قائلا : وياحبذا لو وضعت كل الأشياء الأثرية بالمكتبة صياناً لها من الضياع والتلف اهـ .

فهذه الأخبار التى أذاعها شفيق باشا من جهة ، وما كتبه سميكه باشا بنية حسنة من جهة أخرى ، حفزت الكثيرين من العلماء ومحبى الآثار على زيارة الدير ومشاهدة كنوزه النفيسة، لا سيما المصابيح الزجاجية وخاصة المشكاة المنسوبة إلى الملك المؤيد شيخ ، أحد سلاطين المماليك . ويظهر أن أحدهم فى ذلك الوقت أوعز للمسئولين فى الحكومة المصرية بالاستيلاء على هذا القنديل وضمه إلى دار الآثار العربية ، وحبذ لها هذا الإجراء الذى اعتبره صوناً لهذه التحفة الثمينة . ومن ثم كتب المسئولون إلى البابا يؤانس التاسع عشر يطالبونه بتسليم هذا المصباح لحفظه فى الدار التى سبقت الإشارة إليها . فخابر البطريرك رئيس الدير فى هذا الشأن وكان يومئذ القمص بطرس المنياوى الذى رسم فيما بعد مطراناً على القدس والشرقية باسم الأنبا ثاوفيلوس فحسب هذا المطلب جائراً بالنسبة للدير الذى كمؤسسة دينية تاريخية يحتفظ بكثير من هدايا الأحبار والملوك ، شأنه فى ذلك شأن المعابد الشهيرة على اختلاف أديانها فى كل العالم .

ومع هذا فقد كتب للقمص يوحنا السبكى أمين الدير يأمره بإرسال القنديل إلى مقر الرئاسة ببوش بطريقة تضمن وصوله سالماً ، فلما وقف أمين الدير على خطاب الرئيس أحضر القنديل من مكانه وسلمه لرئيس القافلة ، وأفهمه أنه سيسافر معه إلى بوش لحاجته إلى الراحة والعلاج . وفى الصباح الباكر أقلعت القافلة من الدير يرافقها الأب السبكى وبعد مسيرة طويلة استغرقت أكثر من ثلاثة أيام وقف الاعراب بجمالهم على شاطىء النيل الشرقى تجاه مدينة بوش وفجأة صاح القمص حنا بغضب فى رئيس القافلة وانتزع منه القنديل وهدد بتسليمه للحاكم لو اعترض طريقه ، ثم

عبر النيل وذهب على الفور إلى مدينة بنى سويف حيث قابل مدير الاقليم وسلمه القنديل بعد أن أفهمه أن رئيس الدير كان ينوى إخفاءه بمجرد وصوله إلى بوش بإيعاز من البطريرك ، وانه عندما وقف على نواياهما أخذه قسراً من رئيس القافلة وبادر بتسليمه. فشكر المدير شجاعته ، وقام بالمشكاة إلى القاهرة وسلمها إلى الجهات المختصة .

أما الحكومة فاستبعدت من رسمياتها تلك الحركات المريبة التى قام بها القمص يوحنا السبكى واعتبرت أن القنديل وصلها عن طريق التفاهم الودى مع البطريرك يؤانس باعتباره الرئيس المباشر لكل المرافق الكنسية ، وأودعته فى مكان أمين بدار الآثار العربية تحت رقم ١١٦٦٨ .

وقد ذهبت بنفسى لزيارة المتحف الفنى الاسلامى ومشاهدة هذه التحفة العجيبة واطلعت على سجلها الخاص فإذ به يقول :

هذه المشكاة أصلها من دير القديس أنطونيو ، تسجلت بناء على إفادة سكرتارية وزارة المعارف رقم ١٠ / ٥٧ / ١٧ بتاريخ ٥ يناير سنة ١٩٣٣ وهذا هو نصها :

حضرة المحترم مدير دار الآثار العربية

بما أن غبطة الأنبا يؤانس بطريرك الأقباط الأرثوذكس قد تكرم بإجابة طلب الحكومة وسلم إليها المشكاة الزجاجية الثمينة المموهة بالمينا التى كانت موجودة بدير الأنبا أنطونيوس وقد سبق إيداعها كأمانة بدار الاثار العربية ، فقد وافقت الوزارة على ضم هذه المشكاة إلى آثار الدولة . فالرجا التنبيه بحفظها فى المكان اللائق ، وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

السكرتير العام

امضاء

هذا وقد جاء فى السجل أيضاً أن المشكاة وردت إلى الدار فى ١٤ يناير سنة ١٩٣٣ وأنها قدرت بمبلغ ألفى جنيه مصرى .

أما القنديل فهو عبارة عن مشكاة من زجاج مموهة بالمينا بلون بنفسجى على رقبتها آية النور بخط نسخى بحروف من المينا ، وعلى بدنها كتابة نسخية بحروف محجوزة شفافة على أرضية من المينا الزرقاء نصها « مما عمل برسم المدرسة الملكية السلطانية المؤيدية أبو النصر شيخ ، خلد الله تعالى ملكه وأيد دولته » وتتخلل الكتابة التى على الرقبة ثلاث دوائر بها كتابة بالخط النسخ الرفيع باسم المؤيد شيخ .

قلالى الرهبان وقصر الضيافة

القلاية كلمة لاتينية الأصل Cellula تعنى منزل الراهب أو مسكن الأسقف أو البطريرك وجمعها قلالى وقلايات .

وقد تكون القلاية منحوتة فى الصخر بعوامل طبيعية كمغارتى الأنبا أنطونيوس والأنبا بولا ، أو مصنوعة بأيادى بشرية كما فعل بولس البسيط وغيره .

وفى دير أنطونيوس مجموعة من القلالى بعضها قديم والآخر حديث . فالقديم يقوم على أنقاض قلالى متخربة أقدم عهداً من المبانى التى قامت عليها ، أما الحديث فمعظمه خارج سور الجوهرى ، وهو من صنع البابا كيرلس الرابع الذى أظهر فى أيام حبريته اهتماماً بالغاً فى تعمير الدير وتنسيقه .

كما أن هناك قلالى بناها الرهبان المعاصرون بأيديهم وهى على طراز القلالى القديمة التى يتكون معظمها من طابقين .

أما المكان المعد لاستقبال الضيوف فقد كان قديماً عبارة عن غرفة فسيحة مفروشة بالحصر والأبسطة الصوفية فلما جاء البابا كيرلس الرابع جعل منها سنة ١٨٥٦ قصراً مكوناً من أربع حجرات وبهو مستطيل ، وزوده بكل ما يكفل راحة الزائرين من أسرة مريحة وفراش وثير . وحينما أسندت نظارة الدير إلى الأنبا تيموثاؤس مطران القدس بعد عزل أسقفه الأنبا مرقس سنة ١٩١٢ م اهتم بتغيير فراشه وزيادة أثاثاته حتى صار قصراً مريحاً فاخراً . كما ساهم أيضاً فى تحسينه الاباء

الذين تولوا رئاسة الدير فى الربع الثانى من القرن العشرين وخاصة الأنبا ثاوفيلوس مطران القدس والشرقية .

باب الدير والطرق المؤدية إليه

نظراً لعدم استقرار الأمن فى الصحراء الشرقية بسبب وجود البدو البعيدين عن أعين الرقباء وما جلبوا عليه من غدر وسلب وحروب قبلية فقد رأى الرهبان الأوائل أن يقيموا حول الدير أسواراً شاهقة سميكة دون أن يفتحوا باباً فيها حتى لا يتمكن الغزاة من الوصول إليهم . لهذا كانوا يرفعون زائريهم من رهبان وعلمانيين عن طريق « الساقية » التى كانت تستعمل قديماً فى كل الأديرة حتى ذات الأبواب منها ، ولما استتب الأمن وأخلد الاعراب إلى الهدوء والسكينة فتح البابا كيرلس الرابع باباً متسعاً يتجه نحو الشمال الغربى ، فدرج الرهبان على استعماله منذ ذلك الحين . ولم يترتب على وجوده أى حادث من حوادث العدوان التى جرت فى الزمن الماضى .

أما الوصول إلى الدير فكان ولا يزال بواسطة القوافل التى تعبر إلى الضفة الشرقية من النيل تجاه مدينة بوش وتخترق الصحراء فتصل إليه فى اليوم الرابع .

كما يمكن الذهاب إليه بالسيارة فى طريق مرصوف يبدأ من القاهرة إلى السويس ماراً بالعين السخنة على الشاطىء الغربى للبحر الأحمر ، وعند فنار الزعفرانه تنحرف السيارة غرباً فى طريق غير معبد فتصل الدير بعد ٤٥ كيلو متراً .

ويسلك المسافر إلى دير الأنبا بولا نفس الطريق المذكور فيقطعه فى مدة أقل من الأولى إذ لا يبعد عن شاطىء البحر إلا قليلا .

وهناك طريق آخر للديرين يعبره المسافر بالسيارة ماراً ببلدة الكريمات ومنها إلى وادى رميله فوادى سنور فوادى عرَبه ثم إلى الدير الذى يريده .

هذا وقبل أن تتكاثر السيارات كان بعض زائرى الدير يأتونه عن طريق بواخر

مصلحة الحدود التى كانت تسير مرة فى كل شهر لتزويد موانىء البحر الأحمر بالمؤونة اللازمة فينزلون فى مرسى ثلمت ومنها يتوجهون إلى الدير عن طريق الجمال .

▲ ▲ ▲

باباوات من دير أنطونيوس

قدّم هذا الدير عدداً من رؤساء الأحبار الذين تولوا إدارة الكرسى المرقسى فى عصور مختلفة وهاك موجزاً لتراجمهم كما وردت فى الكتب التاريخية .

البابا غبريال السادس ١٤٦٦ - ١٤٧٤

كان يلقب بابن قطاع العصفور وأقام بكنيسة السيدة العذراء بحارة زويلة ودفن عند نياحته بمقبرة البطاركة بدير الخندق .

البابا مرقس السادس ١٦٤٦ - ١٦٥٦

ولد فى بهجورة وتزعم رسامته الأنبا اخريستوذولوس مطران القدس المعروف بابن تركى ، واشتهر بعد تكريسه بعدائه للرهبان فطاردوه بزعامة الراهب قدسى ، وكشفوا للحاكم عن مساوئه فأمر بإيداعه السجن ، إلا أنهم عادوا والتمسوا إخراجه ، فلما أطلقه الوالى ذهب إلى الصعيد وأخذ يجمع المال بجشع وحماقة حتى ضج منه الاكليروس والشعب ، ومات بعد أن رتب لديره جباية العوائد من بهجورة وفرشوط وأبو طشت ونجوع غانم وكوم البجه : ذيل أسقف فوه ص ١٨٧

البابا يؤنس السادس عشر ١٦٧٦ - ١٧١٨

كان من طوخ النصارى ، وعلى أثر رسامته انتقل بالكرسى من باب زويلة إلى حارة الروم ، وبها صنع الميرون سنة ١٧٠٣ وطاف بلاد الوجهين البحرى والقبلى معزياً أبناءه ومشجعاً لهم ، كما زار الأرض المقدسة فاحتفى بمقدمه السيد اخريستيفانوس بطريرك الروم الملكيين وأشركه معه فى أفراح القيامة ، وتردد على ديره مراراً .

مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

البابا يوحنا الثامن عشر ١٧٦٩ - ١٧٩٦

ويعرف بالفيومى ، وكان باراً فاضلا كريم الأخلاق . وقد تعرض مع شعبه لاضطهادات القائد التركى حسن باشا الذى نهب من خزانته كل أموال البطريركية وقام مع أحباره بتقديس الميرون سنة ١٧٨٦ م

البابا مرقس الثامن ١٧٩٦ - ١٨٠٩

انتخب بطريق القرعة الهيكلية وعاصر الاحتلال الفرنسى الذى سبب له اضطهاداً شديداً ، فانتقل بالكرسى من حارة الروم إلى حى الأزبكية وقد نظم بالعربية الدارجة أقوالا فى مدح العذراء ربما كان يترنم بها فى ضيقاته .

البابا بطرس الجاولى ١٨٠٩ - ١٨٥٢

رسمه سلفه مطراناً مساعداً ودعاه ثاوفيلوس وبعد نياحته خلفه على كرسى الرئاسة باسم البابا بطرس السابع فزار بعد تكريسه أديرة الرهبان العامرة والأراضى المقدسة وقام هناك بترميم معظم المرافق الخاصة بالبطريركيه القبطية .

وقد أكرم الرب هذا البابا بصنع المعجزات فزاد النيل بصلاته بعد أن جاء ناقصاً ، وانبلج على يديه النور فى القبر المقدس بحضور بطريرك الروم وابراهيم باشا قائد الجيش المصرى ، كما قدس الميرون سنة ١٨٢٠ م

البابا كيرلس الرابع ١٨٥٤ - ١٨٦١

ولد فى صوامعة سفلاق ، وبعد أن ترهب وصار رئيساً للدير ومطراناً عاماً للكرازة فى ١٧ أبريل سنة ١٨٥٣ رسم بطريركا بعد ذلك بعام واحد . ونال بحسن وعيه وإدراكه إعجاب المواطنين فكلفه الخديوى سعيد باشا بتسوية الخلاف الذى نشب بين مصر وأثيوبيا بسبب الحدود ، فسافر فى ٤ سبتمبر سنة ١٨٥٦ وبعد إنجاز ما عهد به إليه عاد إلى القاهرة فى ١٣ فبراير سنة ١٨٥٨ فاستقبلته الجماهير بكل حفاوة وإجلال . وقد أسدى لأمته خدمات جليلة فاستورد من أوربا مطبعة

بكامل معداتها وبنى كنيستى مار مرقس بالأزبكية والملاك بحارة السقايين ، وأنشأ مدرسة اكليريكية ومعاهد أخرى لتعليم البنين والبنات ، كما نهض باللغة القبطية ، ووطد علاقاته مع الروم والأرمن والجاليات الأجنبية الأخرى ، وقبل أن تكتمل رسالته الجباره مرض فى ظروف مريبة وأشرف على علاجه أفراد يشك فى إخلاصهم ، وبقوا بجانبه حتى لفظ أنفاسه بين أيديهم فى ليلة الأربعاء ٣٠ يناير سنة ١٨٦٢م .

البابا يوساب الثانى ١٩٤٦ - ١٩٥٦

كان يسمى القمص اقلاديوس النغاميشى واختير مطرانا لجرجا سنة ١٩٢٠ م ، وبطريركا باسم البابا يوساب الثانى سنة ١٩٤٦ وعزل من منصبه فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٥٥ وتنيح فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ وكان محدثا لبقاً ذا ثقافة ممتازة يجيد التكلم بالقبطية واليونانية ولكنه خدع من أفراد حاشيته الذين أخفوا عنه الحقائق وأوقعوه فى مشاكل عنيفة انتهت بخلعه وموته بنفس مرّة .

الأساقفة الأنطونيون

كان دير القديس انطونيوس بكر المناسك القبطية التى أخرجت رهباناً حملوا رتبة الأسقفية كما أسلفنا . ففى حياة مؤسسه رسم القديس بفنوتيوس أسقفاً لطيبة وكان ذلك على ما يرجح فى حبرية البابا بطرس الأول ٣٠٢ - ٣١١م لأنه قاسى أهوال التعذيب من مكسيميانوس قيصر سنة ٣٠٨ م ، كما قام البابا اثناسيوس برقية اثنين من تلاميذ القديس بعد استئذانه وهما ميلاس وسرابيون وكانا من أكثر الإخوة التصاقا بمعلمهما ، وربما شرطن هذا البطريرك الرسولى آخرين من الرهبان الأوائل لم تصل أسماؤهم إلينا .

ومع أن الوظائف الكهنوتية اقتحمت أبواب الرهبنة فى وقت مبكر كما رأينا ، إلا أنها كانت فى نظر المدققين دخيله عليها ، وأن الذين انتدبتهم الكنيسة من الرهبنة لخدمتها لم يكونوا إلا إعارة من هيئة لأخرى . لهذا جرت العادة أن يلبس الراهب المنتخب للأسقفية اسكيما فى مساء اليوم السابق لحفلة الرسامة . لكى يذكر دائماً

أنه لا يزال راهبا وأنه يجدد عهده وولاءه للرهبنة بارتدائه هذا الزى الملائكى المقدس حتى وإن كان قد أعطى له من قبل - زى الاسكيم والمنطقة والقلنسوة - وهى الشعارات الطاهرة التى يشترك فيها الرهبان على السواء بغض النظر عن الوظائف الكهنوتية التى انتدبوا لتأديتها .

وأول من وصلت الينا أخبارهم من الرهبان الأنطونيين الذين تولوا الأسقفية بعد أن اتخذت الرهبنة طابعها الذى لايزال مألوفا لدينا هو الأنبا اسحق الذى رسمه البابا يوحنا السادس فى أواخر القرن الثانى عشر مطرانا على الحبشة بعد تجريد كيلوس الذى ضرب قساً أثيوبياً حتى الموت .

ومما يذكر أن دير انطونيوس كاد أن يكون محتكراً لكرسى أثيوبيا فى القرون الثلاثة الأخيرة فقدم إليه عدداً من الأحبار الأجلاء كان آخرهم الجاثليق كيرلس الخامس ١٩٢٩ - ١٩٥٠ م .

هذا وقد عرفنا من عدة وثائق عدداً من خريجى هذا الدير خدموا فى الكراسى المصرية الآتية :

القدس والشرقية والدقهلية والقليوبية

الأنبا باسليوس ١٨٥٦ - ١٨٩٩ ، الأنبا تيموثاوس ١٨٩٦ - ١٩٢٥

القدس والشرقية

الأنبا باسليوس ١٩٢٥ - ١٩٣٥ ، الأنبا ثاوفيلوس ١٩٣٥ - ١٩٤٥

القدس والشرق الأدنى

الأنبا ياكوبوس ١٩٤٦ - ١٩٥٦

الدقهلية والغربية

الأنبا بطرس ١٩٢٥ - ١٩٣٠

كرسى المنوفية

الأنبا صرابمون أبو طرحه ١٨٥٣ + الأنبا يوأنس ١٨٥٥ - ١٨٩٤

كرسى الفيوم

الانبا ايساك ١٩٢٥ - ١٩٥١

كرسى الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا

الأنبا متاؤس ١٩٢٥ - ١٩٣٥ ، الأنبا إبرام ١٩٣٥ - ١٩٤٨ ، الأنبا يوأنس ١٩٤٩ - ١٩٦٣

كرسى أسيوط

الأنبا مكاريوس رسمه مرقس الثامن ، الأنبا مكاريوس شرطنه البابا بطرس السابع ومات قبل رسامة البابا كيرلس الخامس .

كرسى أبو تيج

الأنبا أثناسيوس ١٧٨٥ - ١٨١٩ ، الأنبا أثناسيوس ١٨١٩ - ١٨٧٥

كرسى جرجا واخميم

الأنبا يوساب الابح ١٧٩١ - ١٨٢٦ ، الأنبا يوساب الذى زاحم كيرلس الرابع على كرسى البطريركية ، الأنبا متاوس ١٨٩٢ - ١٩٢٠

كرسى جرجا

الأنبا يوساب ١٩٢٠ - ١٩٤٦

كرسى قنا وقوص ونقاده

الأنبا أغابيوس ١٨٧٦ - ١٩٠٢ ، الأنبا كيرلس ١٩٣١ - ١٩٦٥

كرسى الأقصر واسنا وأسوان

الأنبا باسيليوس ١٩٣٦ - ١٩٤٧

كرسى النوبة والخرطوم

جدده الأنبا بطرس السابع ورسم عليه أسقفين من دير انطونيوس الواحد بعد الآخر وهما الأنبا دميانوس والأنبا غبريال .

أنه لا يزال راهبا وأنه يجدد عهده وولاءه للرهبنة بارتدائه هذا الزى الملائكى المقدس حتى وإن كان قد أعطى له من قبل - زى الاسكيم والمنطقة والقلنسوة - وهى الشعارات الطاهرة التى يشترك فيها الرهبان على السواء بغض النظر عن الوظائف الكهنوتية التى انتدبوا لتأديتها .

وأول من وصلت الينا أخبارهم من الرهبان الأنطونيين الذين تولوا الأسقفية بعد أن اتخذت الرهبنة طابعها الذى لايزال مألوفا لدينا هو الأنبا اسحق الذى رسمه البابا يوحنا السادس فى أواخر القرن الثانى عشر مطرانا على الحبشة بعد تجريد كيلوس الذى ضرب قساً أثيوبياً حتى الموت .

ومما يذكر أن دير انطونيوس كاد أن يكون محتكراً لكرسى أثيوبيا فى القرون الثلاثة الأخيرة فقدم إليه عدداً من الأحبار الأجلاء كان آخرهم الجاثليق كيرلس الخامس ١٩٢٩ - ١٩٥٠ م .

هذا وقد عرفنا من عدة وثائق عدداً من خريجى هذا الدير خدموا فى الكراسى المصرية الآتية :

القدس والشرقية والدقهلية والقليوبية

الأنبا باسليوس ١٨٥٦ - ١٨٩٩ ، الأنبا تيموثاوس ١٨٩٦ - ١٩٢٥

القدس والشرقية

الأنبا باسليوس ١٩٢٥ - ١٩٣٥ ، الأنبا ثاوفيلوس ١٩٣٥ - ١٩٤٥

القدس والشرق الأدنى

الأنبا ياكوبوس ١٩٤٦ - ١٩٥٦

الدقهلية والغربية

الأنبا بطرس ١٩٢٥ - ١٩٣٠

كرسى المنوفية

الأنبا صرابمون أبو طرحه ١٨٥٣ + الأنبا يوأنس ١٨٥٥ - ١٨٩٤

كرسى الفيوم

الانبا ايساك ١٩٢٥ - ١٩٥١

كرسى الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا

الأنبا متاؤس ١٩٢٥ - ١٩٣٥ ، الأنبا إبرام ١٩٣٥ - ١٩٤٨ ، الأنبا يوأنس ١٩٤٩ - ١٩٦٣

كرسى أسيوط

الأنبا مكاريوس رسمه مرقس الثامن ، الأنبا مكاريوس شرطنه البابا بطرس السابع ومات قبل رسامة البابا كيرلس الخامس .

كرسى أبو تيج

الأنبا أثناسيوس ١٧٨٥ - ١٨١٩ ، الأنبا أثناسيوس ١٨١٩ - ١٨٧٥

كرسى جرجا واخميم

الأنبا يوساب الابح ١٧٩١ - ١٨٢٦ ، الأنبا يوساب الذى زاحم كيرلس الرابع على كرسى البطريركية ، الأنبا متاوس ١٨٩٢ - ١٩٢٠

كرسى جرجا

الأنبا يوساب ١٩٢٠ - ١٩٤٦

كرسى قنا وقوص ونقاده

الأنبا أغابيوس ١٨٧٦ - ١٩٠٢ ، الأنبا كيرلس ١٩٣١ - ١٩٦٥

كرسى الأقصر واسنا وأسوان

الأنبا باسيليوس ١٩٣٦ - ١٩٤٧

كرسى النوبة والخرطوم

جدده الأنبا بطرس السابع ورسم عليه أسقفين من دير انطونيوس الواحد بعد الآخر وهما الأنبا دميانوس والأنبا غبريال .

الاساقفة الانطونيون فى الوقت الحاضر

الأنبا تيموثاوس مطران الدقهلية والغربية رسم فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٣١
« متاؤس مطران الشرقية « ٢٩ سبتمبر « ١٩٤٦
« يوأنس مطران الخرطوم « ٢٩ يونيه « ١٩٤٧
« إبرام مطران الأقصر واسنا وأسوان « ٣ ابريل « ١٩٤٩
« باسليوس مطران القدس « ٧ يونيه « ١٩٥٩
« بولس أسقف حلوان « ١٠ مايو « ١٩٦٧

▲ ▲ ▲

رؤساء دير الأنبا انطونيوس

لم تحتفظ مكتبة الدير بأسماء الرؤساء الذين تولوا إدارته عبر العصور الماضية وذلك لتعرضها أكثر من مرة للنهب والحريق كما لم يهتم الرهبان بتدوين أسماء الرؤساء فى سجلات خاصة ، لهذا كان من الصعوبة بمكان أن نجد مصدراً صافياً نستقى منه كل مطالبنا وهاك ما استطعنا الحصول عليه منهم .

القمص يوحنا

تولى رئاسة الدير فى عهد البابا يوحنا الحادى عشر ، وقام بتمثيل الكنيسة القبطية فى مجمع فلورنسا سنة ١٤٤١ م ، وترى السيدة بوتشر فى الجزء الرابع من مؤلفها ص٨٧ والقمص منسى فى تاريخه ص٦٠١ أن اسمه كما ذكرنا ، إلا أن مؤرخى روما ومعهم الأسقف ايسيذوروس فى الجزء الثانى من خريدته ص ٤٥٤ يقولون إنه كان يسمى اندراوس ، ويرى الأنبا اسكندر مطران أسيوط الباباوى فى الجزء الثانى من تاريخه ص ٥٣ أنه كان أسقفاً وليس كاهناً ، واختلاف الروايات فى هذه العبارة يقلل من قيمتها التاريخية إن لم يحكم ببطلانها، لاسيما أنه ليس هناك ما يؤيدها فى المصادر القبطية الأصيلة .

الأب الفاضل القمص متى رئيس دير الأنبا أنطونيوس

القمص غبريال العرباوى

كان رئيساً للدير فى عهد البابا متاؤس الثانى ثم خلفه فى البطريركية سنة ١٤٦٦م باسم غبريال السادس .

القمص . . .

كان راهباً من دير السيدة العذراء بالسريان وأوفده البابا غبريال السابع على رأس تسعة عشر راهباً إلى دير مار انطونيوس لتعميره بعد أن خربه عربان الصعيد سنة ١٤٨٤ م .

القمص مرقس

عاصر البابا يوأنس السادس عشر ، وكان فى شرف استقباله عندما زار الدير لأول مرة فى ٢٤ كيهك سنة ١٣٩٥ ش ، وعهد إليه بتعمير دير الانبا بولا .

القمص ابراهيم

خدم الدير فى حبرية البابا يوأنس الثامن عشر ، وفى رئاسته قام المعلم حسب الله البياضى سنة ١٤٨٢ ش ببناء كنيسة القديس مرقس الانطونى ، والمعلم لطف الله شاكر بتجديد كنيسة الرسل سنة ١٤٨٨ ش مع السور الشرقى ، وكان بالدير فى ذلك الوقت سبعة وثلاثون راهباً . . . (كتاب ٣٧٠ / طقس) .

القمص يوسف

كان رئيساً للدير عندما زاره البابا بطرس الجاولى فى ١٧ ابريل سنة ١٨١٥ م وذلك كما أفاد مخطوط بمكتبة الدير يحمل رقم ١٠١ تاريخ .

القمص أثناسيوس القلوصنى

عقدت له الرئاسة فى عهد البابا بطرس الجاولى وفى أيامه ترهب داود بن توماس الصومعى الذى خلفه فى الرئاسة ثم صار بطريركا باسم كيرلس الرابع .

القس داود الصومعى

وهو المشار إليه آنفاً وقد رشحه الرهبان للرئاسة بعد نياحة سلفه وهو فى الرابعة والعشرين من عمره ، فاهتم بتعليم الرهبان والمحافظة على كرامتهم ، وكان يرتبط مع القمص عبد القدوس رئيس دير السريان بصلات روحية وودية .

القمص باسيليوس

تولى الرئاسة سنة ١٥٦٨ ش على أثر ترقية سلفه إلى كرسى البطريركية ثم رسم مطراناً على القدس ومعظم أقاليم الوجه البحرى سنة ١٥٧٢ ش ، واشتهر بين مواطنيه بصلاحه وإصلاحه .

القمص يوحنا شنوده

ورد اسمه فى المذكرة التى رفعها المجمع المقدس إلى رئيس الحكومة المصرية سنة ١٩٤٤ م ، وقد اشترى للدير سبعة وخمسين فدانا .

القمص شنوده

خلف القمص يوحنا وأضاف إلى مشتريات الدير سبعة وثلاثين فدانا كما أفادت الوثائق الرسمية .

القمص مرقس

يأتى ترتيبه الثالث فى مذكرة المجمع المقدس إلى رئيس مجلس الوزراء وزاد على أملاك الدير أربعة وثلاثين فدانا .

القمص سليمان

تولى الرئاسة بعد سلفه وساهم فى رفع المستوى الاقتصادى للدير بواحد وثلاثين فداناً .

ويأتى بعد القمص سليمان فى المذكرة المشار إليها القمص يوحنا والقمص جرجس والقمص يوسف والقمص عازر والقمص ميخائيل الطحاوى والقمص جرجس المسعودى والقمص ميخائيل القصرى والقمص صليب ، ولهم مشتريات من الأطيان آلت إلى الدير بعد نياحتهم ، وكان أكثرهم شهرة كرئيس لدير مار انطونيوس القمص ميخائيل القصرى ، وكوكيل حازم مهاباً من مواطنيه القمص جرجس المسعودى ، أما الآخرون فقد تعذر علينا معرفة وظائفهم .

الأنبا مرقس

تولى الرئاسة باسم القمص يوسف ، ثم رسمه البابا كيرلس الخامس أسقفاً على الدير فى ١٧ أكتوبر سنة ١٨٩٧ م ، ولعله أول من حصل على رتبة الأسقفية من رؤساء الدير السابقين .

القمص ميخائيل الباخومى

استلم رئاسة الدير سنة ١٩١٢ بعد عزل الأنبا مرقس ، وكان مغرماً بحمل الأسلحة النارية ويجيد إصابة الهدف والرماية .

الأنبا مرقس ثانية

عاد إلى وظيفته سنه ١٩١٧ بعد صلحه مع الرهبان والبطريركية ، واستقامت الأحوال بين يديه وتفانى فى خدمة الدير وترضية رهبانه وزاد على أملاكه ٢٥٣ فداناً ، وانتقل إلى رحمة ربه فى ١٨ أكتوبر سنة ١٩٢٨

القمص حنانيا القلوصنى

استدعاه الرهبان لرئاستهم بعد نياحة الأسقف وكان يعمل وكيلا لأوقاف الدير بالقاهرة ، واستمر يباشر أعماله حتى رسمه البابا يؤنس التاسع عشر أسقفاً على كرسى الدقهلية باسم الأنبا تيموثاؤس فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٣١

القمص عبد المسيح المرزوقى

خلف القمص حنانيا فى رئاسة الدير ثم رسم أسقفاً على كرسى قنا وقوص باسم الأنبا كيرلس فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٣١ وتنيح فى ٢٧ يوليو سنة ١٩٦٥

القمص بطرس المنياوى

كان وكيلا لأوقاف الدير بالقاهرة وفاز بتزكية الرهبان الرئاسة على أثر ترقية سلفه للأسقفية ، ثم رسم مطراناً على القدس والشرقية فى ١٩ مايو سنة ١٩٣٥

القمص مكسيموس

عين وكيلا للدير ، ثم أسندت إليها الرئاسة بعد رسامة المنياوى مطراناً وبعد شهور قلائل كرسه البابا يؤانس التاسع عشر أسقفاً على الجيزة والقليوبية ومركز قويسنا فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٣٥ باسم الأنبا ابرام ، وتنيح فى ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٨

القمص ميخائيل الباقورى

كان شيخاً مهاباً وقد دعاه الرهبان لرئاسة الدير بعد القمص مكسيموس، ولكن لم يمكث بها طويلا واستقال فى أواخر ديسمبر سنة ١٩٣٥

القمص يوحنا البهجورى

كان محبوباً من جميع الرهبان لشهامته وكرمه وطيبة قلبه ، فرشحوه للرئاسة بالإجماع فظل فى خدمتهم إلى شهر مايو سنة ١٩٣٨

القمص ميخائيل الباقورى ثانية

استلم الرئاسة من القمص يوحنا البهجورى وتخلى عنها فى يناير سنة ١٩٣٩ وتوفى بعد استقالته بستة أشهر .

الأنبا ثاوفيلوس

وهو القمص بطرس المنياوى سابقاً وقد قلده الأنبا يؤانس التاسع عشر رئاسة الدير للمرة الثانية علاوة على منصبه كمطران للقدس والشرقية، وظل يقوم بالإدارتين إلى أن أغتيل على أيدى مجهولين فى أول أكتوبر سنة ١٩٤٥

القمص ميخائيل السوادى

كان وكيلا الأنبا ثاوفيلوس ببوش وخلفه فى رئاسة الدير بعد إغتياله ثم عزله الرهبان فى ديسمبر سنة ١٩٤٥ وتوفى فى ٢٧ ديسمبر سنة ١٩٥٨

القمص يوحنا البهجورى ثانية

استدعاه الرهبان لإدارة الدير بعد عزل السوادى إذ كان مرضياً عليه من جميعهم . ولما ارتقى البابا يوساب الثانى عرش البطريركية جعل الدير تحت نظارة وإشراف الأنبا إيساك مطران كرسى الفيوم، ثم عاد بعد ستة أشهر فأقال البهجورى من منصبه متهماً إياه بالتبذير وسوء الإدارة وتنيح فى ٩ فبراير سنة ١٩٦٠

الأنبا إيساك

انفرد بإدارة دير أنطونيوس ونظارته بعد عزل القمص يوحنا البهجورى علاوة على منصبه كمطران لكرسى الفيوم واستمر محتفظاً بالسلطتين حتى دعاه الرب إلى جواره فى ١٤ يناير سنة ١٩٥١

الأنبا غبريال

كان وكيلا لمطرانية الخرطوم واستدعته البطريركية لرئاسة الدير على أثر نياحة مطران الفيوم ثم رسمه البابا يوساب الثانى أسقفاً على الدير فى ٢٥ فبراير سنة ١٩٥١ ثم حاول عزله فى أغسطس سنة ١٩٥٥ ولكن لم يتسنّ له ذلك لظروف خارجة عن إرادته واستمر فى منصبه إلى أن أقيل منه فى أغسطس سنة ١٩٦٠

القمص بنيامين

كان يقيم بمعية الأنبا تيموثاوس مطران الدقهلية ، ودعى للرئاسة بعد عزل الأسقف غبريال وتوفى فى ٢٠ أبريل سنة ١٩٦٥

القمص متى

وهو الرئيس الحالى وقد خدم الكنيسة القبطية فى جهات متفرقة من فلسطين . ثم عين وكيلا لأوقاف الدير بالقاهرة ، ولما تنيح سلفه أجمع الرهبان على اختياره للرئاسة لما لمسوه فيه من أمانة وإخلاص وشهامة فنالوا على يديه تقدماً واستقراراً وهو لا يزال يواصل إصلاحه ويعمل على تقدم الرهبان وراحتهم

دير الأنبا بولا

يقع هذا الدير بين جبال الجلالة ، ويقال لها أيضاً القلالة ، وفى الجنوب الشرقى من دير مار انطونيوس ، ويبعد عن الضفة الشرقية من النيل تجاه مدينة بوش بمسافة تقطعها القوافل فى خمسة أيام ، وتصل إليه السيارة القادمة من القاهرة فى مايقرب من ثمانى ساعات مارة بالسويس والعين السخنة فى طريق القصير الصحراوى حتى تنتهى إلى فنار الزعفران ، ومنه إلى الدير الذى يبعد عن شاطىء البحر بمقدار خمسة عشر كيلو متراً .

ترجمة حياة القديس بولس

ولد هذا المتوحد العظيم بمدينة الاسكندرية سنة ٢٢٨ م وسمى بولس ويقال له أيضاً بولا ، وبافلوس ، وپول . ولما مات أبوه جلس مع أخيه بطرس الذى يكبره سناً ليقتسما الميراث . فأراد شقيقه أن يستولى من التركة على النصيب الأوفر . فلم يرق هذا التصرف فى نظر البار وعزم على رفع الأمر للحاكم ، وبينما هو ذاهب مع أخيه إلى دار القضاء أبصر فى طريقه جنازة يتقدمها حشد عظيم من الناس يسيرون نحو المدافن بين مظاهر الخشوع والأسى فوقف يتسائل ترى من يكون هذا ؟ فأجابه أحد المشيعين إنه فلان الثرى الشهير ، لقد خرج من الدنيا عارياً دون أن يأخذ معه شيئاً ! !

فتأثر بولس من هذا المشهد الرهيب الذى أوقفه على بطلان العالم واندفع نحو أخيه بشعور روحى عميق وهو يقول : « مالنا يا أخى والذهاب إلى دار القضاء هيا بنا إلى البيت لنتفاهم ، وهناك خذ ما يحسن فى عينيك » وفى أثناء سيرهما انصرف من خلف أخيه دون أن يشعر به ولم يلتق به مرة أخرى . . ! !

وتقول رواية أخرى أنه كان للقديس أخت متزوجة من رجل شرير . فبعد وفاة أبيها طالب بعلها بنصيب وافر من المال ، وإذ رفض أن يدفع له أكثر مما يستحق

استشاط غضباً وهدد بتبليغ الحاكم عن دينه المسيحى ، وكانت تهمة كهذه فى ذلك الوقت تعرّض صاحبها للموت بلا محالة ، فلما وقف صاحب الترجمة على خطورة الموقف ونوايا صهره الآثمة ، ترك المدينة ولاذ بالفرار .

بين جبال القلالة

غادر بولس المدينة وأقام عابداً مصلياً فى قبر مهجور إلى أن ظهر له ملاك الرب وأمره أن يمضى إلى البرية الشرقية ، فسار إليها وهو يقطع الوهاد ويعبر الفيافى ، حتى التقى بعين طبيعية تفيض ماء عذباً فسكن فى مغارة بالقرب منها ، وأخذ يثابر على الصوم والصلاة بينما كان الرب يعوله فى البرية المقفرة بواسطة غراب يأتيه يومياً بكسرة من الخبز طيلة غربته فى وادى الدموع .

انطونيوس فى زيارة بولس

بعد جهاد طويل عنيف قضاه البار فى تسمير الجسد وصلب اهواء إنسانه العتيق أراد الرب أن يكشف للبشرية عن شخصيته الملائكية العجيبة ، فأمر انطونيوس الذى ارتأى فى نفسه أكثر مما يجب أن يتوجه لزيارة هذا الإنسان الجليل الذى يفوقه نسكا وعلما فسار فى القفر والروح القدس يصعد به من واد ويهبط فى آخر حتى أشرف على المغاره التى يقطنها البار ، فقرع انطونيوس بابها بلطف ، وإذ ببولس يناديه من الداخل باسمه ويخرج إليه فارحا ، ثم يقع كل منهما على عنق الآخر مقبلا ومبتهجاً ، ثم تصافحا وجلسا يتحدثان بعجائب الله ويتكلمان عن الظروف التى دفعت بكل منهما نحو هذه الحياة السعيدة ، وبينما كانا يتجاذبان أطراف الحديث أقبل الغراب كعادته ، وكان يحمل فى هذه المرة رغيفاً كاملا فتعجب بولس من هذه الظاهرة الغريبة ، وأدرك منها على الفور عناية الله بزائره الجليل وما له من منزلة كريمة.

انتقال البار من هذا العالم

يقول مؤرخو الرهبنة الذين تناولوا سيرة هذا الناسك المثالى أن الرب أعلن له وهو فى حضرة ضيفه عن قرب انحلاله وخروجه من جسد المتاعب ، فبادر

وأخبر انطونيوس بهذا الإعلان الإلهى وسأله بدالة المحبة أن يرجع إلى ديره لإحضار الأكفان اللازمة ، وأن يتفضل بمواراته التراب ، كما طلب منه أن يدرجه أولا فى رداء كان قد أعطى لزائره من البابا اثناسيوس الرسولى ، فتأثر انطونيوس من هذه المفاجأة الإلهية ، وبعد أن صمت أمامها قليلا رجع مسرعا إلى ديره فجمع الأقمشة اللازمة ثم عاد بها مرة أخرى وهو ينهب الأرض نحو زميله المكرم وقلبه يفيض بالحزن والأسى . ولكنه قبل أن يصل إليه رأى جوقة من الملائكة تحمل روحه الطاهرة وهى تصعد بها نحو السماء فى هتاف وتهليل ، فأيقن أن صديقه قد توفى . فأخذ يهرول نحو المغارة حتى وصلها فوجد البار قد أسلم الروح وقد سجد بوجهه على الأرض وبسط زراعيه كما لو كان فى حالة الصلاة . وذلك فى اليوم الثانى من شهر امشير سنة ٣٤١ م .

انطونيوس يدفن الجسد بمعاونة الوحوش

بعد أن تبارك القديس انطونيوس من جسد صفى الله العظيم ، رفع جثمانه من الأرض وخلع عنه مسوح الليف ثم أدرجه فى الأكفان مع الثوب البطريركى الذى أراده ، وبدأ بتجنيزه كما اعتاد المسيحيون أن يفعلوا، وعندما فرغ من تأدية الشعائر أخذ يفكر فى كيفية دفنه بهذه الأرض المحجرة . وفيما هو كذلك إذ بأسدين عظيمين أقبلا عليه وأخذا يلوذان به ويتمسحان بثيابه فرسم لهما على الأرض المساحة التى يشغلها الجسد المشرف فأقبلا على المكان المحدد يحفرانه بمخالبهما الحادة القوية وانطونيوس يراقب العملية عن كثب حتى وصلت الحفرة إلى العمق الذى يتطلبه الحال وعندئذ أشار للوحشين أن يتوقفا عن العمل . ثم حمل الجسد البار الطاهر وأودعه فى القبر برفق وخشوع وبعد أن واراه التراب أمر السبعين بالانصراف . وقيل إن هذين الأسدين كانا ملازمين للأنبا بولا طيلة وجوده فى البرية ولم يتركاه إلا بعد أن تنيح وساهما فى صنع لحده ودفنه .

اختفاء الجسد

ذكرت بعض السير الرهبانية أن البابا اثناسيوس الرسولى أراد إحضار الجسد من البرية الشرقية لدفنه بمدينة الاسكندرية ، وأرسل فى ذلك رسلا من قبله وأوصاهم ألا يعودوا بدونه ، إلا أن الرب ظهر له وأمره أن يتجنب محاولة كهذه لأنه لا يشاء اظهاره لأحد . فأرسل البابا على الفور واستدعى من الصحراء الرجال الذين كان قد كلفهم بذلك . فعادوا إليه يقولون لقد قضينا يومين ونحن ننبش الأرض فى البقعة التى دفن فيها القديس فلم نجد لجثمانه أثراً . . ! !

زمن تأسيس الدير

يفهم مما كتبه ايرونيموس عن كواكب الرهبنة الأوائل أن القديس انطونيوس وضع سيرة الأنبا بولا باللغة القبطية وأذاعها على الملأ ، فلما وقف أناس منها على جهاده العظيم هرع كثيرون منهم إلى المكان الطاهر الذى تشرف بسكناه وأقاموا عند

مثواه المكرم يقتفون آثاره وينسجون على منواله ، حتى تكونت منهم جماعة رهبانية ابتنت القلالى وأقامت فيما بعد سوراً لحمايتها ، وبذلك نشأ الدير على الصورة التى نراها قبل ختام القرن الرابع . وذلك كما أفاد الرحالة بستميان الذى زار مصر فى سنة ٤٠٠ م . وقال فى وصف رحلته « لقد زرت دير الأنبا انطونيوس حيث يسكن تلاميذه فى الوقت الحاضر ، وذهبت أيضاً إلى المكان الذى عاش فيه المطوب الأنبا بولا أول المتوحدين ، ومن هناك رأيت البحر الأحمر وقمم جبال سيناء »

مساحة الدير بين الماضى والحاضر

كانت رقعة الدير قديماً لاتزيد عن ثلاثة أفدنة وظل على هذه المساحة حتى أنجب فى أوائل القرن التاسع عشر راهباً مثالياً امتاز بعلمه وفضله فرسم مطراناً على بيت المقدس باسم الأنبا اخريستوذولوس ، فهذا الإنسان الصالح عندما توفرت لديه الامكانيات المالية لم ينس ديره العزيز الذى كان يحتل من نفسه منزلة رفيعة فقام سنة ١٨١٥ بعملية معمارية فى الدير على نطاق واسع فضم إليه من الجهة الغربية ما يقرب من الفدانيين وأحاط ما أدخله بسور جديد جعل من داخله عين الماء

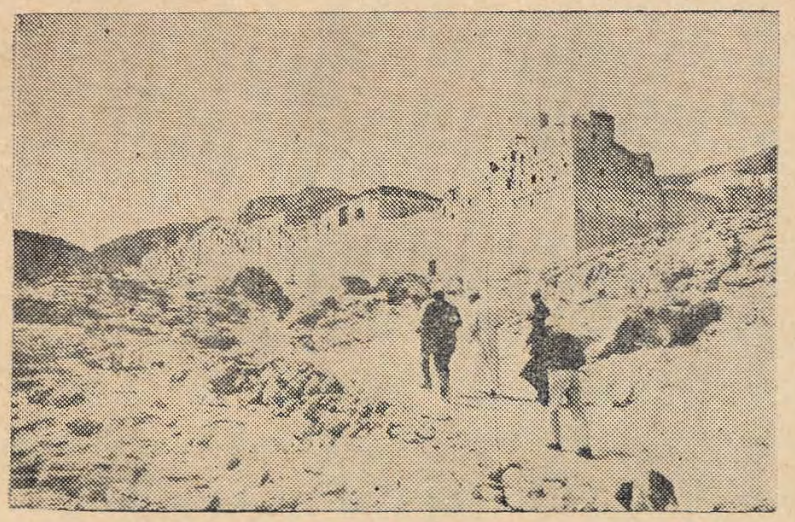

دير الأنبا بولا

الرئيسية وعيناً أخرى أصغر منها فصار اتساعه لا يقل عن خمسة أفدنة فى الوقت الحالى .

وهكذا لعب الأنبا اخريستوذولوس دوراً رئيسياً فى إصلاح ديره لا يقل عن الدور الذى قام به فيما بعد البابا كيرلس الرابع فى دير الأنبا انطونيوس والذى ربما كان مقلداً له . وقد تناولت العملية التى قام بها مطران القدس ترميم الأسوار القديمة والكنائس الأثرية وإصلاح كل ما أفسده الزمن .

الكنائس والحصن القديم

يوجد بهذا الدير أربع كنائس على الطراز القبطى فى غاية القدم والأهمية وهى :

كنيسة الأنبا بولا

وهى الكنيسة الرئيسية التى يرجع تاريخها إلى زمن تأسيس الدير ، وقد شيدت على نفس المغارة التى كان القديس يتعبد بها . ولانخفاضها عن مستوى الأرض بمقدار ثلاثة أمتار ينزل إليها بسلالم لا تقل عن ثلاث عشرة درجة .

ولهذه الكنيسة الأثرية الجميلة هيكل متسع به ثلاثة مذابح : كرس الأوسط منها وهو الرئيسى برسم القديس انطونيوس ، وجعل الأيمن باسم الأنبا بولا ، وهو تجاه القبر الذى يضم رفاته الطاهرة . أما الذى على يسار المصلى فهو للأربعة والعشرين قسيساً القائمين أمام عرش الله تعالى .

وقد جرت العادة أن يكون المذبح الرئيسى فى كنائس الأديرة برسم مؤسس الدير وشفيعه ، ولا ندرى لماذا اختلف الوضع فى هذا المنسك العتيق ؟

كنيسة أبى السيفين

وهى برسم الشهيد مركوريوس الشهير بأبى السيفين ، وليس بها ما يستلفت الأنظار سوى مبانيها التى تجددت على نفقة المحسن الكبير المعلم ابراهيم الجوهرى ، وتقع بأعلى الكنيسة الأولى .

كنيسة الملاك

وهى أكثر كنائس الدير اتساعا وتشبه من وجوه كثيرة بيعة الرسل الأطهار

بدير مار انطونيوس من حيث مذابحها الثلاثة وقبابها الاثنى عشر . ويقدس الكهنة فيها معظم أيام السنة .

كنيسة السيدة العذراء

وبها مذبح واحد تعلوه قبة من الخشب وموقعها فى الدور الثالث من البرج القديم الذى كان الرهبان يهرعون إليه عندما يقتحم الدير البربر أو غيرهم من المغيرين .

ولا يختلف تصميم الحصن عن غيره فى بقية الأديرة إلا بكنيسته التى تحمل اسم السيدة العذراء باعتبارها الحصن المنيع الذى لا يهاجم !! بينما تكرس الكنائس عادة فى حصون شهيت وقسقام برسم القديس ميخائيل رئيس جند الرب ، وشفيع المؤمنين الصاعد بأنين المتألمين .

القلالى وقصر الضيافة

كان فى دير الأنبا بولا سبع قلالى قديمة العهد جداً يجاورها مغطس من طراز بيزنطى جميل الصنع تعلوه قبة تزينها صور زيتية بديعة ، وقد ظلت هذه المبانى الأثرية النفيسة قائمة حتى شرع فى هدمها القمص عبد المسيح النزلاوى رئيس الدير سنة ١٩٣٠ م بشىء من عدم المعرفة والسذاجة على الرغم من تدينه وطهارة حياته الرهبانية .

أما القلالى الحالية فهى تشبه إلى حد كبير نظيرتها فى دير مار انطونيوس وهى ليست على شىء من القدم .

ولم يكن بهذا الدير قصر للضيافة بالمعنى المعروف ، فلما تولى رئاسته الأنبا ارسانيوس الثانى أوجد به مقراً من عدة غرف صحية وزوده بالأسرة المريحة والفراش الوثير . كما أنشأ أيضاً خارج الأسوار وعلى مقربة من الباب الرئيسى نزلا مريحاً يصلح لاستقبال العائلات التى تأتى لزيارة الاعتاب المقدسة ولا يتسنى لها العودة فى نفس اليوم لضيق الوقت وبعد المسافة .

الماء والحديقة

يوجد داخل أسوار الدير من الجهة الغربية نبعان طبيعيان أحدهما أكبر من الآخر يتدفق الماء منهما ليلا ونهاراً ، ولكن بكمية قليلة لا تكفى إلا لسد احتياجات الرهبان فقط . لهذا لم يحاول الآباء التوسع فى زراعة الأرض الفضاء التى بداخل الدير، بل اكتفوا بجزء منها لا يتجاوز مساحته الفدان الواحد به بعض أشجار النخيل وقليل من العنب والخضروات .

هذا وتجد خارج الدير وعلى بعد ثلثمائة متر من السور القبلى عين ماء أخرى يقول الرهبان حسب التقاليد الموروثة لديهم إنه النبع الذى جلس بجانبه أنطونيوس وبولا بعد أن تقابلا معاً لأول مرة .

رواية المقريزى عن الدير

يقول الشيخ تقى الدين المقريزى فى الجزء الرابع من خططه ص ٤١١ ما نصه : « دير الأنبا بولا ويقال له دير بولس ثم قيل له دير بولا ، ويعرف بدير النمورة أيضاً . وهذا الدير فى البر الغربى من الطور على عين ماء يردها المسافرون . وعندهم أن هذه العين تطهرت منها مريم أخت موسى عليهما السلام عند نزول موسى ببنى اسرائيل فى برية القلزم .

وأنبا بولا هذا كان من أهل الأسكندرية فلما مات أبوه ترك له ولأخيه مالا جماً فخاصمه أخوه فى ذلك وخرج مغاضباً له فرأى ميتاً يقبر فاعتبر به ، ومرّ على وجهه سائحاً حتى نزل على هذه العين فأقام هناك والله تعالى يرزقه، فمر به أنطونيوس وصحبه حتى مات فبنى هذا الدير على قبره . وبين هذا الدير والبحر ثلاث ساعات وبه بستان فيه نخيل وعنب وبه عين ماء تجرى أيضاً » .

ومما يذكر أنه ليس الآن فى البرية الشرقية المعروفة بصحراء العرب أى نوع من السباع كالنمور التى تسمى بها الجبل المجاور لدير الأنبا بولا ، والأسد التى رآها الأنبا

أنطونيوس عند نياحة البار كما جاء فى السيرة التى وضعها. ويرجح أن هذه الضوارى كانت تعيش منذ زمن بعيد فى كهوف جبال القلالة ثم انقضت ولم يبق شىء منها .

المكتبة

كان دير الأنبا بولا فى العصور الوسطى يحتفظ بمكتبة ثمينة بها كثير من المخطوطات القبطية واليونانية والعربية . فلما قام الأعراب بتخريبه فى أواخر القرن الخامس عشر لم يبقوا على هذه الأسفار النادرة بل أحرقوها برمتها .

وقد ظل الدير خرباً حتى أعاد تعميره البابا غبريال السابع بواسطة رهبان دير السريان الذين حملوا اليه عدداً من الكتب الدينية والطقسية التى زودهم بها البطريرك الطوباوى المذكور، علاوة على مقتنياتهم الخاصة من الصحف المختلفة ، وجعلوا من هذه الأسفار نواة لمكتبة جديدة تقوم على أنقاض سالفتها التى أبادها البدو فى غارتهم المشئومة ، ولكنها تخلفت عن الظهور كمكتبة ناجحة غنية لأسباب كثيرة .

وفى سنة ١٨٣٤ م زار الدير دوق دى راجوس فرأى به فى الحصن القديم ثلاثة عشر مخطوطاً خلاف ما كان موجوداً فى الأماكن الأخرى .

كما رأى مؤلفا كتاب « صحراء العرب والأديرة الشرقية » سنة ١٩٢٧ صندوقين مملوئين بالكتب فى الحصن القديم وآخر فى الهيكل البحرى من كنيسة الملاك .

وذكر مرقس سميكه باشا فى الجزء الثانى من دليل المتحف القبطى ص ١٢٢ « أن مكتبة الدير فى الهيكل البحرى من كنيسة الملاك ، وبها ٨٣٨ كتاباً منها ٧٦٤ مخطوطاً يرجع تاريخ أقدمها إلى القرن الرابع عشر ، وقد مضى الآن على هذه الاحصائية سبعة وثلاثين عاماً ، والمكتبة كما هى فلم تزود بالمؤلفات الحديثة ، ولم تخرج الكتب عن دائرة الصناديق الخشبية التى وسعتها .

ومما تجدر الإشارة اليه فى هذه المناسبة أن البابا مكاريوس الثالث عندما لجأ إلى دير الأنبا بولا فى ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٤ على إثر نزاعه مع المجلس الملى العام

جمع عدداً من الملازم المتناثرة فى الحصن والكنائس ، وصاغ منها كتباً كانت على وشك الفناء ، كما قام بتجليد بعض الأسفار وترميم المخطوطات المتهالكة .

دير الأنبا بولا فى الكتب السريانية

يرى مؤرخو السريان من أرثوذكسيين وباباويين أن دير الأنبا بولا كان ملكا لجاليتهم التى كانت تسكن القاهرة وبعض المدن الكبرى منذ زمن بعيد.

فمن الفريق الأول يقول البطريرك مار أغناطيوس افرام الأول فى كتابه اللؤلؤ المنثور ص ٢٣ « وكان فى دير الأنبا بولا خزانة كتب سريانية عديدة ذكرت بعد أيام قسطنطين الأول رئيس دير السريان فى القرن الحادى عشر » .

ومن الفريق الآخر القس اسحق أرمله الذى نشر فى مجلة المشرق سنة ١٩٢٥ بحثاً مطولا عن السريان فى مصر جمعه أخيراً فى كتيب صغير قال فيه إن دير الأنبا بولا كان أحد الأديار التى سكنها السريان فى القطر المصرى. وعن هذا المؤلف أخذ القس بولس قرآلى صاحب المجلة السورية فقال فى كتابه « السوريون فى مصر » ص ٥٩ أثناء حديثه عن الأديرة السريانية « دير الأنبا فولا بجانب دير مار أنطونيوس وكان فيه مكتبة سريانية نفيسة » .

ونحن مع احترامنا لآراء هؤلاء المؤرخين وفى مقدمتهم البطريرك الأنطاكى الجليل المعروف بسعة علمه وفضله نؤكد لهم فى صراحة وقوة أن دير الأنبا بولا لم يكن قط فى أى عصر من العصور مؤسسة سريانية ، ولم نجد فيه ما يؤيد هذه المزاعم كتابة أو أثراً.

الغراب الخشبى

يرى الزائر لكنيسة الحصن القديم التى برسم السيدة العذراء قطعة من الخشب مصنوعة على شكل غربان متماسكة يقول الآباء إن أحد الرهبان من أسلافهم القدامى عملها بحكمة عويصة لم يكشف الزمن عن أسرارها بعد . وذلك ليطرد بها

هذا النوع من الطيور المؤذية التى كانت تغير على ثمار حديقتهم الصغيرة ، فبينما يرى الانسان أسراباً منها بدير مار أنطونيوس فإن ما يشاهده فى دير الأنبا بولا لا يزيد عن زوج واحد ! فهل كان هذا الراهب من نسل حكماء الاسكندرية الذين منعوا هذا الطائر من دخول مدينتهم حتى يومنا هذا ؟ !

خراب الدير وإعادة تعميره

اتفقت معظم مصادر التاريخ الكنسى التى لدينا أن دير الأنبا بولا تعرّض لهجوم عربان الصعيد مع دير الأنبا أنطونيوس سنة ١٤٨٤ م وأن البدو قتلوا معظم رهبانه إن لم يكن جميعهم وأحرقوا مكتبته الثمينة وذخائره المقدسة وظل خرباً مهجوراً حتى قام البابا غبريال السابع ١٥٢٠ - ١٥٦٨ م خريج دير السريان بتعميره مع الدير الآخر . إلا أن عربان بنى عطيه الذين ألفوا الإقامة فى هذا الدير وقت خرابه عز عليهم تعميره مرة أخرى فهاجموه بوحشية وشنقوا راهباً فى داخله وطردوا الآخرين أو اتخذوهم عبيداً فتلقى البابا الاسكندرى نبأ هذه الكارثة بحزن بالغ ولكنه تغلب عليها بروحه العالية وعزيمته القوية وأعاد تعمير الدير للمرة الثانية فأرسل اليه جماعة من الرهبان وزودهم بكل ما يحتاجون اليه من غذاء وكساء . ولكن مما يؤسف له أن الدير لم ينعم باستقراره طويلا فعاد إلى خرابه للمرة الثالثة بعد عشرين عاما ، وظل مهجوراً حتى جلس على السدة المرقسية البابا يؤانس السادس عشر ١٦٧٦ - ١٧١٨ الذى توجه لزيارة دير مار أنطونيوس ، ومن هناك أرسل القمص مرقس رئيس الدير المذكور ومعه القمص تادرس والقس شنوده وبعض الرهبان الأقوياء وعدداً من البنائين والفعلة والنجارين فقاموا بإصلاح الكنائس والقلالى وترميم الأسوار ، ولما فرغوا من هذه العملية الكبيرة أخطروا البابا بذلك فحضر إليهم يوم الخميس الموافق ١٦ بشنس سنة ١٤٢٠ ش ١٧٠٤ م ومعه مجموعة من الأوانى والقناديل وما يلزم الكنائس من أبسطة وسجاجيد . وفى اليوم التالى قام بنفسه بفرش الكنيسة وتعليق القناديل وأخذ فى

تدشين المذابح والأيقونات ، ولما فرغ من هذه الخدمة الجليلة استراح قليلا ثم عاد إلى دير أنطونيوس ومنه إلى المقر البطريركى بالقاهرة بعد أن عين القس بشاره رئيسا للدير ، وجعل تحت تدبيره أربعة من الرهبان الأنطونيين الذين كانوا سببا مباشراً فى عمار الدير إلى يومنا هذا .

الوحدة بين الديرين

من الروايات المتواترة بين رهبان البرية الشرقية أن ديرى أنطونيوس وبولا كانوا تحت إدارة واحدة حتى أوائل القرن التاسع عشر ، ولكن ليس من السهل تحديد زمن الوحدة أو نهايتها .

ويقول الأب سيكار الذى زار صحراء العرب سنة ١٧١٦ م أنه شاهد أثناء وجوده هناك رئيساً واحداً لكلا الديرين يقوم بتدبيرهما معاً . وقد كان الرئيس يقوم بإرسال طالبى الرهبنة إلى دير الأنبا بولا لتهذيبهم على أيدى الشيوخ ، وبعد أن يتم تدريبهم ويلبسون الزى الرهبانى يبعث بهم إلى دير مار أنطونيوس ليعملوا هناك فى حدائقه الواسعة ولا يعودون إلى المكان الذى ترهبوا فيه أولا إلا فى سن الشيخوخة حيث يكونون فى حاجة إلى الراحة والاستجمام .

الباباوات الأنطونيون ودير الأنبا بولا

قام الباباوات الأنطونيون بخدمات جزيلة نحو دير الأنبا بولا ، وذلك رعاية لحسن الجوار وتكريماً للصلات الروحية القوية التى كانت تربط بين مؤسس الرهبنة والسائح العظيم .

إلا أن بعضهم ميزوا ديرهم بامتيازات خاصة لا يجب أن تكون فى رهبنة تشترك فى وحدة الزى والعقيدة . فقد جعل البابا بطرس السابع أمر رعاية المسيحيين فى بوش وما يتعلق بهم من خدمات طقسية قاصراً على الكهنة من رهبان مار أنطونيوس ، وغالوا فى ذلك حتى كانوا يقومون بتجنيز رهبان دير الأنبا بولا

داخل كنيستهم دون أن يشركوا معهم أحداً من كهنة الدير المذكور حتى ولو كان أسقفاً ! .

وقد ظلت هذه التحديدات قائمة إلى أن مزق وثيقتها القمص ميساك سنة ١٩٣٣ عندما كان وكيلا لديره ، وهو نيافة الأنبا أرسانيوس الحالى ، وأمر رهبانه أن يقوموا بتأدية الشعائر لكل من يقصدهم من مسيحيي البلدة والقرى المجاورة ، لا سيما الذين يعملون فى خدمة الدير ، بعد أن أفهم الكهنة من رهبانه أنهم متساوون فى الرتب الكهنوتية مع قساوسة الدير الآخـــر ، ولا يختلفون عنهم فى الجنس والعقيدة ! !

إلا أن المسئولين فى دير الأنبا أنطونيوس لم يرضوا بهذه الانتفاضة ، ورفعوا شكواهم إلى البابا يؤنس التاسع عشر وأطلعوه على القرارات البطريركية السابقة ، وطالبوه بالعودة إليها ، لكنه رفض أن يأخذ بها ، إذ ليس لها ما يؤيدها ، ولا تتفق مع المساواة التى هى روح الرهبنة السليمة .

وقد تجددت هذه المحاولة فى عهد البابا يوساب الثانى ، ومع أنه كان أنطونياً إلا أنها لم تصادف منه قبولا ، ومن ثم تساوى الديران رهبنة وطقساً فى الجبل والمدينة .

بطاركة من دير الأنبا بولا

تخرج من هذا الدير ثلاثة بطاركة استدعوا الرسامة من بين أسواره ولكن سبقت لهم الإقامة فى دير مار أنطونيوس وربما كان ذلك فى سنى الوحدة التى جمعت رهبان الديرين تحت رئيس واحد . وهؤلاء الثلاثة هم :

البابا بطرس السادس

هو القمص مرجان الأسيوطى الذى عندما قام البابا يؤانس السادس عشر بتعمير الدير جعله عليه رئيساً فأخذ يعمل على تنميته وازدهاره حتى أختير للبطريركية فى ٢١ أغسطس ســـنة ١٧١٨ م باسم البابا بطرس ، وقد زار على أثر ترقيته مدينة

الاسكندرية وتبارك من رأس الكاروز العظيم ، وعندما علم أن هناك مؤامرة تدبر لاختطافها إخفاها فى مكان أمين من المقبرة البطريركية وبعد أن طاف مفتقداً شعبه فى بلاد الوجهين البحرى والقبلى اختاره الرب لجواره فى ٢ أبريل سنة ١٧٢٦ م .

البابا يؤانس السابع عشر

كان يسمى القمص عبد السيد الملوانى وأرسله البابا يؤانس السادس عشر مع القمص مرجان إلى دير الأنبا بولا فأقام به صائما مصليا عاكفا على درس الكتب المقدسة حتى قرع صيته مسامع أراخنة الأمة الذين كانوا وقتئذ يعملون على ملء الكرسى البطريركى فوضعوا اسمه بين المرشحين واقترعوا عليهم فأصابته القرعة ورسم فى ١٢ يناير سنة ١٧٢٧ م فجعل باكورة أعماله إصلاح الأديرة وترميم ما تهدم منها وفى مقدمتها دير الأنبا بولا فبنى به كنيسة وذهب لتكريسها بنفسه وكان برفقته الأنبا ابرام أسقف البهنسا وذلك كما أفادت إحدى المخطوطات الطقسية رقم ٢٤٣ بمكتبة دير الأنبا أنطونيوس .

وفى عهده زيدت الضرائب على النصارى وعم القحط واشتد الغلاء ونكبت البلاد بزلزال عنيف وتنيح فى ٢٠ أبريل سنة ١٧٤٥ م

البابا مرقس السابع

ولد فى قلوصنا من أعمال سمالوط وترهب باسم الراهب سمعان وبعد أن عاش زمناً بدير مار أنطونيوس نزح منه أخيراً إلى دير الأنبا بولا وعاش هناك فى نسك وعبادة بصفة مستديمة ولما خلا الكرسى البطريركى اتفقت كلمة الاكليروس والشعب على انتخابه فجاءوا به من دير الأنبا بولا إلى كنيسة أبى السيفين بمصر العتيقة ورسموه بطريركا فى ٣٠ مايو سنة ١٧٤٥ م باسم البابا مرقس السابع .

وقد قاسى هذا البطريرك أهوالا كثيرة من شعبه ومن غير المؤمنين ولما أرهقته المتاعب قصد إلى دير العدوية للراحة والاستجمام فأدركته المنية هناك فى ١٨ مايو سنة ١٧٦٩ ودفن فى دير أبى السيفين .

خريجو الدير من الأساقفة

يعتبر هذا الدير أقل الأديرة القبطية إنتاجاً للمطارنة ، وهاك ما وصلت إلينا أسماؤهم من خريجيه :

الأنبا اخريستوذولوس ١٧٩٧ - ١٨١٩ م

كان أسقفاً لبيت المقدس وقام بترميم الدير وتوسيعه سنة ١٨١٥ فخلد اسمه فى سفر الأحياء العاملين .

الأنبا بطرس

عينه البابا كيرلس الرابع أسقفاً لمصر سنة ١٨٥٤ وكان يمت إليه بصلة القرابة فأحيا برسامته هذه الأسقفية وكانت قد ألغيت منذ زمن ولكنها عادت إلى ما كانت عليه بعد وفاة الأنبا بطرس .

الأنبا مرقس

رسمه البابا كيرلس الرابع أسقفاً على البحيرة وجعله وكيلا للكرازة المرقسية بمدينة الاسكندرية ، وكان يطمع فى الحصول على المنصب البطريركى بعد نياحة ديمتريوس الثانى ولكنه لم يظفر به وهو الذى استصدر فرماناً سنه ١٨٧٣ بإنشاء المجالس الملية ومات سنة ١٨٨٧ م ودفن فى دمنهور .

الأنبا ديمتريوس

شرطنة البابا كيرلس الخامس على كرسى المنيا والأشمونين سنة ١٨٩٩ وتنيح سنة ١٩٠٤ .

الأنبا كيرلس

عينه البابا يوساب الثانى على كرسى البلينا فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٨ .

رؤساء دير الأنبا بولا

على الرغم من المنزلة الرفيعة التى يتبوأها الأنبا بولا فى الكنيسة القبطية فإن

ديره لم يحصل على الشهرة الواسعة التى تتناسب مع مقامه وذلك لأن الأنبا بولا لم يكن مؤسساً للرهبانية بالمعنى المعروف كمار أنطونيوس ، ولا زعيما لجماعة كبيرة كالقديس مكاريوس ولا مبتكراً للقوانين كالاشتراكى باخوميوس بل كان سائحاً فى الجبال منقطعاً عن العالم غير معروف من الناس ولا يعرف أحداً منهم ، ولو لم يذهب إليه أنطونيوس لظل مجهولا فى مكانه ومات وكأنه لم يكن .

كما أن وقوع الدير فى بقعة نائية بين الجبال الشاهقة عرّضه لتخريب البدو الذين سطوا على مكتبته أكثر من مرة وأحرقوا مخطوطاتها الثمينة فصارت لا تحتفظ بشىء عن تطورات الدير وأحداثه السابقة .

أما رؤساء الدير فنحن نعلم على ضوء المخطوطات التى لدينا انه عندما تخرب أعيد تعميره فى النصف الأول من القرن السادس عشر بواسطة رهبان دير السريان الذين قدموا إليه فى دفعتين وكانوا فى كل مرة يأتون تحت أمرة رئيس منهم وإن كنا لا نعرف اسمى هذين الرئيسين ، إلا أننا سنضع نقطاً للدلالة على وجودهما المؤكد عند ذكر أسماء الرؤساء الذين سنقدم موجزاً عنهم .

القمص . . .

أرسله البابا غبريال مع تسعة من رهبان دير السريان لتعمير دير الأنبا بولا فى الدفعة الأولى .

القمص . . .

بعث به نفس هذا البابا عند تعمير الدير المذكور للمرة الثانية وكان بمعيته رفاق من دير السريان لم نتمكن من معرفة عددهم .

نيافة الأنبا أرسانيوس
أسقف دير الأنبا بولا الحالى

القس بشاره

كان راهبا أنطونيا عينه البابا يؤانس السادس عشر رئيساً على دير الأنبا بولا عندما أعاد تعميره كما ذكرنا وجعل تحت رئاسته أربعة من الرهبان الذين قدموا معه من دير مار أنطونيوس .

القس مرجان

كان رئيساً للدير فى عهد البابا يؤنس السالف الذكر ، ولعله كان خلفاً للقس بشاره الرئيس السابق ، أو أن الأول كان رئيساً محلياً يقيم فى الدير بين الرهبان ، والآخر عاماً يسكن فى بوش لإدارة أملاك الدير وأرزاقه كما هى العادة المتبعة الآن .

القمص عبده

ويعرف بالمنهراوى وكان معاصراً للمعلم ابراهيم الجوهرى وباعه منزلا فى القاهرة فظير عشرة أفدنة للرهبان بحجة مؤرخة فى شهر المحرم سنة ١١٩٤ هـ الموافق يناير سنة ١٧٨٠ م

القمص ابراهيم جرجس

عاش فى حبرية البابا بطرس السابع كما يظهر من مشترياته التى سجل بعضها بحجة مؤرخة فى شعبان سنة ١٢٣١ هـ الموافق يونيو سنة ١٨١٦ م

القمص ملطى أنطونيوس

اشترى للدير سبعة أفدنة تعرف بأرض الجنينة والقصر ، إذ يقوم على جزء منها معظم المبانى المرفقة بعزبة الأنبا بولا ببوش ، وتاريخ حجتها الشرعية هو ٢٩ صفر سنة ١٢٥٥ هـ الموافق أبريل سنه ١٨٣٩ م

القمص منقريوس حنا

ولد فى أبو قرقاص وعندما أسندت إليه الرئاسة بنى فى العزبة كنيسة برسم الأنبا بولا . ومن مشترياته حجة مسجلة فى ١٨ رجب سنة ١٢٧٧ هـ الموافق يناير سنة ١٨٦١ م

القمص بطرس ميخائيل

كان من رؤساء الدير الأكفاء فاشترى باسم رهبانه ٨٧ فداناً واستبدل بعض

أطيانهم بما يعادلها من أطيان الخديوى اسماعيل ، وقد أصيب فى النهاية بلوثه فى قواه العقلية وانتهت حياته الرهبانية بمأساة أليمة خلع الزى الكهنوتى ومات بعيداً عن كنيسة المسيح وكان ذلك فى أوائل الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

القمص حنا مشرقى

تولى الرئاسة بعد سلفه فى حبرية البابا كيرلس الخامس وأظهر حزماً فى موقفه من الرئيس السابق الذى حاول الاستيلاء على الأطيان التى اشتراها فى أيام رئاسته بعد أن نكب فى إيمانه ! كما ساهم فى اقتصاديات الرهبان بما اشتراه لهم من أرض وعقار يكشف عنها عقد مؤرخ فى ١٥ رمضان سنة ١٣١١ هـ الموافق ٢٢ مارس ١٨٩٤م

الأنبا ارسانيوس الأول

تولى الرئاسة باسم القمص فانوس القرقاصى ولما وقف البابا كيرلس الخامس على محبته للرهبان وإخلاصه فى العمـــل رسمه أسقفاً على الدير فى ١٧ أكتوبر سنة ١٨٩٧ م فضاعف خدماته وشيد فى العزبة قصراً جميلا وتنيح فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م

القمص مرقس جرجس

كان من مدينة أخميم ، وعمل وكيلا للأنبا أرسانيوس ثم خلفه فى الرئاسة . وقد دعى لرتبة الأسقفية بعيداً عن الدير فرفض مراراً لأنه كان يطمع فى منصب البطريركية وفى سبيل الحصول على مطامعه انتهز فرصة نزاع المجلس الملى العام مع المجمع المقدس بشأن أوقاف الأديرة وبادر بتسليم جميع ما فى عهدته إلى الطرف الأول فوقف الرهبان فى وجه محاولاته الآثمة ولم يمكنوا المجلس من إدارة أملاكهم. فلما رأى أن خططه قد باءت بالفشل وأصبح من المتعذر عليه مواجهة المسئولين فى المجمع المقدس ترك الدير فى أغسطس سنة ١٩٢٨ ولم يعد إليه مرة أخرى .

القمص عبد المسيح النزلاوى

كان من شيوخ الرهبان الأجلاء فرشحوه لرئاسة الدير بإيعاز من الأنبا يؤانس

النائب البطريركى وقتئذ وكان قد تعرف به عند نفيه إلى دير الأنبا بولا سنة ١٨٩٢ لدفاعه عن أوقاف الأديرة .

وقد امتاز هذا الرئيس بحرصه الزائد على أموال الدير وعدم التفريط فى شىء منها إلا للضرورة القصوى ، كما كان ملماً بالعقائد الأرثوذكسية ويناقش بفهم وتواضع الخارجين عليها ، ولما أكمل رسالته توفى فى ٢٢ مارس سنة ١٩٣٣

القمص ميساك موسى

كان وكيلا لأوقاف الدير بالقاهرة ومشرفاً على مدرسة الرهبان اللاهوتية بحلوان بتفويض من البابا يؤانس التاسع عشر ، وبعد نياحة القمص عبد المسيح النزلاوى أختير للرئاسة بالإجماع فنهض بالدير وعمل على رفع مستوياته الروحية والأدبية ، كما احتفظ للرهبان بكرامتهم فى مختلف الأوساط. ولكنه لأسباب خاصة استقال من منصبه فى ١٥ فبراير سنة ١٩٣٦ وأقام فى الدار البطريركية .

القمص متى تادرس

ترهب فى دير الأنبا بولا وبعد أن رسم كاهناً وخدم زمناً فى كنيسة القيامة عاد إلى ديره فعين وكيلا ثم رئيسا لفترة قصيرة بدأت من ١٥ فبراير سنة ١٩٣٦ وانتهت فى ١٨ أكتوبر من نفس السنة .

القمص كيرلس خليل

استلم الرئاسة بعد استقالة القمص متى وتخلى عنها فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣٨ ثم عين وكيلا لأوقاف الدير بالقاهرة وظل يقوم بعمله إلى أن استدعاه البابا يوساب الثانى لرتبة الأسقفية ورسمه على كرسى البلينا باسم الأنبا كيرلس فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٨

القمص ميساك ثانية

أو الأنبا أرسانيوس الثانى

ظلت رئاسة الدير فى مد وجزر بعيدة عن الاستقرار والسكينة حتى رأى

البابا يؤانس التاسع عشر أن يضع حداً لذلك فأعاد القمص ميساك إلى منصبه فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣٨ بناء على طلب الرهبان الذين رأوا أن ديرهم قد بات فى تخلف خطير ، فأخذ فى الحال يزاول نشاطه ويعمل على تنمية الدير روحيا واقتصاديا .

ولما جلس على كرسى البطريركية البابا يوساب الثانى ووقف على خدماته الجليلة رأى أن يكافئه برتبة رفيعة فرسمه أسقفاً على الدير باسم الأنبا أرسانيوس فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٨

وقد شيد نيافته لديره أكثر من عمارة سكنية فى أحياء القاهرة الرئيسية ، كما اهتم برفات شفيعة البار الأنبا بولا فبنى عليها قبراً رخامياً جميلا ، وقام فى الدير بعدة إصلاحات على نطاق واسع .

وادى النطرون والأديرة الغربية

موقعه الجغرافى

يقع هذا الوادى غرب الدلتا على امتداد مديرية التحرير ، وهو عبارة عن منخفض فى الصحراء الليبية يتجه من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى، طوله ستون ألف متر وعرضه عشرة آلاف متر ، وأحط منسوب بحيراته التى لا يقل طولها عن ثلاثين ألف متر هو اثنان وعشرون متراً تحت سطح البحر .

وماء هذه البحيرات المتناثرة فى جهات مختلفة من الوادى هو فى الأصل ماء عذب يتسرب إليها من النيل إلا أن طعمه يتشكل مع التربة التى يمر بها ، وهى إما ملحية أو نطرونية أو كبريتية . ولارتباط هذه البحيرات بشبكة مياه النيل الجوفية نراها تتأثر بمواسمه السعيدة ، فترتفع عند الفيضان وتنخفض أيام التحاريق حتى أن بعضها يجف تماما .

تاريخه السياسى

كان وادى النطرون قديماً جزءاً من الأراضى الليبية التى كان سكانها يغيرون على الأجزاء الشمالية الغربية من بلاد الدلتا ويوسعون سكانها نهباً وسلباً ، واستمر الحال على هذا الوضع حتى قام رمسيس الثالث سنة ١١٧٠ ق . م ووضع حداً لهذه الحملات التخريبية فاشتبك مع الغزاة فى موقعة حربية وساقهم أمامه فى هزيمة منكرة حتى ألقى بهم خلف حدودنا الحالية المعروفة، وقد دوّن ذلك على جدران قصره الذى بناه فى مدينة آبو - طيبه .

ويقول استرابون الذى زار مصر فى القرن الأول الميلادى ، إن هذا الوادى كان يسمى على أيامه باقليم النطرون وكان الناس يستخرجون من منابعه مقادير كبيرة من ملح البارود ، وأن سيرابيس إله مصر فى عهدى البطالسة والرومان كان يعبد من ساكنيه ، كما كانت الشاة دون غيرها تقدم فيه قرباناً لهذا الإله .

الوادى وآثاره العمرانية

يؤخذ من الوثائق القديمة والأنقاض التى ما زالت متراكمة فى بعض جهات الوادى أنه كان آهلا بالسكان الذين ابتنوا لأنفسهم المدن والقرى ، والتى عرف المنقبون ثلاثة منها وهى : سياتيس ونيتريا وبيامون .

وقد أشار إلى المدينة الأولى بطليموس الجغرافى الذى عاش فى القرن الثانى للميلاد وقال : إنها تقع فى ليبيا المصرية جنوبى مريوط . ويقول الأمير عمر طوسون فى كتابه وادى النطرون ، حيث أن المدن لا توجد إلا فى المناطق المائية وأن الماء لا يتوفر إلا فى وادى النطرون ، فلابد أن هذه المدينة كانت تقوم فى وسط الوادى .

أما نيتريا فقد ذكرها شامبليون نقلا عن القديس ايرونيموس « جيروم » الذى زار الأديرة المصرية فى القرن الرابع ، كما تحدث عن المدينة الأخيرة المسماة بيامون مخطوط بالفاتيكان فى سياق كلامه عن مذبحة شيوخ شيهيت الذين قتلهم البربر فى عهد الامبراطور ثيودوسيوس الثانى ٤٠٨ - ٤٥٠ م ، وقد أخذ اميلينو عن هذا المخطوط فقال فى جغرافيته أن بيامون كانت قائمة فى الصحراء على مسافة قريبة من دير القديس مكاريوس ، وكان بجوارها برج كبير ترابط به حامية لحراسة المصريين الذين يأتون لاستخراج النطرون وحمايتهم من البربر .

وفى الأماكن التى تتراكم بها أنقاض المدن ومصانع الزجاج كان غلمان الأعراب من رعاة الأغنام ينبشون الأرض فيجدون نوعا من العملات البرونزية والنحاسية التى كانت متداولة فى أيام البطالسة والرومان ، كما عثر بعضهم على أباريق وأوانى خزفية مختلفة الأحجام رأيت بعضاً منها كان فى منتهى الدقة والجمال .

أسماء الوادى

عرف الوادى فى الأزمنة الماضية بأسماء مختلفة ، فدعاه المصريون على عهد

البطالسة سخت - همام Sekhet - Hemam أى حقل الملح ، وذلك كما أفادت النقوش القائمة على جدران معبد ادفو .

وأطلق عليه بطليموس الجغرافى الذى أشرنا إليه آنفا سيتياكا - ريجيو Sycthiaca - Regio

أما فى العصر المسيحى فكان له عدة أسماء منها شيهات وشيهيت والأسقيط والبرية الغربية وبرية مكاريوس ووادى الرهبان ، ووادى الملوك نسبة إلى مكسيم ودوميس ابنى الامبراطور فالنتيان الأول اللذين ترهبا به ، ووادى النطرون ووادى هبيب . والتسمية الأخيرة لم تعرف إلا فى عهد العرب ، ويرجح أن هبيباً هذا كان رأساً لعشيرة ضربت خيامها فى هذه البرارى .

حاصلات الوادى وحيواناته

درجت مصر منذ القدم على استغلال هذه المنطقة من الناحية الاقتصادية والاستفادة من حاصلاتها الشهيرة وهى النطرون والصودا والملح والحلفاء .

والنطرون الذى يستخرج منها بصنفيه الأحمر والأخضر هو الأول من نوعه فى الجودة والنقاء . وقد أشار إليه كمحصول رئيسى كثيرون من المؤرخين وفى مقدمتهم ابن مماتى فى كتابه قوانين الدواوين ، وابن دقماق فى الانتصار ، وابن الجيعان فى التحفة السنية ، والقلقشندى فى صبح الأعشى ، والمقريزى فى الجزء الأول من خططه ، وعلى باشا مبارك فى الكتاب السابع عشر من الخطط التوفيقية .

ولم ينس الرحالة الأجانب الذين زاروا الوادى أن يتحدثوا عن هذه المادة وكيفية استخراجها ونقلها إلى القاهرة أو تصديرها إلى بلاد أخرى ، فكتبوا عنها باسهاب ووضوح .

وكان قدماء المصريين يعولون كثيراً على النطرون ويجعلونه عنصراً هاما فى صناعة تحنيط الموتى التى عجز من معرفة أسرارها أطباء العالم الحديث ! . كما كانوا يستخدمونه فى عمل الزجاج وتبييض الكتان وأمور أخرى .

وأما الصودا فقد اهتمت بها شركة الملح والصودا ابتداء من أواخر القرن التاسع عشر وأدخلتها فى صناعات كثيرة .

ويوجد الملح بكثرة فى بعض بحيرات الوادى ورماله وأجوده الناصع البياض الخالى من الأخلاط النطرونية .

كما ينمو نبات الحلفاء فى مناطق معينة من الوادى ويستعمل فى صناعة الحصر وهى الأثاث الرئيسى فى دور العبادة ومساكن الفلاحين .

وتعيش فى البرية قطعان من الغزلان والأرانب والثعالب والذئاب وكانت به خنازير ضارية تقطن فى مستنقعات البردى ، ولكنها انقرضت تماماً منذ أوائل القرن العشرين .

وتمر بها فى مواسم معينة أسراب مختلفة من الطيور أشهرها نوع يقال له الحبارى أكبر من الدجاج وأطول عنقاً ، بهى المنظر جميل الرياش ، يمكن اقتناؤه كطائر أليف .

ولا توجد هناك ضباع وإذا تسللت إليها عن طريق الفيوم فإن الأعراب يقتفون آثارها ويفتكون بها حالا خوفاً على صغارهم وأغنامهم .

نيتريا ووادى النطرون

ذكر القمص منسى فى كتابه تاريخ الكنيسة القبطية ص ١٩٠ عند حديثه عن الرهبان الأشقاء المعروفين بطوال القامة أنهم كانوا يسكنون فى جبل نيتريا وترجم نيتريا هذه بالفرما . والحال أن الفرما هى مدينة بيلوزا القديمة التى كانت تقوم عند المصب البيلوزى . وقد تخربت وقامت على مقربة من أنقاضها مدينة بورسعيد الحالية ، وشتان بين بورسعيد التى تقع فى الشمال الشرقى من الدلتا ونيتريا التى هى من مريوط فى الجنوب الغربى .

وإن كنا لا نستطيع تحديد موقع هذه المدينة ولكن فى تسميتها ما يؤكد أنها كانت فى وادى النطرون ، وربما كانت عاصمة له عندما كان قسما إدارياً من أقسام البلاد فى عهد حكم الفراعنة لأن اسمها يطلق تارة على كل الوادى وطوراً على بقعة معينة كما ورد فى معظم السير الرهبانية .

أما جبل نيرى وجبل برنوج فيقول عنهما القمص عبد المسيح المسعودى فى كتابه « تحفة السائلين » إما أنهما يجاوران جبل شيهيت أو هما موضعان منه وقد بنى رأيه هذا على ما جاء فى مذكرات البابا بنيامين الأول التى دونها وهو فى طريقه إلى دير القديس مكاريوس لتكريس كنيسته العظمى . ومفادها أنه قام فى الثانى من شهر طوبه وسار على فم البحيرة حتى وصل إلى تروجه ومنها إلى جبل نيرى المجاور لجبل برنوج وبعد أن قضى يومين فى ضيافة الاخوة تحرك ركبه فى الغد إلى البرية الداخلية ومعه البعض من رهبان نيرى الذين تطوعوا ورافقوا موكب البطريرك فى رحلته ، ليكشفوا له عن مجاهل البرية ، ولم ينصرفوا من خلفه حتى أوصلوه إلى جبل النطرون .

ويرى آخرون أن نيتريا القديمة سميت فى العصر القبطى برنوج أو جبل برنوج حيث تقوم على مقربة منه قرية البرنوجى القديمة التى ما زالت تحتفظ بتسميتها إلى هذا اليوم بين البلاد التابعة لمركز دمنهور . وأصحاب هذا الرأى يؤيدونه بأقوال بلاديوس وروفينوس اللذين زارا البرية فى أواخر القرن الرابع . وقدر أولهما المسافة بين جبل نيتريا والاسكندرية بأربعين ميلا رومانياً ، وهى حقيقة يدركها المرء عند سفره بين البلدين فى الوقت الحاضر .

البرية بين الكتاب والتقليد

جاء فى سفر طوبيا ، وهو أحد الكتب المتأخرة قانونيتها ، أن الملاك روفائيل قبض على الشيطان « ازموداوس » الذى قتل أزواج سارة السبعة وقيده فى برية مصر العليا بعد هروبه منهزماً من رائحة الدخان المتصاعد من شواء كبد الحوت وقلبه .

وذكر متى الانجيلى أن يوسف هرب بالطفل وأمه من وجه هيرودس إلى أرض مصر (مت ٢ : ٢٠) وجاء فى التقليد الكنسى الشريف أن العائلة المقدسة عبرت فرع النيل الكانوبى بعد زيارة سمنود وتوجهت نحو الغرب حتى وصلت تجاه

الوادى فقدسه الطفل وباركته العذراء . فإن صحت آراء بعض المفسرين بأن البرية العليا هى الصحراء الغربية التى تعلو مدينة مصر ، والتى دعاها السريان فى الكتب الموقوفة على الدير المنسوب إليهم ببرية الصعيد ! فتكون زيارة المسيح لها هى الهزيمة الكبرى لإبليس وكل أجناده من الأرواح النجسة الذين ولوا مولولين ولسان حالهم يقول مالنا ولك يايسوع الناصرى أتيت قبل الوقت لتعذبنا . ومن ثم صارت مسكناً لرجال الله الصالحين الذين سحقوا الشياطين بأصوامهم وطاردوها بصلواتهم الخارجة من قلوبهم المنسحقة وشفاههم التى لا تفتر عن الحمد والدعاء .

البرية والحياة الرهبانية

يقول الأب شينو Chenau فى الجزء الأول من كتابه قديسو مصر ص ٤٧٤ أن القديس فرنتون الذى اعتنق الحياة الرهبانية فى منتصف القرن الثانى كان أول من فكر فى عيشة العزلة بالصحراء الغربية ، وعلى وجه التحديد فى جبل نيتريا . ومع أن الكتب الرهبانية لم تشر إلى أخبار كهذه إلا أن كرزون يؤيد هذه الرواية بقوله فى كتابه « زيارات أديرة الشرق » ص ٧٦ أن فرنتون اعتزل الحياة فى هذا الوقت بوادى النطرون ومعه سبعون أخاً . ويفهم من العبارتين أن مؤرخى الغرب لم يميزوا بين نيتريا ووادى النطرون فجعلوا منهما فى معظم الأحيان مكاناً واحداً .

أما السير الرهبانية القبطية فتعطى المنزلة الأولى بين سكان البرية الغربية للقديس آمون ومكاريوس المصرى ومكاريوس الاسكندرى الذين بعد أن تتلمذوا للقديس أنطونيوس فى الجبل الشرقى صرفهم عنه إلى البرية الغربية . فمضى آمون إلى نيتريا والمصرى إلى شيهات والاسكندرى إلى القلالى وهى شمالى شيهيت وفى الجنوب الغربى من نيتريا ، وهناك تزعموا الحركة الرهبانية التى ازدهرت على أيديهم وجعلت البقاع المقفرة تفيض طهارة وبراً . فيذكر روفان Rufin الذى زار البرية سنة ٣٧٢ م أن عدد الأديرة فى ذلك الوقت كان خمسين ديراً . وأضاف كرزون الذى أورد رواية Rufin أن بلاديوس عندما زار البرية سنة ٣٨٧ م قدر ساكنيها

بخمسه آلاف راهب فيكون متوسط عدد الرهبان فى الدير الواحد هو م

(وادى النطرون وأديرته ص ٤٨)

وقد ازداد عدد الأديرة فى المناطق الممتدة من الاسكندرية إلى ج
النطرون وكثر الرهبان الذين كانوا يقطنون فى المغائر وشقوق الأر
الفرس عندما أغاروا على البلاد سنة ٦١٤ م خربوا للأرثوذكسيين
وضواحيها ستمائة دير كانت عامرة بالرهبان والراهبات ، وذلك كما ج
البابا وين بطرس الرابع واندرونيقوس وعنهما أخذ القمص منسى يوح
تاريخ الكنيسة القبطية ص ٣٩٨ . ولكن هذه الأديرة عادت فتجددت
مرة أخرى وزحفت الرهبنة من شيهيت إلى الأقاليم الجنوبية . فيذ
الأشمونين فى سيرة البابا خائيل الأول أن الأنبا ابرام أسقف الفيوم
هذا البطريرك كان يرأس فى بلاده خمسة وثلاثين ديراً عامرة بالرهبان .

كما يقول المؤرخون أن الأنبا صموئيل المعترف بعد أن غادر وادى الن
من وجه رجال القيصر توجه إلى جبل القلمون وأسس هناك رهبنته المع

وجاء فى الجزء الثانى من دليل المتحف القبطى ص ٢٤٣ عند الكلا
مدينة الجيزة انه كان فى لحف الجبل المجاور لها خمسون ديراً عامرة . و
فيه أن أديرة الفيوم والجيزة وغيرها من المناسك المتناثرة فى سفح ا
حتى جنوبى مدينة أسيوط كانت امتداداً للرهبانيات العظمى التى قام
والقلالى وشيهات وانتشر صيتها فى كل الأرض .

وروت بعض المصادر أن رهبان وادى النطرون عندما سمعوا بأن أد
ملكت البلاد سار منهم إلى عمرو سبعون ألفاً حفاة الاقدام بثياب ر
منهم عكازاً . . ! وطلبوا منه أن يمنحهم حريتهم الدينية ويأمر برجو
من المنفى ، فأجاب عمرو طلبهم وأمر بعودة البابا بنيامين الذى كان لا
الوطنية أكثر مما يعرفه أصحاب العكاكيز من الرهبان السذج الذين حس
الروم عن بلادهم واستيلاء العرب عليها لا يزيد فى نظرهم عن استبدال بط

مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

الأديرة بعد فتح العرب

كان الدير قديماً عبارة عن مجموعة من قلالى الرهبان المنحوتة فى الصخر أو المصنوعة من القصب أو أغصان الشجر كالجريد وغيره ، تقوم فى وسطها كنيسة وبيت لحفظ مؤونة الدير وإيواء الزائرين .

ولما بدأ حبل الأمن ينصرم فى هذه الأماكن شيد الرهبان فى كل دير حصناً منيعاً فى وسط مساكنهم يلجأون اليه عند الحاجة . وعندما أغار البربر على دير القديس مكاريوس وانصرفوا عنه بعد نهبه فكر البابا شنوده الأول ٨٥٠ — ٨٦١ م فى حماية الدير وتحصينه فأحاطه بسور منيع حتى لا يتمكن منه الأعداء متى أعادوا الكرة ومنذ ذلك الحين بنيت الأديرة غالباً على الصورة الحالية التى نراها .

وفى القرن العاشر بلغ عدد أديرة وادى النطرون المسورة نحو سبعة وثلاثين ديراً . استطاع الأمير السابق عمر طوسون أن يتعرف على خرائب عدد كبير منها ميزها بأنصاب من الخرسانة المسلحة تحمل أسماءها على لافتات نحاسية منها عشرة أديرة حول دير القديس مكاريوس ، وأربعة عشر فى الشمال الذى يميل قليلا إلى الغرب . كان أعظمها شأناً دير القديس يوحنا القصير ، والباقى منها حول دير سيدة برموس .

وفى أواخر القرن الرابع عشر الميلادى كتب الأنبا أثناسيوس أسقف قوص وصفا لزيارة البابا غبريال الرابع لأديرة وادى النطرون العامرة بعد أن فرغ من تكريس الميرون بدير القديس مكاريوس فقال : توجه البابا لزيارة دير أبو يحنس فى يوم الثلاثاء ٩ برمودة سنة ١٠٩٠ ش - ١٣٧٤ م فخرج لاستقباله رهبان الدير المذكور مع رهبان الحبش والأرمن فصلى معهم صلاة الساعة التاسعة وزار يوم الأربعاء أديرة بانوب والحبش والأرمن . ثم ذهب إلى دير الأنبا بشوى وصلى فيه السادسة وركب منه قاصداً دير برموس فصلى مع رهبانه التاسعة ، ورفع البخور وخدم الصلاة الأنبا أثناسيوس أسقف قوص ثم غادره متوجهاً إلى دير

سيدة برموس حيث صلى به الغروب وفى يوم الخميس زار دير السريان وصلى السادسة فى كنيسته . ثم ركب إلى دير يوحنا كاما وعاد منه إلى دير أبو مقار . وبعد أن استراح قليلا سافر إلى مقره البطريركى بمدينة القاهرة . ومن هذه الرحلة نفهم أنه كان فى وادى النطرون إلى ختام القرن الرابع عشر ، عشرة أديرة عامرة وهى : أبو مقار ، ويوحنا القصير ، وبانوب ، والحبش ، والأرمن ، والأنبا بيشوى ، وبرموس ، وسيدة برموس ، والسريان ، ودير يوحنا كاما .

الأسقيط والكنيسة الجامعة

كان الأسقيط فى عصوره الأولى فردوساً جامعاً لأجناس مختلفة من العالم المسيحى فقصده للترهب سنة ٣٨١ م القديسان العظيمان مكسيموس ودوماديوس ولدا فالنتيانوس عاهل الرومان ، وبعد أن أمضيا ثلاث سنوات فى النسك والتعبد تحت إشراف القديس مكاريوس تنيح الأول فى اليوم الرابع عشر من شهر طوبة سنة ٣٨٤ م ولحق به الآخر بعد ثلاثة أيام .

والقديس اينماجريوس « أوغريس البنطى » الذى ترهب فى نيتريا سنة ٣٨٣ م ومارس ضروباً مختلفة من أعمال التقشف الصارم والإماتة الذاتية حتى دعاه الرب إلى جواره بعد جهاد عنيف فى ختام القرن الرابع .

والبار أرسانيوس معلم أولاد الملوك الذى استهوته سيرة الرهبان المصريين فازدرى بثقافته الرفيعة وهاجر من روما إلى الأسقيط سنة ٣٩٤ م حيث توحّد بين رهبانه أربعين عاماً ولما تكررت غارات البربر على البرية تركها نهائياً سنة ٤٣٤ م ، وتوجه إلى طره وأقام على رأس جبل يشرف على شهران عشر سنوات كاملة ولكن البربر توسعوا فى غاراتهم حتى وقفوا على مشارف مصر فترك القديس مغارته ولجأ إلى كانوب قرب مدينة الأسكندرية ، وبعد أن صرف بها ثلاث سنوات عاد إلى منسكه الأول فى طره ولازم الصوم والبكاء والصمت والهدوء إلى أن لاقى ربه فى الثالث عشر من بشنس سنة ٤٤٩ وقد أقيم فوق معبده الذى تنيح به دير كان يعرف

بدير يحنس القصير، سمى أخيراً بدير البغل. وقد زاره أبو الحسن أحمد الشابشتى أمين دار كتب الفاطميين بالقاهرة سنة ٨٩١ ش ورأى به إحدى عشر كنيسة الأولى منها مكرسة باسم القديس أرسانيوس .

كما قدم البرية ليتتمع بفضائل رهبانها ويكتب عنهم القديس باسيليوس الكبير ٣٢٩ — ٣٧٩م الذى بعد أن طاف برارى مصر وشاهد رهبانها وما يقومون به من فضائل مختلفة عاد إلى بلاده ولزم العزلة فى برية بنطس ، وأسس الرهبنة المنسوبة اليه ووضع القوانين الخاصة بها ، ثم اختير رئيساً لأساقفة قيصرية الكبادوك ، وله رتبة قداس تستعملها الكنيسة القبطية على مدار السنة .

والقديس ايرونيموس الدلماطى ٣٤٢ — ٤٢٠ م « جيروم » الذى أحب الحياة النسكية فى مصر وتلذذ بسيرة رهبانها الأماجد فطاف بينهم واستمع اليهم ، ثم زار فلسطين وبنى له ديراً على مشارف بيت لحم واستطاع فى وحدته أن يترجم الكتاب المقدس من العبرانية واليونانية إلى اللاتينية ، وأن يضع تفسيراً قوياً لمعظم أسفاره . وتعتبر هذه الترجمة المعروفة بالفولغاتا النص القانونى فى الكنيسة اللاتينية .

والكاهن الجليل القس روفينوس الأكويلى ٣٤٥ — ٤١٠ م الذى جاء مصر مع نفر من أصحابه الرهبان ليرى بنفسه منازل النساك وكيف يجمعون بين الفقر المدقع مع القناعة الكاملة ، وأثناء تجوله فى نيتريا والقلالى وشيهات كتب اليه ايرونيموس سنة ٣٧٣ م رسالة يقول فيها « اسمع أنك قد توغلت فى أعماق مصر الخفية ، حيث تزور جماعة النساك وتطوف بالعائلة السمائية التى على الأرض » وكان روفينوس قبل أن تصله هذه الرسالة قد وضع نفسه تحت إرشاد معلمى الصحراء وفى مقدمتهم مكاريوس المصرى ، والأسكندرى ، وبامبو ، وإينسيذوروس وغيرهم ممن أشار اليهم بقوله « الذين علمونى ما تعلموه من الرب » .

وقد كان هذا الكاهن اللاتينى من أشد الناس إعجاباً بالعالم القبطى الجليل القديس أوريجانوس مدير مدرسة الأسكندرية فترجم من اليونانية إلى اللاتينية كتابه

المعروف « بالمبادىء » وذيله برسالة منه وضع فيها ما أدخله أصحاب أوريجانوس وخصومه فى كتاباته من الزخارف والدسائس المضعفة : (تاريخ الكنيسة القبطية ص ٢٢٦) .

وقد ذهب روفينوس إلى فلسطين وهناك التقى بالقديس ايرونيموس الذى كان يرتبط معه بصداقة قوية فوجده قد تأثر أخيراً بآراء أبيفانيوس ٣١٥ — ٤٠٣ م أسقف قبرص وصار من أشد الناس عداوة للعلامة أريجانوس ، وإذ فشل فى إقناعه بالطرق الودية تركه غاضباً سنة ٤٠٨ م وانصرف إلى روما .

ومن بين الذين نالوا شهرة واسعة فى التجول بين البرارى المصرية وتقصى الحقائق فى سيرة رهبانها القديس بلاديوس ٣٦٣ — ٤٢٥ م الذى بعد أن تنسك فى جبل الزيتون جاء إلى الأسكندرية سنة ٣٨٨ وتتلمذ لإيسيذوروس المحسن ودوروتيوس الطبيب ثم انتقل من عندهما إلى نيتريا والقلالى وشيهات وأسيوط ، وعاشر أقطاب الرهبنة أمثال أرسيزيوس الكبير وبتوباسطس وكرونيوس وسرابيون من زملاء القديس آمون ، ثم تتلمذ لمكاريوس الأسكندرى وأوغريس البنطى ، كما كان على اتصال دائم بأوريجانوس تلميذ بامبو والأخوين أمونيوس وديسقوروس الطويلين اللذين اضطهدا مع أخويهما من البابا ثاؤفيلوس لدفاعهما عن أوريجانوس أمير شراح الكتاب وحبيب العقول المستنيرة .

وفى ختام القرن الرابع رسم بلاديوس أسقفاً على كرسى هلينو بوليس من أعمال بيثينية كما تنبأ له القديس يوحنا الأسيوطى ، ولما نشأ النزاع بين ذهبى الفم والبابا ثاؤفيلوس الأسكندرى انحاز بلاديوس إلى جانب البطريرك يوحنا ، فنفته الملكة أفدوكيسيا إلى أسوان سنة ٤٠٦م ، وبعد أن قضى ست سنوات فى أرض مصر التى تهذب على شيوخها بالآداب الرهبانية عاد إلى غلاطية ، وفى سنة ٤١٩ وضع كتابه الموسوم بـ « تاريخ رهبان الشرق » وأهداه إلى صديقه لوسيوس والى الكبادوك فدعى « التاريخ اللوسياكى » وهو من أهم المراجع فى تاريخ الرهبنة المصرية .

ويحتل القديس يوحنا كاسيان ٣٦٠ — ٤٣٥ م منزلة مرموقة بين زائرى الأديرة

المصرية ويمتاز بالدقة فى وصف الأشياء التى رآها لاسيما الملابس الرهبانية التى كانت معروفة فى عصره ، كما نقل إلى اللاتينية معظم القوانين التى كان يسلك بموجبها الآباء فى نيتريا والقلالى وشيهيت . وبعد أن امتلأت نفسه من دسم البرية غادر مصر متوجهاً إلى القسطنطينية وهناك رسم شماساً من القديس يوحنا فم الذهب ثم عاد إلى روما ومنها إلى مارسيليا حيث أسس بها ديراً كان نواة للرهبنة الغربية .

وعلاوة على الزيارة التى قام بها للرهبان المصريين القديس ايلاريون الكبير ٢٩١ - ٣٧١ مؤسس الرهبنة الفلسطينية والقديس ابيفانيوس أسقف قبرص وبورفيريوس الغزاوى وفوتيوس الكبادوكى . فقد كانت البرية كما يقول سرابيون مليئة بالرهبان الأجانب الذين أقبلوا إليها من اليونان وأسبانيا وليبيا والخمس مدن الغربية وكبادوكيا وبيزنطة وايطاليا ومقدونيا وآسيا وسوريا وفلسطين وغلاطية وارمينيا وأثيوبيا حتى أن كنيسة ساليق النسطورية لما أعوزتها الحاجة إلى تنظيم مناسكها بعثت برجلين من مشاهير رجالها فى القرن السادس هما ابراهيم الكشكرى وابراهيم النفترى ليدرسا لنظم الرهبانية على أساتذتها ، ولما أكملاها عادا إلى ما بين النهرين وتوليا فيها إصلاح الحياة الرهبانية . وهكذا كان الأسقيط المقدس مجمعاً لرهبان كثيرين من أجناس مختلفة يسبحون الله بألسنة متباينة تحت لواء الكنيسة الواحدة الرسولية قبل الانشقاق وإلى سنوات بعده .

زائرات أجنبيات

لم تكن المرأة المسيحية أقل إعجاباً من الرجل بحياة رهبان البرارى المصرية . فعبرت البحار واندفعت إلى أعماق الجبال لترى بنفسها ما يقوم به ملائكة الأرض وأجناد السماء من أعمال روحانية عميقة وضروب نسكية عجيبة . حتى ذاع صيتهم فى كل مكان وصاروا فى سماء الكنيسة كنجوم لامعة فى ليلة حالكة يهتدى بنورها السارى فى بلاد المغارب ، ويتطلع إليها فى المشارق كل صاد وضال .

والآن على ضوء ما وصل إلينا من كتابات بلاديوس وروفينوس ، نرى أن

المرأة الأولى التى غامرت بالمخاطر وأتعاب الطريق هى القديسة ملانيا الأسبانية الأصل التى ترملت فى وقت مبكر ، وتركت مدينة روما حيث أودعت إبنها الوحيد عند أحد الأصدقاء ، وأقلعت بحراً مع روفينوس إلى الإسكندرية سنة ٣٧٣ م ومنها انطلقت إلى نيتريا التى فيها تقابلت مع كثيرين من أقطاب الرهبنة الأوائل وفى مقدمتهم القديس بامبو الذى تنيح أثناء وجودها فى الجبل المبارك فقامت بتكفينه ووضعت جثمانه فى الكتان النقى ، وكان ذلك بحضور تلميذيه أوريجانوس وامونيوس وبعد أن أقامت فى البرية ستة شهور كاملة أغار لوسيوس البطريرك الاريوسى الدخيل على وادى النطرون ، وقبض على هذه القديسة ونفاها إلى خارج البلاد فذهبت إلى أورشليم وأنشأت بها ديراً جمعت فيه كثيرين من اللاجئين المصريين .

ومن النساء التقيات أيضاً اللواتى وفدن على مصر القديسة بولا الرومانية التى تحت تأثير ايرونيموس تركت ولديها فى رعاية المسيح وأبحرت إلى قبرص ومنها إلى انطاكيه حيث لحق بها جيروم وسافرا سوياً إلى أورشليم ومصر . وفى سنة ٣٨٥ توجهت بولا برفقة جيروم إلى جبل نيتريا وتشرفت برؤية أحباء المسيح من الشيوخ الأماجد الذين أكرموها بزيارة قلالهم ، فدخلت إليهم وسجدت تحت موطىء أقدامهم ، وبعد أن جادت عليهم بعطاياها الوافرة ازداد حنينها إلى الأرض المقدسة فعادت إلى أورشليم وواصلت هناك حياة النسك والطهارة .

وفى أواخر القرن الخامس اشتد اعجاب القديسة ايلاريا ابنة الملك زينون ٤٧٤-٤٩١ م بحياة الرهبان الملائكية فتزيت بزى الرجال وجاءت إلى شيهيت قادمة من القسطنطينية وترهبت فى دير القديس مكاريوس وقامت بنسك زائد وجهاد عظيم حتى أكرمها الرب بصنع المعجزات ، وتعيد الكنيسة لنياحتها فى الحادى والعشرين من شهر طوبة .

وقد قضت حياتها النسكية متتلمذة للأنبا بموى الذى عاش فى أواخر القرن الخامس للمسيح ، وهو غير الأنبا بموى أو بامبو تلميذ القديس مكاريوس وأحد زعماء الرهبنة فى جبل نيتريا ، والذى تنيح على ما يرجح سنة ٣٧٤ م بحضور القديسة ميلانى كما أسلفنا .

وإن ننسى فلا ننسى القديسة انسطاسية التى خطبها الامبراطور يوستنيان فرفضت أن تقترن به أو بغيره وهربت إلى الاسكندرية ومنها توجهت إلى شيهات فى زى أمير بيزنطى وهناك ألتقت بالأنبا دانيال قص البرية ، واطلعته على أمرها فكتم سرها ووضعها فى مغارة تحت تدبيره ، وكلف أحد الشيوخ أن يحمل إلى قلايتها أسبوعياً جرة ماء ويتركها عند الباب وينصرف دون أن يتحدث اليها أو يعرف من أمرها شيئاً . ولما أكملت جهادها انطلقت إلى الأبدية بسلام وعند تكفينها وقف الرهبان على حقيقة قصتها . وتعيد الكنيسة لتذكارها فى السادس والعشرين من شهر طوبة .

العلماء الأوربيون والأسقيط المقدس

نظراً للتغيرات السياسية التى جرت فى مصر قرب منتصف القرن السابع وموقف البلاد الغربية من الفتوحات العربية ، فقد توقف سيل الرحالة الأجانب عن زيارة وادى النيل ، وكانوا فى العهد البيزنطى يأتونه من حين لآخر . وظلت البلاد فى شبه عزلة عن الأمصار الأخرى على الرغم من نهضة العباسيين وكرم الفاطميين وعدالة الأيوبيين حتى اجتاح الأتراك البلاد العربية سنة ١٥١٧ م فأباحوا للجوابين من الدول الغربية التى ترتبط معهم بحدود جغرافية أو روابط سياسية حرية الانتقال بين الولايات العثمانية مع شىء من التحفظ ! فأقبل بعضهم على أرض الكنانة ليروا بأنفسهم أمجادها الخالدة وآثارها النفيسة .

وأول من عبر البحار لزيارة أديرتنا التاريخية المقدسة كان على ما يظن الراهب الكابوشى جيليس دى لوش Gilles De Loches الذي قدم الينا سنة ١٦٣٣ م ثم أعقبه الرحالة الفرنسى كلود دوران Claude Durand سنة ١٦٤٠م والسيد دولا بولاى لوجوز Sieur De La Boullaye Le Gouz سنة ١٦٤٩ م .

ويعتبر أكثر الجوابين شهرة فى ذلك الوقت الراهب الدومينيكى جوهان ميخائيل فانسليب Johann Michael Vansleben الذى أبحر إلى الطرانة من رشيد فى

سفينة نيلية سنة ١٦٧٢ م ، ثم واصل سيره إلى وادى النطرون فزار ما به من أديرة ومواضع مختلفة ، وقال فى مذكراته التى وضعها أن ديرى السريان والأنبا بشوى كانا أحسن حالا من ديرى سيدة برموس والقديس مكاريوس .

وفى سنة ١٦٨١ م قصد الوادى روبرت هنتنجتون Huntington قبل أن يرسم أسقفاً على مدينة رافو من أعمال أيرلندا ، وروى أن دير سيدة برموس كان يسكنه فى ذلك الوقت خمسة وعشرون راهباً مع رئيسهم ، وأنهم حدثوه عن قصة البحر الفارغ وكيف كانت سفن القراصنة تصل اليهم عن طريقه ؟ !

وزار الأب كلود سيكار Claude Sicard الأديرة الغربية سنة ١٧١٢ م فصعد اليها من وردان بمعية رئيس دير القديس مكاريوس فوصلها فى السابع من ديسمبر وقال إنه رأى فى الدير المذكور أربعة رهبان فقط ، ومثل هذا العدد فى دير الأنبا بشوى ، وخمسة عشر فى دير السريان ، واثنى عشر فى دير سيدة برموس .

ويقول سيكار إنه لما كان بالدير الأخير فى الثانى عشر من ديسمبر قال الرئيس إنه حان الآن وقت صلاة الغروب ، فقال الرئيس وكان شاباً « إنها الساعة التى يقيم فيها الشياطين صلاتهم وبعد نصف ساعة تغلق جهنم أبوابها وتفتح السموات لصلاة البشر .

وقدم مصر سنة ١٧١٥ م السيد يوسف السمعانى أمين مكتبة الفاتيكان المارونى الجنس بعد أن رحل عنها سيكار ، وكان قد سبقه اليها ابن عمه الياس السمعانى وذكر يوسف أنه أثناء وجوده بدير سيدة برموس أقنع رئيسه الأسقف مكاريوس بقبول عقيدة الطبيعتين وعند رحيله اصطحبه معه إلى روما حيث أقامه البابا رئيساً على دير القديس استفانوس ، وهو خاص بالخلكيدونيين من القبط والحبش وظل مقيما به إلى أن توفى سنة ١٧٤٠ م وهو فى السابعة بعد المائة .

واتسعت الطريق فيما بعد لكثيرين من الأجانب فسلكها مسيو جرانجيه Granger سنة ١٧٣٠ م ، وسونينى Sonnini سنة ١٧٧٨ م ، والجنرال أندريوسى Andréossy أحد قواد الحملة الفرنسية سنة ١٧٩٨م وفون مينوتولى Von Minutoli

ولورد پرادهو Prudhoe سنة ١٨٢٨م ، وروبرت كرزون سنة ١٨٣٧ م ، وهنرى تاتام Henry Tattam والآنسة بلات Platt كريمة زوجته سنة ١٨٣٨م ، والسيد جاردنر ويلكنسون Gardner Wilkinson سنة ١٨٤٣م، وقسطنطين تيشندروف Constantine Tischendrof سنة ١٨٤٤ م .

ومما يؤسف له أن النزعة المذهبية فى هؤلاء الرحالة كباباويين ولوثريين كان أثرها واضحاً فى كل ما نقلوه وأذاعوه عن الأديرة القبطية من أخبار مستهجنة وأوصاف لا تشرف، كما أن عدم مقدرتهم على التخاطب مع الرهبان المصريين الذين لا يعرفون غير العربية زاد الطين بله ، وجعلهم يشوهون الحقائق بصورة لا تتفق مع الواقع الصحيح ، فرواية السمعانى عن الأسقف مكاريوس الذى اصطحبه إلى روما هى بلا شك محض إفتراء إذ لم نجد لها أصلا فى الكتب التاريخية ولا فى القصص المتداولة بين الرهبان . كما أن ما قاله هنتنجتون عن قراصنة البحر الفارغ . وسونينى عن الفوضى فى الصلاة ، وسيكار عن صلاة الشياطين فى وقت الغروب ما هى إلا قصص عجائزية هزيلة أرادوا بها تحقير رهباننا الأماجد الذين تحت موطىء أقدام أسلافهم تهذب ايرونيموس وروفينوس وأرسانيوس وكاسيان وغيرهم من فطاحل الرومانيين .

طبقات الرهبان وثقافتهم

جمعت البرارى المصرية وخاصة الغربية منها ثلاث طبقات من الرهبان :

فالأولى هى طبقة الفلاحين والمزارعين وكان منها معظم النساك وأقطابهم أمثال آمون ، ومكاريوس المصرى والأسكندرى ، وبموا، وبشوى ،ويوحنا القصير ، ودانيال ، وموسى الأسود وغيرهم .

والثانية طبقة متوسطى الحال من ملاك الأراضى أو التجار ، وفى مقدمتهم أنطونيوس ابن أحد الأثرياء وبولس الأسكندرى الذى أراد أخوه أن يستولى على النصيب الأكبر من تركة أبيه فترك له كل شىء ولاذ إلى البرية بالفرار وأبولونيوس

التاجر حبيب المرضى ومفتقد الإخوة بكل ما يحتاجون اليه من هبات وعطايا ، وبايزياس وإشعياء الأخوان اللذان أشار اليهما بلاديوس فى تاريخه .

أما الطبقة الثالثة فكانت طبقة النبلاء والأشراف وقوامها الأميران مكسيموس ودوماديوس وأرسانيوس مهذب الملوك فى مدينة روما والأميرة ايلاريا كريمة الملك زينون والقديسة أنسطاسيه التى رفضت أن تقترن بقيصر القسطنطينية . وقد أنكر هؤلاء ذواتهم وتناسوا أمجادهم وجعلوا أنفسهم أطفالا أمام شيوخ البرية يهتدون بهديهم ويسلكون بموجب توجيهاتهم .

أما عن ما وصل اليه الرهبان المصريون من ثقافة ، فقد كان أنطونيوس ومكاريوس المصرى ومكاريوس الأسكندرى ويوحنا القصير وإشعياء النحريرى والأنبا يؤانس والأنبا دانيال قصا شيهات ومرقس تلميذ الأب سلوانس يكتبون القبطية ويقرأونها بدرجات متفاوتة ، بينما كان الأنبا بموا أمياً وهو من قادة الفكر فى جبل نيتريا ، وهكذا كان بفنوتيوس الذى خلف مكاريوس فى رئاسة الرهبنة كما أفاد بلاديوس . وتحت تدبير هذين الرجلين عاشت جموع كبيرة من الرهبان يقول عنهم سقراط المؤرخ أن معظمهم كان من الأميين .

ولم تهتم المؤسسات الرهبانية بمكافحة الأمية فى الأديرة كما أنها لم تشجع الذين يعرفون القراءة والكتابة بل كانت تفضل صانع السلال على ناسخ الكتب وتنظر إليه بارتياب كانسان يرى فى نفسه إنه من المفكرين !

وإذا ما استثنينا بعض المقالات التى وضعها مكاريوس المصرى مع ما يوجه من نقد إليها والميامر المنسوبة إلى سميه الاسكندرى وما كتبه اشعياء النحريرى من شذرات نسكية فإن آلاف الرهبان الذين عاشوا معهم وعاصروهم ماتوا دون أن يتركوا أثراً كتابياً وذلك للأمية الغالبة عليهم وبالتالى لتفضيلهم العمل اليدوى على الكتابى وشغفهم الزائد بصناعة السلال ، الأمر الذى لم يرق فى عينى ثيودوروس القرمى فانتقده بحزن قائلا : عندما كنت فى شيهات كان عمل الروح هو عملنا وأما

صنع أيدينا فكان يأتى بعد ذلك ، ولكن الآن فإن عمل الروح أصبح ثانوياً وصار ما كان ثانوياً يأتى فى المرتبة الأولى [أديرة وادى النطرون ص ٩٤]

ويفهم مما كتبه بلاديوس أن الآباء كانوا يبررون قطع الوقت بصناعة السلال لاعتقادهم أنه فى وسع الراهب أن يرتل المزامير وهو يقوم بعمل الضفيرة !

لهذا كانت حصيلة الرهبنة القبطية من المؤلفات صفراً بجانب ما وضعه علماء الرهبانيات فى الكنائس الأخرى ، الذين كانوا يرون أن الحياة الرهبانية السليمة لا تقوم فى صورة صحيحة إلا بتفسير الكتب ووضع العظات التعليمية التى تعتز بها الكنيسة وتصوبها عند الحاجة كسهام حادة نحو صدور مقاوميها . فقد كان افرام وباسيليوس وأوغريس وايرونيموس وروفينوس وبلاديوس رهبانا تتلمذوا على أيدى معلمى الاسقيط ولكن لم يقلدوهم فى صناعة السلال بل احترفوا عمل الكتب اللازمة لبنيان المؤمنين وتعزيتهم فتركوا بذلك من خلفهم كنوزاً ثمينة لا تزال حتى اليوم مفخرة العالم المسيحى ، وقصوا على مسامع أبناء العصور المتعاقبة أصدق الأنباء التاريخية التى عاصروها ، ولولاهم لجهلنا كل الأخبار التى تتعلق بأديرتنا ولحكم الناس على جهاد رهباننا وما كانوا يقومون به من أعمال تقشفية صارمة انه من نسج الخيال ! !

فضائل وتعاليم

لم يترك آباء الرهبنة آثاراً قلمية لانصرافهم عن الكتابة والتصنيف كما سبق القول فى الحديث السابق . إلا أنهم كانوا مملوئين من الحكمة والروحانية العميقة التى جعلت فطاحل علماء الغرب وأمراءهم يتتلمذون على أيديهم ويجلسون تحت أقدامهم يسمعون منهم كلام النعمة ويستدرجونهم فى الحديث للانتفاع بمبادئهم الخلاصية القويمة .

فيذكر روفينوس أن السيدة ميلانى عندما ذهبت لزيارة الأنبا بامبو أو بموى قدمت له كيساً به ثلثمائة دينار فأخذه منها وهو فى صمت يزاول عمل الضفيرة ، وبعد

أن باركها نادى تلميذه أوريجانوس وقال له خذ هذا الكيس ووزع ما به على أديرة ليبيا والجزائر لأن الرهبان هناك فى حاجة إليها ولا تعط أديرة مصر شيئاً منها ، وانتظرت السيدة من الأب الناسك أن يكيل لها الثناء والمديح إلا أنه انصرف عنها إلى عمله ولم يقل شيئا ، فأرادت ميلانى أن تخرجه عن صمته فقالت له يا سيد إن الكيس الذى تسلمته منى به ثلثمائة دينار فقال بامبو : إن الذى أتيت إليه بهذه الهدية ليس هو فى حاجة لمعرفة مقدارها لأنه يزن الجبال . . ! وقد يكون لك العذر أن تعلميني بمحتوياته لو أتيت به إلىّ ! ولكن بما أنك جئت به للرب الذى لم يحتقر فلسى الأرملة فيجدر بك الصمت ! !

أما عن زهدهم وانصرافهم عن مشتهيات الأطعمة فيقول أيضا الكاهن الأكويلى : إن انسانا حمل إلى مكاريوس الاسكندرى عنقوداً من العنب فرأى مكاريوس أن يقدمه إلى من هو فى حاجة إليه فأعطاه لناسك مجاور ، وبنفس هذا الشعور قام هو بإهدائه إلى آخر ، وهكذا ظل العنقود ينتقل بين القلالى المتناثرة فى عرض الصحراء على أبعاد متفاوتة حتى عاد فى النهاية إلى مصدره الأول فابتهج مكاريوس بالمحبة المتبادلة بين الاخوة وشكر الرب على قناعتهم .

وقد تشبه هذه القصة من وجوه كثيرة ما رواه البستان عن شريف بيزنطى جاء إلى البرية وأراد أن يتصدق على رهبانها بأموال كثيرة فطاف على قلاليهم يعرض عليهم تبرعاته فلم يلتفت إليها أحد ، فذهب إلى مكاريوس وتوسل إليه أن يقبل منه هذه الهبة فاعتذر القديس بقوله اننا أغنياء بنعمة المسيح ولسنا فى حاجة إلى المال لأن كلا منا يعمل بأكثر من حاجته ! فحزن البيزنطى وقال لمحدثه أسألك من أجل الرب ألا تخيب تعبى وترفض تقدمتى . فقال له إذهب واعطها للاخوة . فقال قد عرضت المال عليهم الواحد بعد الآخر فلم يأخذوا منه شيئاً ، كما أن بعضهم لم ينظر إليه البتة ، فأخذ مكاريوس الدنانير الذهبية وأفرغها على باب الدير وقرع الناقوس فحضر جميع الإخوة وعندئذ قال لهم من أجل محبة المسيح إن كان أحدكم

محتاجاً إلى شيء فليأخذ من هذا المال ما يكفيه فعبروا جميعهم أمامه ولم يلتفت إليه أحد فلما رأى الشريف إعراض الرهبان عن عرض الدنيا الزائل ألقى بنفسه بين يدى الأب وهو يقول أريد أن أترهب !

مشاهير شيهيت فى مختلف العصور

إن مكسيموس ودوماديوس وأرسانيوس وأوغريس البنطى ويوناييوس واندراوس اللديين وكبريانوس الذى من بيت ماجوشا ، ومرسيلاس السورى الذى من أفاميا ان كانوا قد نبغوا فى مصر كرهبان ممتازين فإنهم مدينون لمعلميهم الوطنيين الذين ذاع صيتهم فى كل الأرض فأقبل الناس على سماع أحاديثهم الشهية وفى مقدمتهم آمون ومكاريوس المصرى ومكاريوس الاسكندرى وكرونيوس واسحق كاهن القلالى والأنبا بشوى الرجل الكامل والقس ايسيذوروس حامل لواء الأوريجانية وصاحب فندق الاسكندرية الذى كان يقبل فيه الغرباء ويغيث المحتاجين بلا مقابل . وبفنوتيوس تلميذ مكاريوس المصرى الذى ورث منه رئاسة الأسقيط والأنبا دانيال الكاهن الجليل والقمص يوحنا القصير صاحب الدير الذى تخرب أخيراً ، والأربعة الطوال القامة وهم الإخوة الأشقاء أمونيوس وديسقوروس وأثميوس ويوسابيوس الذين عانوا كثيراً من البابا ثاوفيلوس لدفاعهم عن أوريجانوس الذى رفض متزمتو الرهبنة القبطية أن يدعوه قديساً بينما كانوا أسخياء على غيره من الخلكيدونيين والنساطرة. وإن ننس فلا ننسى القس موسى الأسود الراهب الشهير والقديس سلوانس وتلميذه مرقس المطيع الذى عندما سمع صوت معلمه يدعوه للحضور رمى القلم وأسرع إليه قبل أن يرسم الجزء الباقى من الحرف الذى وصل عنده ، والقديس يوحنا كاما الذى تأخر مطلعة عن كواكب الرهبنة الأوائل بخمسة قرون كاملة فاستطاع بنسكه وحسن تدبيره أن يتبوأ منزلة رفيعة بين مؤسسى الأديار الأماجد . ويعوزنا الوقت لو تحدثنا عن غير هؤلاء من الآباء الذين تجملوا بأنواع مختلفة من الفضائل القدسية ولم يبخلوا بدمائهم عند الحاجة .

وفى القرون الوسطى والأخيرة نقص عدد الأديرة وتضاءل سكانها ولكن لم يترك الرب مقادسه بلا شاهد . ففى عصر الحاكم بأمر الله الفاطمى ٩٩٦ — ٩٩٩ م عاش الراهب بيمين الذى استطاع بحكمته وذكائه أن يستحوذ على عطف الحاكم ويتخذ منه صديقاً شخصياً فتمكن بذلك من رفع نير المظالم عن قومه وإعادة بناء الكنائس ، ورد ما سلب منها من مقتنيات ونفائس ، كما أنه بنى بأمر الخليفة دير شهران المعروف الآن بدير العريان فى معصرة حلوان وكان الحاكم يتردد عليه من حين لآخر ويجالس الرهبان ويأكل معهم .

وعرف بمقدرته وحسن قيادته الراهب عماد الأخميمى الذى عاصر الملك العادل سنة ١٢٣٨ م ووقف فى وجه البطريرك كيرلس بن لقلق الذى أسلم شعبه للذلة والهوان ووضع حداً لحماقته التى اقتضت بيع الرتب الكهنوتية والقضاء على كرامة الاكليروس وحقوق الشعب .

واشتهر فى ذلك الوقت من الأسقيط الراهب المكين سمعان بن كايل صاحب كتاب روضة الفريد وسلوة الوحيد وكان يمت بصلة القرابة لجرجس بن أبى المكارم العميد المؤرخ الشهير وقد توفى فى أوائل القرن الثالث عشر .

وعاش فى النصف الأول من القرن الرابع عشر الراهب مكاريوس أو مقاره فى دير مار يوحنا السقيتى ؟ ولعله الأسقيطى وله مجموعة قوانين هى على غاية الأهمية لدرس الحق واللاهوت الأدبى فى الكنيسة القبطية [معجم المنجد فى أعلام الشرق والغرب ص ٥٠٨]

كما قدم دير أبو مقار عدداً من الشهداء فى أوقات مختلفة ، وأعطى دير الأنبا بشوى شهيداً ممتازاً هو الراهب يوحنا القليوبى الذى وهب ذاته ذبيحة من أجل الرب فى ٦ ديسمبر سنة ١٥٨٢ م

هذا وقد اشتهر أيضاً بجرأته وإقدامه فى منتصف القرن السابع عشر الراهب قدسى وإن كنا لا نعرف من أى دير تخرج ولكن نعلم جيداً انه قاوم بشجاعة

البطريرك مرقس السادس الذى كان يضمر للرهبنة عداء فى نفسه وصرف معظم أيامه فى جمع المال بجشع زائد . [ذيل أسقف فوة]

الرهبان والبربر

قاسى الرهبان فى عصورهم الأولى كثيراً من أهوال البربر المعروفين بقبائل « المازيك » الذين كانوا يأتون غالباً من موريتانيا ويعسكرون على الحدود الليبية وفى الواحات الداخلة ، ثم ينقضون كلما أتيحت لهم الفرصة على الأقاليم المصرية المتطرفة غرباً فيشيعون فيها الفوضى والخراب ويعودون إلى بلادهم بمختلف الغنائم . وقد أحصى بعض مؤرخى البيعة عملياتهم العسكرية التى قاموا بها فى شيهيت فكانت على الوجه الآتى :

الغارة الأولى

قام بها البربر فى الثالث عشر من شهر يونيو سنة ٣٩٥ م ويقول مصدر آخر وربما كان هو الأرجح أنها كانت سنة ٤٠٧ م وفيها قتلوا القديس موسى الأسود ورفاقه الأتقياء ، وعلى أثر هذه المجزرة الرهيبة ، هرب يوحنا القصير إلى القلزم ، والأنبا بيشوى إلى جبل أنصنا بالصعيد ، والقديس أرسانيوس إلى كانوب قرب الاسكندرية ، كما فر الناجون إلى جهات مختلفة من القطر ولجأ بعضهم إلى قفار فلسطين.

الغارة الثانية

وقعت سنة ٤٣٤م واستشهد فيها عدد من النساك الذين وقعوا بين أيدى سفاحى المغرب الذين نهبوا الأديرة وسلبوا مقتنيات الكنائس . ثم عادت البرية إلى زعارتها بعد ذلك بعشر سنوات .

الغارة الثالثة

حدثت سنة ٤٤٤ م وفيها استشهد شيوخ شيهيت التسعة والأربعون شهيداً ، ومعهم رسول الملك ثيودوسيوس الثانى وابنه الشاب «ديوس» ، وتعيّد الكنيسة لتذكارهم الجليل فى السادس والعشرين من شهر طوبة .

الغارة الرابعة

لم يتأكد المؤرخون من سنة وقوعها فمنهم من يقول إنها كانت سنة ٥٨٠ م بينما يرى آخرون أنها حدثت قبل ذلك بعشر سنوات ، وكان من معاصريها الأنبا دانيال قمص شيهيت الذى تنيح بعد ذلك وهو فى التسعين من عمره ، وعندما عادت البرية إلى نضارتها خرّبها الفرس الذين احتلوا البلاد ٦١٤ - ٦٢٨ م وأوقعوا بالرهبان هزيمة منكرة .

الغارة الخامسة

كانت بين عامى ٨١٦ ، ٨١٧ م فى أواخر حبرية البابا مرقس الثالث ، ويذكر مؤلف تاريخ البطاركة فى ترجمة حياة البابا يعقوب الذى خلفه ، أنه فى بدء بطريركيته نهبت الأديرة وقتل رهبانها وأحرقت كل بيع شيهيت وما فيها من قلالى .

الغارة السادسة

وقد قام بها البدو أثناء وجود البابا شنوده الأول فى دير القديس مكاريوس سنة ٨٦٦ م ، فاستولوا على كنيسته الكبرى ونهبوا ما فى أبراجها من أثاث وطعام، كما سلب المداجة كنيسة مار مينا بمريوط وزحفوا على شيهيت فتحصن الرهبان فى الأبراج والقلالى ، ولم يتمكن المغيرون من قتل أحد منهم .

شيهيت والحكومات المتعاقبة

لم ينج الوادى لبعده الساحق من مساوئ الحاكم الظالم ، كما لم يحرم أيضاً من عدالته . ففى العصر البيزنطى المسيحى بطش لوسيوس البطريرك الآريوسى الدخيل برهبان البرية الذين رفضوا مبادئه الوخيمة ، كما عمل كيروس الأسقف الخلكيدونى على التنكيل بالرهبان الذين أعرضوا عن سماع طومس لاون البغيض ! ، وبينما كان قياصرة القسطنطينية يشجعون عمالهم على ارتكاب مثل هذه المعاصى كان الامبراطور باسليسكوس ٤٧٥ — ٤٧٧م معتدلا وزينون ٤٧٧ — ٤٩١م الملك البار يغمر بهباته العريضة كل أديرة وادى النطرون وخاصة دير القديس مكاريوس .

ولما فتح العرب مصر سنة ٦٤٠ م أباح عمرو بن العاص حرية العبادة وتودد إلى الرهبان فأعفاهم من الجزية وأراحهم من جميع المتاعب . ونشر العدالة بين جميع الناس إلا أن بعض عمال بنى أمية تنكروا لهذه المبادىء السامية وعاملوا الرهبان بكل صرامة مثل عصبة بن عبد العزيز وقره بن شريك وأسامه بن زيد ، وذلك كما أفاد الشيخ تقى الدين المقريزى فى خططه ج ٤ ص ٣٩٤ ، ٣٩٥ .

الأعراب فى وادى النطرون

يجاور الرهبان فى أديرتهم منذ النصف الثانى من القرن السابع الميلادى عشائر من العرب الرحل الذين يعيشون على تربية الماشية ويسكنون فى بيوت من الشعر أو الوبر ، وقد كانوا قديماً يملأون الصحراء أما الآن فقد قل تعدادهم بسبب نزوح معظم أفخاذهم إلى المدن والقرى وانتقالهم من البداوة إلى عيشة الحضر ، ولم يبق منهم فى الوقت الحاضر إلا جماعات قلائل تقطن فى مواضع معينة يكثر فيها العشب والكلأ . كما يعمل البعض منهم فى هيئة تعمير الصحارى أو المشاريع العمرانية التى أوجدتها حكومة الثورة فى الأودية المقفرة . وهم حسب قبائلهم ، جوابيص ويشكلون معظم أعراب الوادى ، وأولاد على وهم أقلية فى مناطق الأديرة وأكثرية فى مريوط وما يليها غربا حتى مرسى مطروح . وسمالوس ولا تزيد بيوتهم فى شهيت عن عدد أصابع اليد الواحدة .

وقد كان الأعراب فى العصور التى كان فيها حبل الأمن منصرما يغيرون على الأديرة ويعتدون على الرهبان وممتلكاتهم ويقطعون الطريق على زائريهم . أما الآن فقد تخلوا عن هـــذه الطباع الوحشية وصاروا لا يعرفون إلا السعى وراء أرزاقهم بالطرق المشروعة علاوة على ما يتحلون به من كرم ووفاء وولاء .

وهم ذو مهارة فى علم الأثر فقد يقف أحدهم بباب الدير ويذكر لك أسماء الذين قرعوا بابه من العرب عن طريق بصمات أقدامهم التى تركوها فوق الرمال . كما أن بعضهم يجيد « التقزه » أو علم الرمل ، فيحدثك عن أمور تشغل تفكيرك وكأنه يقرأ لك صحفاً مكتوبة ! !

البرية فى الوقت الحاضر

زحف العمران بخطوات سريعة نحو أرض الوادى بعد أن دلت الأبحاث التى قام بها الأخصائيون على خصوبة تربتها فقامت حكومتنا الرشيدة باصلاح رقعة متسعة منها فأحالتها فى وقت وجيز إلى بساط أخضر جميل ، وهى مازالت مجدة فى تشجير بقاع أخرى ، كما أنشأت بعض المصانع لتشغيل الأيدى العاطلة هناك . هذا بجانب تربية الدواجن وتفريخها واستغلال المراعى لزيادة الثروة الحيوانية ، وهكذا ذهب السكون واختفى الهدوء وخلفهما نشاط وحركة .

أما الخمسون ديراً التى أشار إليها روفان والسبعة والثلاثون التى أخبر عنها الأب شينو ، والعشرة التى ظلت إلى عهد المقريزى فلم يبق منها الآن إلا أربعة هى دير ابو مقار ودير الأنبا بشوى ودير السيدة العذراء بالسريان ودير سيده برموس .

هذا وقد كانت الأديرة قديماً تتبع إدارياً للكراسى الأسقفية الواقعة فى مناطقها فلما جاء البطريرك كيرلس الثالث ١٢٣٥ — ١٢٤٣م استولى على جميعها وجعلها تحت رئاسة البطريركية وظل هذا النظام سارياً إلى يومنا هذا .

دير القديس مقاريوس

هو أشهر الأديرة المصرية وأعلاها شأناً فى الزمن الماضى . وإن كان دير مار انطونيوس يتقدمه فى القدم والكرامة إلا أن الأخير فاقه امتيازاً بكثرة علمائه ولتوسطه بين القاهرة والاسكندرية فى واد منبسط يمكن الوصول إليه بسهولة من عاصمتى البلاد .

مؤسسه

ينسب هذا الدير إلى القديس مكاريوس ، وهو اسم يونانى الأصل يترجم بالطوباوى ويقال له أيضاً مكارى ، ومقار ، وأبو مقار ، ومقاره .

وقد اختلف المؤرخون فى مسقط رأس هذا الناسك العظيم فقيل انه من شنشور أو من قرية فى الصعيد ، ولكن الذى عليه سوادهم أنه ولد فى بلدة جحوير المعروفة الآن بشبشير طملاوى من أعمال المنوفية سنة ٣٠١ م والتى أشار إليها اميليانو فى جغرافيته بأسماء مختلفة فدعاها ششوير وشدوير وبشبشبير .

وكان أبوه كما أفاد البستان كاهناً للقرية . أما الفتى فكان يعمل فى تجارة النطرون الذى كان يجلبه من الوادى المسمى به ويبيعه لتجار التجزئة فى المدن والقرى وظل أميناً فى كسبه وعمله حتى سمع أسقف الجهة بسيرته الطاهرة ، فرسمه كاهناً على كنيسة القرية وذلك بعد وفاة أبيه على ما يرجح . فاعتزل الناس فى مكان معين وصار لا يبارحه إلا عند تقديس السرائر ثم يعود إليه حالا . فحسده الشيطان على فضائله وحرض عليه فتاة كانت قد حملت سفاحاً فاتهمته بفعل المنكر معها ، ولكن عندما تعسرت فى الولادة عادت واعترفت بفعلتها الرديئة . فخجل ذووها من تصرفاتهم الشائنة مع الأب الكاهن الذى أسىء منهم كثيراً ، وهموا بالذهاب إليه ليعتذروا له عما بدر منهم ، فلما شعر بقدومهم ترك القرية وانصرف عنهم إلى وادى النطرون.

وهناك رواية أخرى تقول إن أبويه زوجاه فى مقتبل شبابه ، فلما دخل على زوجته تمارض ولم يقترب منها وصار يخلو بنفسه فى البرية من حين لآخر . وذات مرة بينما كان قائماً بالصلاة رأى كاروبا ذا ستة أجنحة قد أمسك بيده وأصعده فوق رأس الجبل وأراه الوادى شرقا وغرباً وطولا وعرضاً وقال له : إن الرب قد أعطاك هذا الجبل ميراثاً لك ولبنيك ، وحدث بعد ذلك أن اعتلت زوجته وماتت فتذكر الرؤيا المقدسة ، وبعد أن واراها التراب ذهب إلى الأسقيط حيث عاش هناك طيلة حياته بين جمهور من المتوحدين ورسم قساً وهو فى الأربعين من عمره ليتمكن من تدبير أولاده ككاهن .

مكاريوس فى حضرة انطونيوس

سمع مكاريوس عن مار انطونيوس الناسك الأول الذى تزعم الحركة الرهبانية فى مصر والبلاد المسيحية الأخرى . فرأى أن يتوجه إليه لينال منه منفعة روحية ، فلما زاره فى منسكه بالبرية الشرقية ابتهج القديس برؤيته وقال عنه ما قاله المسيح فى وصفه لنثنائيل عندما رآه مقبلا إليه (يو ١ : ٤٧) ، وبعد أن رحب به أعد له مسكناً بجانبه فأقام مكاريوس عند مضيفه الذى ألبسه الاسكيم والزى الرهبانى وأخذ يلقنه مبادىء الحياة النسكية الجديدة .

وإن كنا لا نعرف مدى المدة التى قضاها الضيف الكريم عند مضيفه العظيم ، ولكن نستطيع أن نؤكد أنها كانت كافية للتعارف الروحى وتدعيم التعامل بين الطرفين .

لقد تشبع مكاريوس بالعيشة الهنية التى يحياها انطونيوس مع رفاقه الأتقياء وأراد الإقامة لديه بصفة مستديمة إلا أن انطونيوس رفض مطلبه وشجعه على العودة إلى مكانه فى البرية الغربية ، وكأنه كان يعلم بمستقبلها الباهر العجيب ، فرضخ التلميذ لإرادة معلمه وسافر إلى مقره الأصيل .

ومع أن مكاريوس عرف الرهبنة فى بادىء الأمر كمبتكر لها فى البرية الغربية

قبل أن يرى الراهب الأول أو يسترشد به إلا أنه فى هذه المرة شعر بضآلته أمام القديس انطونيوس وعاد معترفا بأبوته وتقدمه ومهتدياً بهديه وتوجيهاته الروحية العميقة .

مكاريوس فى شيهيت

لم يكد القديس يستقر فى صومعته مع تلاميذه وأتباعه الأوائل حتى ذاع صيته فى الأقطار المسيحية المجاورة ، فسمع عنه فى سوريا مار أغابيوس الذى عندما قدم عليه الأميران الرومانيان مكسيموس ودوماديوس أشار عليهما بالذهاب إلى مصر ليلتحقا بالطوباوى الجليل ، فلما وصلا إليه أكرمهما وأسكنهما على مقربة منه فى مغارة بنياها تحت إرشاده قامت عليها فيما بعد كنيسة دير برموس .

وقد كان قدومهما على الأب الطوباوى نواة للكثيرين من خيار الأنام الذين كفروا بالعالم وأمجاده الباطلة ، وجاءوا إلى القفر ينشدون حياة أفضل تعدهم لوراثة أمجاد السماء .

وقد استمر مكاريوس يشرف على هذه الجماعات الكبيرة التى التفت حوله فى البرية المقدسة ويقوم على تهذيبها وترويضها حتى اختاره الرب إلى جواره ، فرقد بشيخوخة صالحة فى ٢٧ برمهات سنة ١٠٨ش ٣٩٢ م بعد أن ترك من خلفه فردوساً أرضياً يحاكى محافل الملائكة وكنائس الأبكار ، ودفن فى البرية حيث كان يقيم . إلا أن جماعة من أهل بلدته المعجبين به ، تسللوا إلى الوادى وسرقوا جثمانه الطاهر الذى أرشدهم إليه تلميذه يوحنا المرتشى وعادوا به إلى هناك ثم بنوا عليه كنيسة عظمى وظل فى حوزتهم إلى أن أعاده الرهبان إلى ديرة فى وقت اختلف فى تحديده المؤرخون . ولكنه كان بلا شك بعد القرن السابع للميلاد .

آثاره القلمية

كان الأنبا مكاريوس كمواطن مصرى صميم يتكلم القبطية كغيره من أبناء البلاد

كما كان يجيد اليونانية وهى لغة التخاطب بين المثقفين فى بلاد الأمبراطورية الرومانية ولعله كان يتفاهم بها مع الأميرين الرومانيين عندما أقبلا عليه من البلاد السورية .

وقد وضع القديس بهاتين اللغتين عدة مؤلفات منها ما كان رداً على الوثنيين ودفاعاً عن المسيحيين ، ومنها ما كان لتثقيف رهبانه وتنوير مواطنيه . ومما يؤسف له أن معظم هذه المؤلفات قد فقدت ، ولم يبق منها غير عظاته التى عثر عليها رجل بريطانى فترجمها إلى الانجليزية ثم نقلت منها إلى العربية .

هذا وقد وجد الفرنسيون من مصنفاته سبع رسائل لاهوتية قاموا بطبعها فى مدينة تولوز سنة ١٦٨٤ م عدا أقواله المتناثرة فى الميامر والمؤلفات النسكية مثل البستان وغيره من كتب الرهبانية .

مكاريوس فى الكنيسة الجامعة

لم يكن مكاريوس شخصاً خاملا يقتصر صيته على مكان معين بل كان علماً فى الكنيسة الجامعة يعرفه المسيحيون فى كل الأرض ولم يكن كغيره من آلاف الرهبان الذين عاشوا فى البرارى وماتوا دون أن يسمع الناس شيئاً عنهم ولكنه كان رئيساً مهاباً ومعروفاً عند الخاصة والعامة تخشاه السلطات ويقيم المسئولون وزناً لتحركاته .

فلما اشتدت نيران الفتنة الأريوسية فى مصر لعب فى مقاومتها دوراً خطيراً فقبض عليه القيصر ، فالنص الذى كان يؤازر هذه الضلالة البغيضة ونفاه مع جماعة من أصحابه إلى جزيرة فيلة جنوبى أسوان سنة ٣٧٥ م وذلك كما أفاد سوزمين وثيودريت وروفينوس وسقراطيس . ولكن الشعب ما كاد يسمع بهذه الأنباء حتى أعلن سخطه وتجمهر حول بيت الوالى مطالبا بالإفراج عن المعتقلين. فلما وقف الحاكم على مطالبهم ورأى إصرارهم عليها عاد وأخلى سبيل هـــذا الرائد العظيم سنة ٣٧٦ م .

وقد مات مكاريوس قبل انعقاد مجمع خلكيدون الذى شطر كنيسة المسيح الواحدة إلى شرقية وغربية بأكثر من ثمانٍ وخمسين سنة ، لهذا كان اسمه محبوباً

وشخصه مقبولا من جميع الكنائس التقليدية على اختلاف مذاهبها . ولمنزلته الرفيعة تسمى به كثيرون من الأحبار العالميين تيمناً به ورغبة فى شفاعته . ففى الاسكندرية دعى باسمه ثلاثة من الباباوات كان آخرهم الأنبا مكاريوس الثالث + ١٩٤٥ . وفى القسطنطينية شرطن البيزنطيون بطريركا باسمه سنة ١٣٧٦ م وكرس الأنطاكيون الملكيون أربعة من رؤساء أحبارهم بهذا اللقب المبارك اشتهر من بينهم مكاريوس ابن الزعيم ١٦٤٧ — ١٦٧٤ م الباحث المدقق والمؤرخ القدير .

ولتعلق الأقباط بهذه الشخصية العظيمة فقلما يقوم بطريرك منهم إلا ويخلع اسم القديس الطوباوى على أسقف من أساقفة الكراسى المصرية .

ولا يزال اليونان يباركون هذه التسمية وينعمون بها على كثيرين من أحبارهم كما هو الحال فى جزيرة قبرص حيث يقوم الأنبا مكاريوس برئاسة الكنيسة والحكومة ويملأ اسمه البلاد طولا وعرضاً .

الثالوث المقارى

تكرم الكنيسة القبطية ثلاثة من قديسيها الأماجد الذين تسموا باسم مكاريوس فالأول هو مكاريوس المصرى المعروف بالكبير وهو رأس حديثنا هذا وتعيد له الكنيسة فى السابع والعشرين من شهر برمهات .

والثانى هو مكاريوس الاسكندرى وقد اشترك مع زميله فى النفى وتعمير وادى النطرون وتتلمذ كلاهما لمار أنطونيوس ويحتفى بنياحته فى السادس من شهر بشنس وله قوانين كثيرة طبعت فى باريس سنة ١٦٣٧ م ورسالة فى نفوس الأبرار بعد الموت نشرت فى أوترخت من أعمال سويسرا سنة ١٦٩٦ م .

والثالث هو مكاريوس أسقف أدكو . وليست أدكو الواقعة على البحيرة التى تسمى بهذا الاسم كما يفهم البعض بل هى قاو الخراب(١) التى انتقل كرسى الأسقفية منها إلى أبو تيج . وقد رافق هذا الأسقف البابا ديسقوروس عند ذهابه إلى مجمع خلكيدون سنة ٤٥١ م وذهب معه أيضاً إلى جزيرة غاغرا ، واستشهد بعد عودته

(١) وهى الآن قرية العثمانية من أعمال مركز البدارى

من النفى فى الاسكندرية على يد برتوريوس البطريرك الدخيل فى السابع والعشرين من شهر بابه وهو تذكاره الجليل .

وتذكر الكنيسة القبطية ثلاثتهم فى ليتورجياتها . أما الملكيون فلا يباركون الأخير .

تاريخ بناء الدير

يؤخذ من الميامر الرهبانية وأقوال المؤرخين الذين كتبوا عن القديس مكاريوس انه بعد أن أقام أولا بجانب مغارة القديسين مكسيموس ودوماديوس رحل عنها شرقاً ونسك فى قلاية متواضعة بين الإخوة الذين التفوا حوله . وانتشروا بكثرة بين تلال الوادى المقدس فأخذ يعمل على افتقادهم ورعايتهم ويرفع القرابين من أجل خلاصهم حتى انتقل إلى أمجاد السماء ، فقام تلاميذه بعد نياحته بسنوات قلائل وبنوا ديراً عظيما فوق مسكنه المبارك وهو الذى لا يزال قائماً إلى يومنا هذا .

وقد بنى الدير وقتئذ بصورة مبدئية ، ثم أخذ الباباوات فى تحسينه وتحصينه فى فترات مختلفة . فجاء عن البابا أغاثون ٦٥٦ — ٦٧٣م انه عمر بيعة أبو مقار وبنى عدة قلالى لسكنى الرهبان وأن البابا يعقوب ٨١٠ — ٨٢١م بنى هيكلا باسم الأنبا شنوده قبلى بيعة أبو مقار . وأن البابا يوساب الأول ٨٣١ — ٨٤٩م كرس فيه بيعة باسم الرسل بحرى الكنيسة الكبرى ، كما بنى البابا شنوده الأول ٨٥٩ — ٨٨٠ م سوراً بأبراج حول الدير حتى يتمكن الرهبان من صد غارات البربر الذين كانوا يهاجمون الدير من حين لآخر .

واستمر الدير حصناً حصيناً فى وسط الصحراء إلى أن سقط سوره الأمامى بعد منتصف القرن الثامن عشر ، فأعيد بناؤه على رقعة تقل قليلا عن نصف مساحته الأولى التى قدرها القمص عبد المسيح المسعودى فى كتابه « تحفة السائلين » بأربعة أفدنة وثلاثة قراريط وهى رقعة لا تكفى لسكنى ألف وخمسمائة راهب أشار إليهم

المقريزى ج ٤ ص ٤١٩ حتى ولو كانوا وقوفاً ! إلا إذا اعتقدنا بوجود قلالى أخرى خارج الأسوار وتابعه للدير المذكور، كما يجب ألا ننسى أن الدير كان يضيق بكنائسه الكثيرة .

كنائس الدير وحصنه القديم

يوجد بهذا الدير سبع كنائس منها ثلاث فى وسط الدير بين قلالى الرهبان وأربع فى الحصن القديم وهاك هى :

كنيسة القديس أبو مقار

وهى كنيسة جميلة على الطراز البيزنطى يعلو مذبحها الرئيسى الذى يقوم وسط الهيكل المتسع قبة من الطوب الأحمر ليس لها ما يماثلها فى كل كنائس الأديرة من حيث صناعتها الهندسية ورونقها البديع . ومع أنها صيغت منذ زمن بعيد إلا أنها لا تزال حافظة لقواها المعمارية تلوح للناظر إليها وكأنها تختال فى ثوب قشيب .

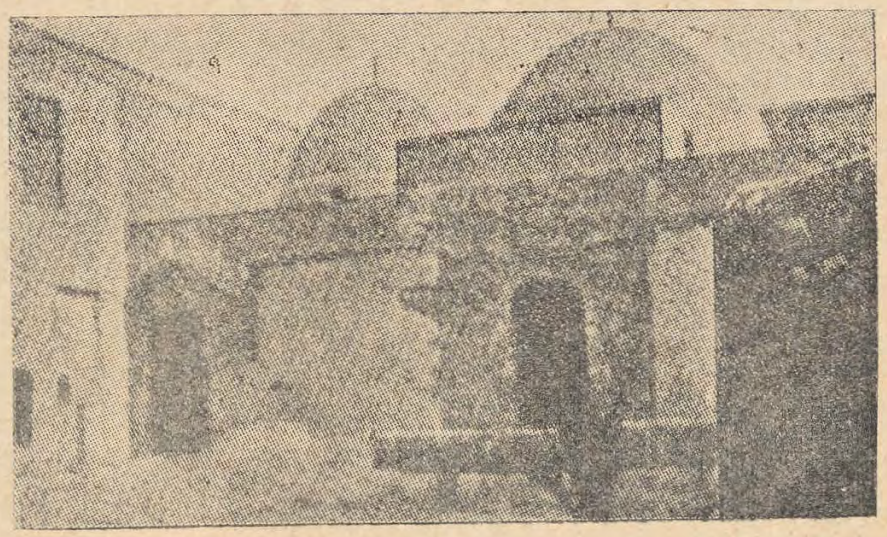

كنيسة القديس أبو مقار

والأبواب الأثرية التى تفتح فى حجاب الهيكل أمام المذابح الثلاثة محلاة بنقوش بارزة هى غاية فى الدقة والجمال .

والمتواتر بين الرهبان المقاربين انه كان لهذه الكنيسة سبعة مذابح يذكر مؤلف كتاب وادى النطرون وأديرته خمسة منها، أما الآن فهى تقوم على ثلاثة مذابح فقط ، الرئيسى منها مكرس باسم الأنبا بنيامين الأول والبحرى برسم يوحنا المعمدان ، أما القبلى الذى أنشأه البابا زكريا فى أوائل القرن الحادى عشر فيستخدم حالياً كمخزن لأدوات البيعة ولوازمها .

ويبلغ طول كنيسة القديس مكاريوس من الشرق إلى الغرب خمسة عشر متراً وعرضها من الشمال إلى الجنوب يزيد عن طولها بنحو ستة أمتار . وهى تنقسم إلى ثلاثة أقسام : خورس أول وآخر متوسط ثم الهياكل . ويستدل من هيكل بنيامين وقبته العظمى على أن هذه الكاتدرائية كانت كبيرة الحجم تتسع لألف نسمة من المصلين ولكنها انكمشت وتضاءلت بعد سقوط أسوار الدير وإعادة ترميمه .

ومن المرجح أن هذه البيعة بنيت فى حياة القديس مكاريوس وذلك قبل بناء الأسوار كما حدث فى ديرى أنطونيوس وبرموس ، وبمرور الزمن تداعت مبانيها فنقضها الرهبان خوفاً من سقوطها وأعادوا بناءها ، ولما كملت عمارتها توجه إلى الاسكندرية جماعة من أقطابهم وقابلوا البطريرك بنيامين وقالوا له بالقبطية ما ترجمته حرفياً « أتينا إلى أبوتك لنسألك التوجه لأجل الله إلى جبل شيهات المقدس سكن أبينا القديس البار العظيم مكاريوس لكى تكرس لنا هذه البيعة الجديدة التى بنيناها له فى وطاء الصخر بين المساكن لأن كثيرين من الشيوخ والضعفاء سكان قلالى بعيدة عن الدير وقريبة من الماء يتعبون إذا صعدوا إلى فوق » .

وقد قبل بنيامين دعوة شيوخ البرية وقام من الاسكندرية إلى شيهيت فى موكب عظيم من الكهنة وأراخنة الشعب ، واحتفى بتكريس الكنيسة فى اليوم الثامن من شهر طوبه ، بينما كانت البلاد تعبر مرحلة انتقال دقيقة بين انسحاب الروم ودخول العرب .

وقد سال لعاب البطريرك كيرلس بن لقلق على هذه المقتنيات الغالية فسافر بعد تنصيبه مباشرة إلى الدير وحاول جردها والاستيلاء عليها ليدفع من ثمنها الديون التى مازالت عليه للذين جاءوا به إلى منصب البابا وية، إلا أن الرهبان وقفوا فى وجهه وهددوا برفع دعواهم إلى السلطان، وحرق أجساد المقارات وتخريب الدير إن لم يرحل عنهم، ويخرج فارغاً، فاضطر إلى مغادرة البرية دون أن يظفر بشىء منهم، وذلك بعد أن نصحه الأنبا يوساب أسقف فوه الذى أورد هذا الحادث مفصلا فى تاريخه.

وفى دير أبو مقار جرس كبير الحجم ليس له ما يضارعه فى كنائس البلاد المصرية. والرواية المتواترة عنه أن البابا كيرلس الرابع أوصى بصنعه فى أوربا لحساب دير مار أنطونيوس فمات قبل أن يتم صنعه. فلما جلس على الكرسى الأنبا ديمتريوس الثانى ووصل الجرس إلى البطريركية فى عهـــده أرسله إلى دير القديس مكاريوس، وينكر الرهبان المقاريون هذه الرواية ويقولون إن البابا ديمتريوس هو الذى أوصى على هذا الجرس خصيصاً لديره.

مشاهير دير أبو مقار

أنجب هذا الدير نخبة من العلماء الممتازين الذين قاموا بخدمات نافعة نحو المجتمع الكنسى اشتهر من بينهم البابا كيرلس الأول الذى نال ثقـــة قياصرة القسطنطينية فعهدوا اليه سنة ٤٣١ م برئاسة المجمع المسكونى الثالث المنعقد بمدينة أفسس لمحاكمة نسطور البطريرك البيزنطى.

والبابا يوساب الأول + ٨٤٩ الذى خدم الكنيسة بإخلاص وأمانة على الرغم من تمرد الأساقفة الذين حاولوا خلعه بعد أن رسمهم.

والبطريرك أثناسيوس الثالث + ١٢٦١ الذى أصلح ما أفسده سلفه المدعو كيرلس بن لقلق.

والراهب جرجه الباحث المدقق الذى وضع سير البطاركة من ديسقوروس

الحادى والثلاثين إلى اسكندر الثالث والأربعين وكان معاصراً للبطريرك ثاوذيوس ٧٣١ — ٧٣٥ م.

والقس بولس بن رجاء المعروف بالشيخ الواضح الذى دعاه المسيح إلى إيمانه فضحى بالزوجة والولد والجاه العالمى، وترهب فى دير القديس مكاريوس ورسم كاهناً فى عهد البطريرك فيلوثاؤس ٩٧٩ — ١٠٠٣ م وخدم بأقاصى الصعيد وبلاد النوبة ومات أخيراً فى صندفا التى هى الآن جزء من المحلة الكبرى ودفن فى كنيستها متوجاً بجهاده العجيب.

والأنبا ياكوبوس الذى رسم أسقفا على المنيا وتنيح سنة ١٨٩٩ وكان أمينا لكنيسته محبا لديره، يتفانى فى خدمة الرهبان وتقديم كل ما يحتاجون إليه من غذاء وكساء.

والقس ميخائيل المقارى + ١٩١٩ الذى درس اليونانية فى مدارس أثينا وعند عودته طبع كتاب السنكسار المستعمل فى كنائس الكرازة المرقسية واشترى أرضاً فى حلوان بنى عليها كنيسة جميلة باسم السيدة العذراء وقد قام بتصميمها ورسم أيقوناتها وأشرف على كل شىء فيها.

والقس داود المقارى الذى اعتزل المنصب الحكومى وبعد ترهبه رشح من كثيرين لرتبة البطريركية وكان منها قاب قوسين أو أدنى. وإذ لم يصل إليها انصرف نحو أعمال طائفية نافعة توجها بإنشاء كنيسة كبرى برسم السيدة العذراء فى حى روض الفرج تعد من أكبر كنائس القاهرة وأجملها عمارة وشكلا. كما كان حجة فى القبطية واللغات الأخرى وأخرج مجلة الأنوار وأشرف على تحريرها إلى أن توفى فى ٣٠ يناير سنة ١٩٥٤.

رؤساء دير أبو مقار

كان الأقباط قديماً عند فراغ الكرسى المرقسى يتوجهون إلى رؤساء مدرسة الاسكندرية لانتخاب من يصلح منهم، فلما أوصدت أبوابها انصرفوا إلى أديرة الرهبان وخاصة دير أبو مقار يأخذون منه معظم باباواتهم وأساقفتهم لا سيما من رؤسائه الأفاضل وهاك ما عرفناه منهم.

مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

صاحب النيافة الأنبا
ميخائيل مطران كرسى
أسيوط ورئيس دير
أبو مقار

القمص غبريال الغمرى

ويعرف فى التاريخ بابن كاتب القوضية وقد أختير رئيساً للدير . وبعد أن خدمه زمناً رسم مطراناً على أسيوط باسم الأنبا غبريال الغمرى فى عهد البابا غبريال الخامس وقد قام كلاهما مع بعض الأساقفة المعاصرين برسامة مار باسيليوس بهنام بطريركا لأنطاكية سنة ١٤١٢ م فى كنيسة القديس مركوريوس أبى السيفين بمصر العتيقة .

القس عطية

كان رئيسا على الدير فى عهد البابا يوأنس الثامن عشر واشتهر بخطه الجميل فكان ينسخ الكتب الكنسية نظير أجر ينفق منه على الدير وسد أعواز الرهبان ، وله بمكتبة دير السريان قطارس يخدم شهر بابه يرجع تاريخه إلى سنة ١٥٠٠ ش .

القمص جرجس

تولى المنصب فى حبرية البابا بطرس السابع وسافر بصحبته إلى الاسكندرية لتكريس بيعة مار مرقس الرسول الانجيلى فى يوم الأحد ٧ بابه سنه ١٥٣٥ ش وكان قد هدمها الفرنسيس فاهتم ببنائها وتكريسها المعلم منقريوس أبو يوسف البنانونى والمعلم جرجس حسب الله البياضى [نوابغ الأقباط ج ١ ص ٦٩]

القمص ميخائيل

كان رئيسا للدير فى عهد البابا كيرلس الرابع ولحزمه وتقواه خلفه فى الكرسى المرقسى باسم البابا ديمتريوس الثانى ، وقد نال منزلة رفيعة لدى الملوك والأمراء ، وحضر حفل افتتاح قناة السويس فى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩

القمص يوسف

ترهب فى دير السيدة العذراء بالمحرق ، وكان شقيقاً للقمص ميخائيل المقارى ، فلما ارتقى إلى عرش البابوية باسم ديمتريوس الثانى استدعى أخاه من الدير المحرق وعينه رئيساً لدير القديس مكاريوس خلافاً للقوانين المرعية والتى ما زالت قائمة بين الرهبان ، وهى ألا يتولى رئاسة الدير إلا راهب منه .

القمص ابراهيم الهورى

ولد فى بلدة هور ، وهى مسقط رأس الأنبا ديمتريوس وشقيقه القمص يوسف، وقد تولى رئاسة الدير فى حبرية البابا كيرلس الخامس ، وعمل على تنميته روحياً ومادياً ، وكان محترماً من المواطنين ومحبوباً من أبنائه .

القمص فيلوثاؤس المقارى

تولى رئاسة الدير وأقام فى قرية اتريس ، وعين القمص حنا الفيومى وكيلا له بالقاهرة ، فلما رسم الأخير أسقفاً على كرسى أبو تيج باسم الأنبا باسيليوس اتهم رئيسه بالتبذير وحصل على موافقة البطريركية بعزله فى أواخر ديسمبر سنة ١٨٩٦م

فاستدعاه البابا كيراس ليكون سكرتيراً خاصاً له ، وفى ٣ مارس سنة ١٩٢١ م رسم مطراناً على كرسى البلينا باسم الأنبا ابرآم وتنيح فى ١٣ مايو سنة ١٩٤٣ م .

القمص مرقس

رشحه الرهبان للرئاسة بعد عزل القمص فيلوثاؤس الباقورى فتولاها تحت نظارة الأنبا باسيليوس مطران أبو تيج ، وفى ١٦ أغسطس سنة ١٩٢٠ م تخلى هـــذا الأسقف عن منصبه، وجرد من كل الرتب الكهنوتية فانفرد القمص مرقس بإدارة شئون الدير ، وظل فى خدمته إلى أن تنيح فى ٢ أغسطس سنة ١٩٢٨ م .

القمص روفائيل

اختاره الرهبان للرئاسة بعد نياحة القمص مرقص فتطوع لخدمتهم تحت إشراف الأنبا ابرآم مطران كرسى البلينا الذى اشتهر بحبه لديره والتردد عليه من حين لآخر ثم استقال لظروف خاصة فى أوائل أكتوبر سنة ١٩٣٢ م .

القمص يوحنا الباقورى

تولى رئاسة الدير بكتاب من البابا يوأنس التاسع عشر مؤرخ فى ٨ أكتوبر سنة ١٩٣٢ م ، وكان قد رشحه لهذا المنصب الأنبا ابرام مطران البلينا الذى يمت اليه بصلة القرابة ، واستقال فى أواخر سنة ١٩٣٦ م ، وهو لا يزال على قيد الحياة يقاسى أمراض الشيخوخة .

القمص روفائيل ثانية

أعيد للرئاسة للمرة الثانية بناء على طلب الرهبان إذ كان محبوباً من جميعهم ، ولكنه عاد واعتزل المنصب بعد شهور قلائل ، وفضل العمل فى بعض الكنائس ككاهن ، ولما أدركته الشيخوخة أقام طرف شقيقه الأنبا باسيليوس أسقف دير الأنبا بشوى إلى أن وافته المنية سنة ١٩٦٣ م

القمص مكسيموس

كان وكيلا لأوقاف الدير بالقاهرة ، ثم عين رئيساً للدير بعد استقالة القمص روفائيل ، وتنحى عن الخدمة فى شهر نوفمبر سنة ١٩٣٦ م ولازم الدير إلى أن تنيح به بعد أمراض مستعصية .

القمص باخوم

عين للرئاسة على إثر استقالة سلفه ، وكان عاقلا ومتزناً ، وبعد أن قام للدير بخدمات جليلة استقال من منصبه فى أواخر سنة ١٩٤٦ م ، وتنيح بعدئذ فى شيخوخة صالحة .

الأنبا ميخائيل

كان وكيلا لأوقاف الدير بالقاهرة باسم القمص متياس المقارى ، وقد دعاه البابا يوساب الثانى لرتبة المطرانية ، ورسمه على كرسى أسيوط فى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٤٦ ، ولما استقال القمص باخوم من وظيفته عينته البطريركية ناظراً ورئيساً على الدير ، وهو لا يزال يواصل خدماته فى كلا المرفقين حفظ الله حياته .

وثائق هامة

يلوح لنا من أقوال مؤرخى القبط وغيرهم أن دير القديس مكاريوس كان فى الأزمنة السالفة غنياً بوثائقه الكتابية النادرة التى لم تتوفر لغيره من الأديرة الأخرى . فذكر الشيخ تقى الدين أحمد المقريزى فى الجزء الرابع من خططه ص٤٢٠ نقلا عن شاهد عيان ، أن رهبان الدير المذكور كانوا يحتفظون لديهم بالكتاب الذى كتبه عمرو بن العاص لرهبان وادى هبيب عند فراغه من فتح البلاد المصرية سنة ٦٤٠ م .

وعندما شرع ساويرس ابن المقفع أسقف الأشمونين فى وضع كتابه المعروف بتاريخ « بطاركة الأسكندرية » ذهب إلى دير القديس مكاريوس ليبحث عن أهدافه

بين سجلاته الخاصة . وبينما كان يقوم بفحص بعض الوثائق رأى بنفسه كتاباً قديماً على درجة كبيرة من الأهمية والخطورة ، يتضمن الرسائل التى تبادلها البابا بطرس الثالث الأسكندرى مع أكاكيوس بطريرك القسطنطينية كما ذكر ذلك فى كتابه، وقد اختتمت هذه الرسائل فيما بعد من موضعها ، وظل مكانها مجهولا حتى عثرت جمعية الآثار الفرنسية على نسخة فريدة منها فى دير الأنبا شنودة بسوهاج ، فقامت بنشرها سنة ١٨٨٨ م مع ترجمتها الفرنسية ، فبادر بنقلها إلى العربية الأنبا إيسيذوروس أسقف دير سيدة برموس ، وسطرها فى الجزء الثانى من كتابه « الخريدة النفيسة ».

هذا وممن استنار بهذه الوثائق المقارية الهامة فى كتاباته التاريخية الشماس أبو جرجه الذى عاش فى القرن السابع والشماس ميخائيل بن بدير الدمنهورى الذى رسمه البابا أخريستوذولوس أسقفاً على تانيس باسم الأنبا ميخائيل ، والشماس بقيرة الرشيدى المعروف بصاحب الصليب ، والقس يوأنس الملقب بابن زكير رئيس دير نهيا من أعمال الجيزة ، والشماس تيدرا بن مينا المسمى بالأمين الذى قام بتجنيز ودفن القس بولس بن رجاء وهو الشيخ الواضح سابقاً، والشيخ موهوب بن مفرج الأسكندرى وغيرهم ممن ولعوا بتدوين تراجم البابا وات المصريين ووجدوا فى دير أبو مقار مزرعة خصيبة مليئة بالمعلومات الهامة والأخبار الصحيحة .

مواقف مشرفة ولكن . . . !

كان للرهبان المقاريين قديماً مواقف جريئة فى قيادة الكنيسة وانتخاب بطاركتها وترتيب طقوسها. فقد جاء عن البابا غبريال الثانى الشهير بابن تريك ١١٣١-١١٤٥م أنه لما رفع قربان القداس التقليدى بدير القديس مكاريوس زاد فى الاعتراف قوله « وجعله واحداً مع لاهوته » فامتعض الرهبان من هذه الزيادة ، وأجروا مع البطريرك نقاشاً بشأنها فتمسك برأيه وقال إن مجمع الأساقفة أجاز له ذلك ، فلما رأوا إصراره عليها رسموا له أن يدعمها بقولهم « بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير » فأخذ برأيهم وأصدر منشوراً كنسياً بذلك .

ولما رأى ابن تريك هذا أن الناس منهمكين فى أشغالهم وليس فى استطاعتهم ملازمة البيعة فى أسبوع الآلام لقراءة الكتاب المقدس بعهديه كما رسمت القوانين المعروفة ، جمع العلماء من رهبان دير أبو مقار وأراخنة الشعب فوضعوا ترتيباً موجزاً للبصخة المقدسة لا يزال معمولا به إلى يومنا هذا ، بعد تعديل طفيف أدخله عليه الأنبا بطرس أسقف البهنسا .

وعندما تولى البطريركية البابا يوحنا الخامس ١١٤٧ - ١١٦٦ م زاد رهبان سمنود كلمة « المحيى » فى الاعتراف بعد قولهم إن هذا هو الجسد فأنكر الأنبا مكاريوس أسقف سمنود عليهم هذه الزيادة وأمرهم بحذفها ، وإذ لم يذعنوا له رفع أمرهم إلى المجمع المقدس فحكم بقبولها ، وأذاع بياناً رسمياً بتلاوتها ، إلا أن رهبان دير أبو مقار لم يستحسنوا قرار المجمع ودفعهم الغيظ إلى موقف الحماقة فرفعوا الأمر إلى الوالى الذى عندما وقف على سر الخلاف من الفريقين اللذين قدما ساحته سخر منهما وطردهما من أمامه !!

ولعل هذا الموقف المستهجن من جانب الرهبان المتزمتين الذين أعطوا القدس للكلاب وطرحوا درهم قدام الخنازير كان نذيراً بالانحطاط الفكرى الذى أصاب الرهبنة القبطية فيما بعد فتخلفت عن طريق العلم والعمل ! ومع هذا لم تخل الأديرة قط من رهبان سذج عاشوا فى بساطة تامة متسربلين بشتى الفضائل إلى يومنا هذا .

دير الأنبا بشوى

هو ثانى أديره البرية المقدسة الذى يواجه القادم إليها من وردان عن طريق القوافل القديم . وثالث حصونها الرهبانية لمن يقصدها من الاسكندرية ماراً بمريوط ونيتريا ومنطقة القلالى ويبعد عن ديرالقديس مكاريوس غرباً بحوالى ٢٠ كيلومترا.

حياة مؤسسه

أسس هذا الدير أحد كواكب الرهبنة الأوائل وهو الناسك الجليل القديس بشوى الذى يسمى بشيه ويقال له بشاى أيضاً. وقد ولد هذا الطوباوى سنة ٣٢٠ م فى بلدة شنشا(١) من أعمال مصر(٢). وهى إحدى القرى المندرسة فى الوجه البحرى، وكان رقيقاً نحيف الجسم وشقيقاً لستة إخوة ، فظهر ملاك الرب فى حلم لأمه وأمسك بيده من بين أبنائها وأفرزه للخدمة ، فأرادت هى أن تقدم من أشقائه أشدهم بأساً وأقواهم بنيه إلا أن الملاك صرفها عن ذلك وأفهمها أنه لم يفعل شيئاً من تلقاء ذاته وإنما جاء متمما لإرادة المسيح . فلما بلغ الفتى أشده نزح إلى الأسقيط المبارك وترهب عند الأنبا بموا تلميذ القديس مكاريوس المصرى ومعلم الأنبا يحنس القصير ، وعند ما لبس بشوى الزى الرهبانى أخذ يترقى فى مدارج الفضيلة ويجهد نفسه فى نسك زائد وعبادة متواصلة حتى وصل إلى مرتبة روحانية كبرى جعلت الكنيسة فيما بعد أن تدرجه فى قائمة القديسين الأوائل الذين تولوا زعامة الحركة الرهبانية فى أوج عظمتها .

الأنبا بشوى فى الحضرة الربانية.

تقول بعض السير المخطوطة المتداولة بين الرهبان أنه عندما شيدت كنيسة القديس مكاريوس ، وحدد شيوخ البرية يوماً معيناً لتدشينها هرع إليها الرهبان

(١) وجدت فى مصر السفلى قريتان بهذا الاسم وقد اندثرتا أخيراً .

(٢) كان الوجه البحرى فى العهد البيزنطى ينقسم إلى إقليمين هما : أوجستامنيك ومصر .

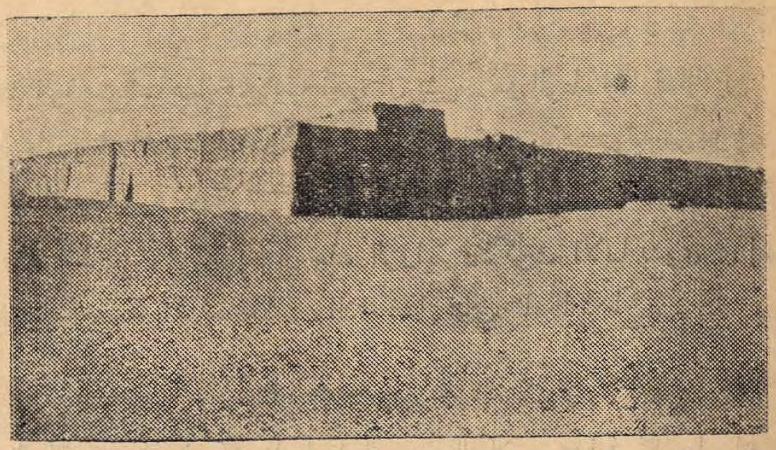

منظر خارجى لدير الأنبا بشوى

من مختلف أنحاء الوادى وبينما كان الأنبا بشوى فى طريقه إليها رأى شيخاً قد وهن عظمه وهو يسير على مقربة منه بخطوات بطيئة فاقترب منه البار وسأله عن طريقه . فقال إنه يريد الذهاب إلى كنيسة القديس مكاريوس ليشهد تكريسها وينال بركة الآباء الذين تقاطروا إليها . فلما رأى بشوى أن الاعياء يبدو على الشيخ واضحاً عرض عليه أن يحمله إلى حيث يريد فامتنع أولا ثم عاد وقبل منه ذلك فوضعه القديس على كتفيه وأخذ يقطع به وهاد الاسقيط وكأنه لا يحمل شيئاً إلا أن الراهب العجوز عاد يثقل شيئاً فشيئاً حتى توقف حامله عن المسير ، وعندئذ أدرك بشوى أن هذا الشيخ ما هو إلا العتيق الأيام الكائن قبل كل الدهور . فتطلع إليه وهو يقول السماء لا تسعك والأرض ترتج من جلالك فكيف يحملك خاطىء مثلى ؟! وعندئذ ابتسم الرب فى وجهه ومنحه السلام لروحه والبركة لجسده ثم تركه وانصرف .

ويقول تقليد آخر إن السيد المسيح قرع باب الأنبا بشوى فى يوم قائظ كناسك قد ضلّ الطريق فرحب المضيف بضيفه وصب ماء فى وعاء وأقبل يغسل قدميه ويقبلهما دون أن يعرف من أمره شيئاً . فلما نظر الفادى تواضعه ومحبته الخالصة كشف له عن حقيقته وانصرف. أما هو فحسب ذاته غير جدير بهذا الشرف

العظيم وأقبل نحو الماء يرتشف منه بنهم وشهية ثم ترك منه جانباً لتلميذه الذى كان فى ذلك الوقت متغيباً فلما أقبل إليه أمره أن يشرب من الوعاء المبارك إلا أن نفس التلميذ عافت ما به من الماء ، ولكن أمام إلحاح القديس ذهب إليه مرغماً وعندما رفع الغطاء ليشرب وجد الإناء فارغاً ! !

وقد أخذت الكنيسة بصدق هذه الرواية وذكرت الأنبا بشوى فى إحدى ليتورجياتها مصحوباً بهذه العبارة « الذى غسل قدمى مخلصنا الصالح » .

نياحة حبيب الرب

ظل القديس فى منسكه مثابراً على الصوم والصلاة ، مجداً فى كل واجباته حتى أغار البربر على شيهيت للمرة الأولى وفرقوا شمل ساكنيها بعد أن قتلوا عدداً منهم ، ونهبوا كل ما كانوا يقتنونه فى الأديرة والكنائس . فهرب يوحنا القصير إلى جبل القلزم ليتفادى القتل حتى لا يؤخذ بذنبه أحد من الغزاة بينما استسلم لأيديهم موسى الأسود مع جماعة من رفاقه وهو يقول الذين يأخذون بالسيف بالسيف يؤخذون ! أما الأنبا بشوى فقد لجأ إلى جبل أنصنا وهى اليوم قرية الشيخ عباده من أعمال مركز ملوى وأقام به عابداً شاكراً حتى تقدمت به الأيام والسنون فاختاره الرب لجواره فى اليوم الثامن من شهر أبيب سنة ٤١٧ م وهو فى الكنيسة تذكاره السنوى المبارك فكفنه الاخوة والمؤمنون ودفنوه بإكرام جزيل فى الموضع الذى تنيح به .

زمن تأسيس الدير

يؤخذ من السير الرهبانية المخطوطة ، والمؤلفات التى وضعها الأجانب عن الرهبنة المصرية لا سيما كتاب « قديسو مصر » أن الأنبا بشوى أنشأ ديره المعروف حالياً فى شيهيت قبل أن يقوم البربر عليها بالغارة الأولى التى وقعت على ما يرجح سنة ٤٠٧ م .

ويقول القمص عبد المسيح المسعودى فى كتابه تحفة السائلين ص ١٢ ما معناه

أن دير الأنبا بشوى العامر الآن بنى فى الجيل الرابع ورآه القديس أبو مقار كما جاء فى سيرته المخطوطة .

وجاء فى الجزء الثانى من دليل المتحف القبطى ص ٨٩ أن هذا الدير بناه أتباع القديس بشوى فى القرن الرابع . يؤيد ذلك ورقة خطية عثر عليها الرحالة كرزون ، وقد أعيد بناؤه فى عهد الأنبا يعقوب البطريرك الخمسين ٨١٠ — ٨٢١ م ورمم فى عهد الأنبا بنيامين البطريرك الثانى والثمانين سنة ١٣١٩ م وعمل آخر ترميم به منذ مائة وخمسين سنة ا هـ .

وقد كتب عن هذا الدير كثيرون من مؤرخى مصر نذكر منهم جرجس ابن مسعود الشهير بأبى المكارم فى كتابه « الكنائس والأديرة » ، والشيخ تقى الدين المقريزى الذى وصفه فى الجزء الثانى من خططه طبعة بولاق بقوله « دير بو بشاى وهو دير عظيم عندهم من أجل أن بو بشاى هذا من الرهبان الذين فى طبقة مكاريوس ويوحنس القصير وهو دير كبير جداً » .

أما الرحالة الأجانب فقد تناولوه بأقلامهم أثناء وجودهم بالبرية المقدسة وعند عودتهم إلى بلادهم طبعوا مادونوه فى كتب معروفة أشهرها للراهب فانسليب الدومنيكى الذى قدم وادى النطرون سنة ١٦٧٢ ثم الأب دوبرنا اليسوعى الذى زار البرية سنة ١٧١٠ وسجل مشاهداته فى الجزء الثانى من كتابه « مذكرات مبشرى جمعية يسوع الجديدة فى الشرق » .

ومما سبق ذكره من أقوال مؤرخى البيعة وغيرهم من العرب والأجانب نستطيع أن نؤكد أن دير القديس الأنبا بشوى قد تأسس فى حياته وأن القلالى التابعة له تجاوزت منطقته المعروفة ثم هجره الرهبان عند خراب البرية على أيدى البربر وعادوا إليه بعد نياحة القديس وظل عامراً إلى يومنا هذا .

الدير وزائروه من البطاركة

كان دير الأنبا بشوى محبوباً من باباوات الاسكندرية لعوامل كثيرة أهمها

رقعته الفسيحة واتساع كنيسته الجميلة وموقعه فى أرض معتدلة يسهل الوصول إليها ولما لصاحبه من ذكريات مجيدة . فزاره البابا بنيامين الأول ٦٢٣ — ٦٦٢ م وهو فى طريقه إلى دير القديس مكاريوس لتكريس كنيسته العظمى. وبنيامين الثانى عند تقديس الميرون سنة ١٣٣٠ م . وغبريال الرابع عندما قام بنفس هذه العملية سنة ١٣٧٤ م . ويوأنس التاسع عشر وكان يتردد عليه سنوياً ويقوم بترقية من يراه أهلا من رهبانه إلى الرتب الكهنوتية . والبابا كيراس السادس الذى احتفى رهبان البرية بمقدمه فى ٣١ مارس سنة ١٩٦١ م .

كما قصده من بطاركة أنطاكية مار اغناطيوس فى يوم السبت ١٦ أمشير سنة ١١٨٩ ش — ١٤٧٣ م ودون زيارته بالعربية على جدار كنيسة العذراء بالحصن القديم إلا أن الكتابة لم تفصح عن الاسم الكامل لهذا الزائر الجليل لأنه منذ عهد البطريرك اسماعيل ١٣٣٣ — ١٣٦٦ م صار « اغناطيوس » لقباً يعطى لكل البطاركة الأنطاكيين علاوة على الاسم الأصلى كما ترى ذلك فى اسم العالم الجليل مار اغناطيوس يعقوب الثالث توما البطريرك الحالى الذى زار دير الأنبا بشوى فى شهر يناير سنة ١٩٥٩ وكان بمعيته مار ديونسيوس جرجس مطران حلب ومار ملاتيوس برنابا مطران حمص والربان زكا عيواز وهو مار سويروس مطران الموصل الحالى .

رفات الأنبا بشوى

بعد أن استراح القديس من متاعب الحياة وانتقل إلى جوار ربه فى جبل أنصنا ظل جسده الطاهر هناك مكرماً من المؤمنين ومعروفاً لديهم حتى جلس على الكرسى البطريركى القس يوسف المقارى باسم البابا يوساب الأول ٨٣١ — ٨٤٩ م فنقله من مرقده وجاء به إلى ديره الكائن ببرية شيهيت مع جسد الأنبا بولا الطموهى .

ولا يزال جثمانه محفوظاً إلى هذا اليوم فى كنيسة الدير الكبرى حيث يقصده

الكثيرون للزيارة والتبرك من مختلف جهات القطر لا سيما فى عيد نياحته الذى يقع دائماً فى الثامن من شهر أبيب المبارك .

ويروى رهبان دير الأنبا بشوى لزائريهم قصصاً مختلفة تدور حول معجزات هذا القديس العظيم ، ويقولون انه لعهد قريب كان البار يخرج يده من داخل تابوته ويصافح المؤمنين الذين يقتربون منه لا سيما المشهود لهم بطهارة السيرة ، وحدث أن قدم إليه مرة أحد الأمراء ووقف أمام نعشه ومد إليه يده إلا أن البار رفض أن يسلم عليه كغيره من الناس فخرج الحاكم غاضباً وأعلن سخطه على الدير ورهبانه، وعندما هدأت العاصفة ذهب البطريرك المعاصر لزيارة القديس فى ديره وسأله متوسلا أن يقلع عن هذه العادة التى كانت سبباً مباشراً فى المحنة التى أصابت الكنيسة ! غير اننا لم نجد شيئاً فى المخطوطات الصحيحة عن هذه القصة التى سكت رواتها عن تحديد الزمن الذى وقعت فيه ولا عن اسم البطريرك الذى استطاع بسلطانه الإلهى أن يوقف يد القديس عن هذه الحركة العجيبة ! !

ونحن وان كنا لا نشك مطلقاً فى عجائب القديسين ولا يمكننا أن نجعلها قاصرة على زمن معين أو مكان محدود ! إلا أن تسليمنا بحركة دائمة تصدر عن جسم ميت قد تسىء إلى كرامة صاحبه وتقلل من رهبة الموت وسلطانه ، كما أنها تتنافى مع قوله تعالى لآدم لأنك تراب وإلى تراب تعود (تك ٣ : ١٩) وهو الحكم الإلهى الذى فسره الحكيم بقوله فيرجع التراب إلى الأرض كما كان وترجع الروح إلى الله الذى أعطاها (جا ١٢ : ٧) لهذا رسمت الكنيسة عند تجنيز موتاها أن يقول الكاهن « التراب عاد إلى التراب والروح رجعت إليك ياخالقنا . . . » يبس الجسد وانحلت القوى الحساسة ، هدأ القلب ، وبطل القتال ، وصمت الآذان ، وأغلقت العينان ، وبطل نفس الأنف، وخرس اللسان، وهدأت اليدان، واستراحت الرجلان ، وعادت العناصر إلى موضعها ، والروح العاقلة حصلت عندك فى موضع المجازاة .

هذا ويجب ألا يفوتنا أبداً أن رفات القديسين وان كانت بالية فلها من الأهمية والكرامة ما كان لأصحابها وهم على قيد الحياة . فأليشع النبى الذى أقام ابن المرأة

الشونمية هو أيضاً صاحب العظام النخرة التى حينما طرح القوم عليها ميتاً عادت إليه الحياة (٢ مل ١٣ : ٢١) فالمعجزة لا تنبع من تماسك الأعضاء البالية بل تصدر عن كرامة صاحبها الذى سبق وشرفها بحياة طاهرة وسيرة ملائكية فالأشلاء الصغيرة التى تركتها السباع بعد أن بطشت بالقديس اغناطيوس النورانى . والأجزاء التى تبقت من جسد مار يعقوب المقطع ، والفضلات التى تخلفت عن حرق بعض الشهداء كانت كلها مصدر تعزية وبركة لكثيرين من المؤمنين على مدى الأجيال المتعاقبة .

الأنبا بشوى فى الكنيسة الجامعة

أحرز هذا القديس شهرة واسعة فى الكنيسة القبطية فلقبته بالقديس العظيم ، والرجل الكامل ، والكوكب اللامع ، وحبيب مخلصنا الصالح . وجاء اسمه فى صلاة الذبتيخا التى يتلوها الكاهن عند تقديس القرابين قبل الأنبا بولا الطموهى ، ومكسيموس ، ودوماديوس ، ودانيال ، وإيسيذوروس ، وباخوم ، وشنودة .

كما تشترك فى تطويب هذا الناسك الجليل الكنائس الأرثوذكسية الشقيقة فيقدسه الأحباش والسريان والأرمن ويعطونه منزلة رفيعة بين آباء الرهبنة الأوائل .

وبما أن نياحة الأنبا بشوى سبقت انعقاد المجمع الخلكيدونى الذى مزق وحدة الكنيسة الجامعة بأربعة وثلاثين عاماً فقد ارتضت به جميع الفرق المذهبية المتنازعة من أرثوذكسيين وملكيين ونساطرة .

مساحة الدير وأشهر مبانيه

يعتبر دير الأنبا بشوى أكبر أديرة وادى النطرون وأجملها تخطيطاً ، وتقدر رقعته القائمة على أرض منبسطة بعيداً عن التلال المرتفعة بنحو فدانين وستة عشر قيراطاً ، تقوم فى أماكن متفرقة منها الكنائس والحصن وقصر الضيافة ، وقلالى الرهبان . كما تشغل الحديقة الأجزاء الباقية منها وهاك بياناً موجزاً عن أشهر هذه المبانى .

▲ ▲ ▲

كنيسة الأنبا بشوى

وهى أبدع كنائس أديرة البرية وأكثرها إتساعاً إذ يبلغ طولها من الشرق إلى الغرب نحو عشرين متراً تقوم عليها ثلاثة خوارس فسيحة يعلو كل منها سقف جمالونى ويقل عرضها عن طولها بخمسة أمتار فقط .

والكنيسة خمسة أبواب تفتح غرباً وشمالا وجنوباً ، ويفصل بين الخورس الأول والثانى جدار مرتفع به باب خشبى صغير مواجه لحجاب الهيكل ، بداخله سلالم حجرية صغيرة تنتهى بالزائر إلى منبر يشرف على الخورس الثانى ، ويكشف لنا عن الرسالة التبشيرية التى كان يقوم بها رهبان هذا الدير قديماً .

أما هيكلها المتسع فهو يشبه تماماً أحد الخوارس الثلاثة ، ولا يقل عنه طولا أو عرضاً وتقوم بداخله ثلاثة مذابح يتوسطها المذبح الرئيسى المكرس باسم الأنبا بشوى والذى تعلوه قبة ذات طابع هندسى جميل لا تشبع العين من التطلع إلى استدارتها المحكمة ، وإلى نوافذها الدقيقة التى تتسرب منها أشعة الشمس فى خيوط ذهبية مشعة . كما تقوم من خلفه سبعة مدرجات لا يرى مثلها إلا فى الكنائس الكبرى .

وعن يسار الداخل إلى المذبح البحرى توجد مقصورة خشبية ذات أبواب زجاجية من صنع عادى بها تابوت من الخشب المطعم يضم رفات القديس الطاهر الأنبا بشوى ، والأنبا بولا الطموهى اللذين رفضا أن يفترقا .

كنيسة الشهيد أبسخيرون

الأصل فى اسم هذا الشهيد هو سخيرون الذى يترجم « بالقوى » وأما الحرفان الأولان اللذان يتصدران اسمه فيأتيان بمعنى أبا أو أنبا ، وليس لدينا ما يؤكد إن كانت هذه البيعة باسم أبسخيرون الشهيد الأسكندرى كما هو الحال فى دير أبو مقار أم هى برسم القليني الذائع الصيت الذى استشهد على يد أدريانوس والى مدينة أنصنا فى أوائل الجيل الرابع ؟

وليس بهذه الكنيسة أثر يذكر سوى معموديتها ذات الجرن الحجرى المنحوت، والذى يكفى لتغطيس البالغين ، وتعتبر هـــذه المعمودية الثانية فى أديرة البرية بعد معمودية دير سيدة برموس .

كنيسة الأنبا بنيامين البطريرك

زار الأنبا بنيامين الأول دير الأنبا بشوى ، وهو فى طريقه إلى دير القديس مكاريوس لتكريس كنيسته العظمى، ولكن لم يذكر المؤرخون أنه قام بأى عمل ما فى الدير الأول . أما بنيامين الثانى فقد توجه إلى دير الأنبا بشوى سنة ١٣١٩ م ، وإذ لم تعجبه مبانيه المتداعية قام بعملية ترميم على نطاق واسع تناولت الأسوار والكنائس والحصن وقلالى الرهبان، وليس فى كتب الدير ووثائقه القديمة ما يثبت أكانت هذه الكنيسة برسم بنيامين الأول الذى وقف من بلاده موقف المتفرج عند انسحاب الروم ودخول العرب ؟ ! أم هى باسم بنيامين الثانى الذى أعطى هذا الدير عناية خاصة ، وقام فيه بإصلاحات جليلة ؟ !

الحصن القديم

ويمتاز باتساعه وضخامة مبانيه ، وكانت به كنيستان الواحدة برسم السيدة العذراء ، والأخرى باسم الملاك ميخائيل كما هو الحال فى حصون أديرة الوادى ، وقد أبطلت الصلاة فى الكنيسة الأولى وأزيلت مذابحها الثلاثة ، ولم يبق بها شىء من معالم الزينة . أما الثانية فيصلى بها ثانوياً فى أعياد رئيس الملائكة التى يقع أشهرها فى الثانى عشر من شهرى هاتور وبؤونة . وقد أجرى البابا يوأنس التاسع عشر ترميما بها سنة ١٩٣٥ م ، كما تشهد بذلك كتابة على جدارها الشرقى .

قصر الضيافة

وفى وسط الدير بين حدائقه الفسيحة ، وشمالى كنائسه الثلاث المتداخلة فى بعضها البعض أنشأ القمص بطرس أحد رؤساء الدير السابقين قصراً جميلا مكوناً من

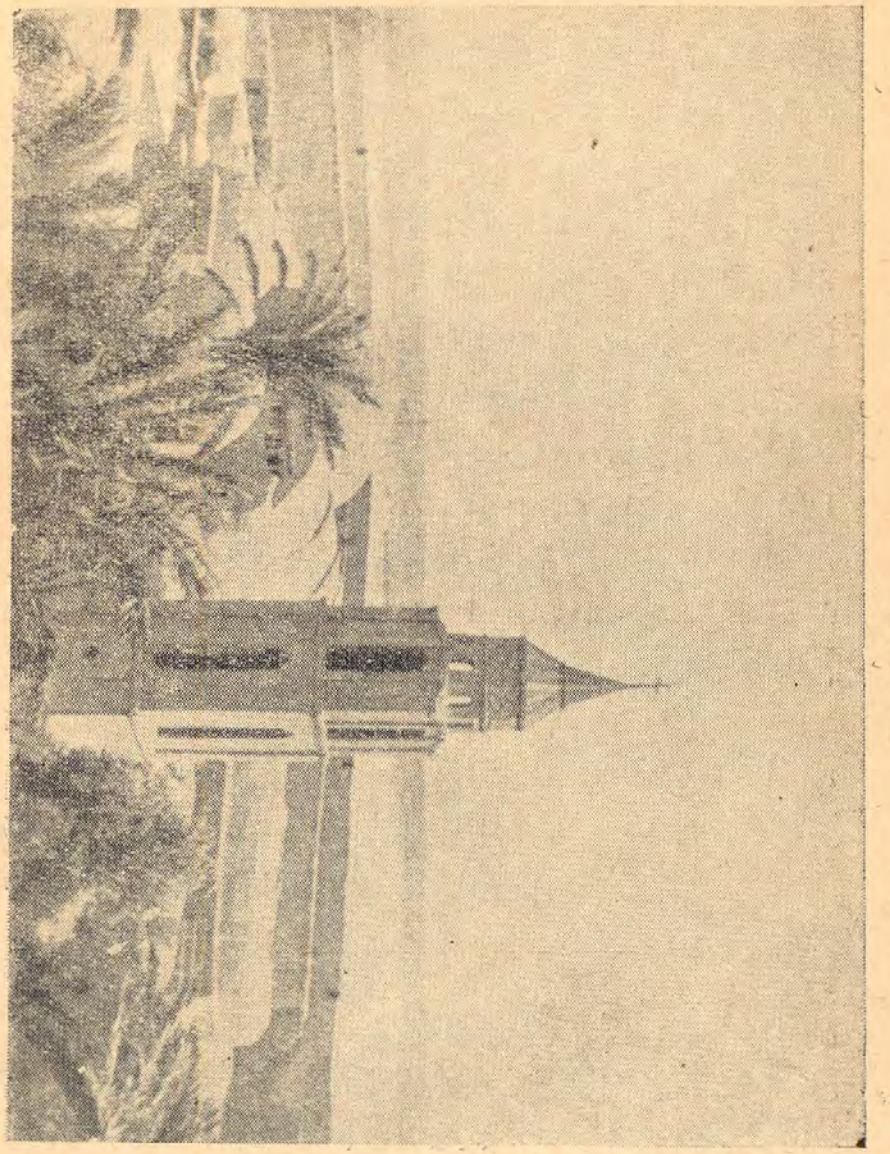

كنيسة الأنبا بشوى

طابق واحد مرتفع عن الأرض قليلا ، وأعده لنزول الضيوف واستقبال الزائرين ، وهو الآن فى حاجة إلى الترميم ليعود إلى رونقه الأول .

قلالى الرهبان

ويسكن رهبان دير الأنبا بشوى فى قلالى فسيحة أقيمت على امتداد السورين البحرى والشرقى يتخللها الضوء وتنفذ أشعة الشمس إلى معظمها . أما القلالى القديمة ذات القباب الصغيرة فلم يبق منها إلا عدد قليل بجانب السور القبلى وتكاد أن تكون مهجورة تماما .

حديقة الدير

وينفرد دير الأنبا بشوى عن أديرة وادى النطرون الأخرى بحديقته الغناء الواسعة التى تزينها أشجار النخيل الشهيرة بثمارها الشهية المتنوعة الأحجام ، مع مجموعة أخرى من غروس العنب والزيتون والليمون والجوافة والتوت والرمان والخضروات اليانعة المختلفة .

وكانت الحديقة منذ عهد قريب تروى عن طريق بئر ارتوازية لا يختلف ماؤها عن ماء النيل ولكن تغير طعمها فيما بعد عندما تسربت إليها مياه جوفية مالحة فاستبدلها البابا يؤنس التاسع عشر سنة ١٩٣٥ بماكينة أخرجت ماء عذباً من أعماق الأرض البعيدة .

ويعود الفضل فى إصلاح تربة الحديقة إلى السيد بافى ، وهو عالم ايطالى لجأ إلى مصر فى عهد محمد على فخوله استخراج النطرون من الوادى ، فاتخذ من الدير مسكناً له واهتم بحديقته فكان يجلب إليها الطمى على ظهور الجمال من الخطاطبة والقرى المجاورة ، وقام بتنسيقها حتى غدت روضة جميلة .

ويقول الرهبان عن بافى الذى كان يعرف من المصريين باسم « عمر بك » أنه كان ملحداً ومتزوجاً من كريمته ! !

بطاركة دير الأنبا بشوى والاصلاح

قدم دير الأنبا بشوى للكنيسة القبطية على ممر العصور بطريركين عظيمين هما البابا غبريال الثامن ١٥٨٧ — ١٦٠٣ م ، والبابا مكاريوس الثالث ١٩٤٤ — ١٩٤٥م وقد عاش كلاهما فى جو طائفى مضطرب قاسيا فيه أهوالا شديدة فلم يحققا شيئاً من أهدافهما الإصلاحية .

فالأول وهو الأنبا غبريال عزل من منصبه على أثر نزاع بين الشعب ترتب عليه قيام أربعة بطاركة فى وقت واحد ، إلا أنه عاد أخيراً إلى وظيفته واستقرت له البطريركية ، كما جاء فى ذيل تاريخ ابن الراهب ص ٢٤٤ .

وقد أصدر البابا غبريال أمراً سنة ١٦٠٢ م تضمن تعديل الأصوام فى الكنيسة القبطية على الوجه الآتى :

١ — أن يكون صوم الرسل من يوم عيد العذراء ٢١ بؤونة وفصحه فى اليوم الخامس من أبيب .

٢ — أن يكون صوم السيدة العذراء الذى يحل فى شهر مسرى اختيارياً ، فمن صامه وفاء لنذر قطعه على نفسه فله ثوابه ، ومن لم يصم فلا جناح عليه .

٣ — وأن يبتدىء صوم الميلاد من أول شهر كيهك ، ويكون فصحه عيد الميلاد

٤ — وأن لا تصام ثلاثة أيام نينوى .

وقد زار هذا البابا أديرة وادى النطرون فادركته المنية بدير السريان ، فقام الرهبان بتجنيزه فى ١٤ مايو سنة ١٦٠٣ م ، ودفنوه بإكرام فى بيعة الدير .

أما الآخر فهو الأنبا مكاريوس الذى رسمه البابا كيرلس الخامس مطراناً على أسيوط فى ١١ يوليو سنة ١٨٩٧م ، فعقد مؤتمراً طائفياً فى مقر كرسيه سنة ١٩١١م طالب فيه مساواة الأقباط بمواطنيهم فى المناصب الحكومية وكافة الحقوق الأخرى.

ولما اشتد النزاع بين الاكليروس والشعب بشأن أوقاف الأديرة ، رفع إلى

البابا مذكرة ضافية شرح فيها وجهة نظره التى كانت تهدف دائماً نحو المطالب الشعبية ، فلما أختير لمنصب البطريركية فى ١٣ فبراير سنة ١٩٤٤ م طالبه المجلس الملى بآرائه الإصلاحية التى سبق وأعلن عنها ، فلما شرع فى تنفيذها اعترض طريقه المجمع المقدس إذ رآها مجحفة بحقه ، وعندما فشل فى ترضية الطرفين ترك الدار البطريركية فى ٧ سبتمبر سنة ١٩٤٤ م ، وفر هارباً إلى دير الأنبا بولا بالجبل الشرقى وأقام به حتى عملت الحكومة على ترضيته وإرجاعه ، فعاد إلى مقره البطريركى يوم السبت ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٤٤م ، ولكنه ظل حزيناً واجماً حتى أدركته المنية فتنيح فى صباح يوم الجمعة ٣١ أغسطس سنة ١٩٤٥ ، ودفن فى مقبرة الباباوات بالكنيسة المرقسية ، ولم يرسم فى مدة رئاسته أحداً من الأساقفة .

شهداء من دير الأنبا بشوى

قدم هذا الدير للكنيسة فى القرن السادس عشر شهيداً ممتازاً هو الراهب القديس يوحنا القليوبى ، الذى كان معاصراً للبابا يؤنس الرابع عشر . وانفرد بتدوين سيرته الأنبا أثناسيوس أسقف قوص فى كتابه « صناعة الميرون » المحفوظ بالدار البطريركية تحت رقم ١٠٦ طقس .

ويفهم مما كتبه اثناسيوس القوصى أن الحكام أرغموا هذا الراهب الشهيد على اعتناق الإسلام ، فعندما رفض طلبهم أمروا أن يطاف به على جمل فى أسواق القاهرة بعد أن وضعوا فى كتفيه مشاعل نار متقدة ، وغرسوا فى أيديه السكاكين الحادة وإذ لم يمت حملوه أخيراً على عود من الخشب ، فظل صابراً ومحافظاً على إيمانه حتى أسلم الروح فى الساعة التاسعة من نهار الأحد المبارك ٣٠ هاتور سنة ١٢٩٨ ش . الموافق ٦ ديسمبر سنة ١٥٨٢ م ، وقد أستلم القبط جثمانه فى صباح الاثنين ، وبعد أن وضعوه فى الأكفان الفاخرة والأطياب الزكية دفنوه فى كنيسة الست بربارة بمصر القديمة بمزيد من الاحترام والإكرام .

وفى سنة ١٩٣٤ م فرغ القمص يوحنا ميخائيل رئيس الدير من إقامة القلالى

الجديدة فوق أنقاض المدافن الملاصقة للسور البحرى ، فسكن فى إحداها القمص حزقيال البلوطى ، وذات ليلة شاهد فى رؤيا الليل من يقول له لا تسكب الماء علينا ولا تطأنا بقدميك ، فنهض من نومه مذعوراً وقص الأمر على زملائه الذين بادروا إلى حفر الغرفة ، فاذ بهم يجدون ثلاثة أجساد لرهبان شهداء فصلت رأس أحدهم ودفنت بجانبه كما بترت بعض أعضاء الآخرين فأعاد الرهبان تجنيزها ووضعوها فى مدفن جديد دون أن يعرفوا أسماء أصحابها وزمن استشهادهم .

وقد حاول الرهبان أن يعرضوا هذه الرفات الطاهرة على الزائرين فامتلأ الدير ليلا بنوع من البعوض المخيف ، لم يشهد مثله فى البرية ، فأخذ يلسع الرهبان ويقض مضاجعهم ، ولم يتراجع عن نهش أجسادهم إلا بعد أن دفنوا أصفياء الله الأماجد .

ويرى تيفينو الذى زار مصر عام ١٦٥٧ م أنه فى أحد الشعانين من عام ١٦٥٦م احترقت بهذا الدير دون فعل فاعل عدة توابيت كانت بها أجساد كثيرين من القديسين .

المكتبة

تعتبر مكتبة دير الأنبا بشوى أصغر مكتبات أديرة وادى النطرون إذ لا تزيد محتوياتها عن ثلثمائة كتاب بين مخطوط ومطبوع ، ولكن بين كتبها أكثر من مجلد ذى أهمية .

المقصورة الجديدة

منذ سنة ١٩٦٠ م أخذ يتردد على أديرة وادى النطرون عامة ودير الأنبا بشوى خاصة الأستاذ عزيز جاد الله أحد كبار التجار بمدينة القاهرة ، فهذا المحسن الكريم الذى يعتبر نفسه مديناً لمراحم الله ومؤازرة الأنبا بشوى عندما لمس أن حالة الدير الاقتصادية قد تردت أخيراً أخذ يساهم فى احتياجاته ويتبرع بسخاء لكل ما يقوم به رهبانه من بناء وترميم . ولحبه المفرط لقديس الدير العظيم فقد فرش كنيسته الفسيحة بالسجاد الفاخر وزين جدرانها بالأيقونات الزيتية البديعة . وعندما رأى

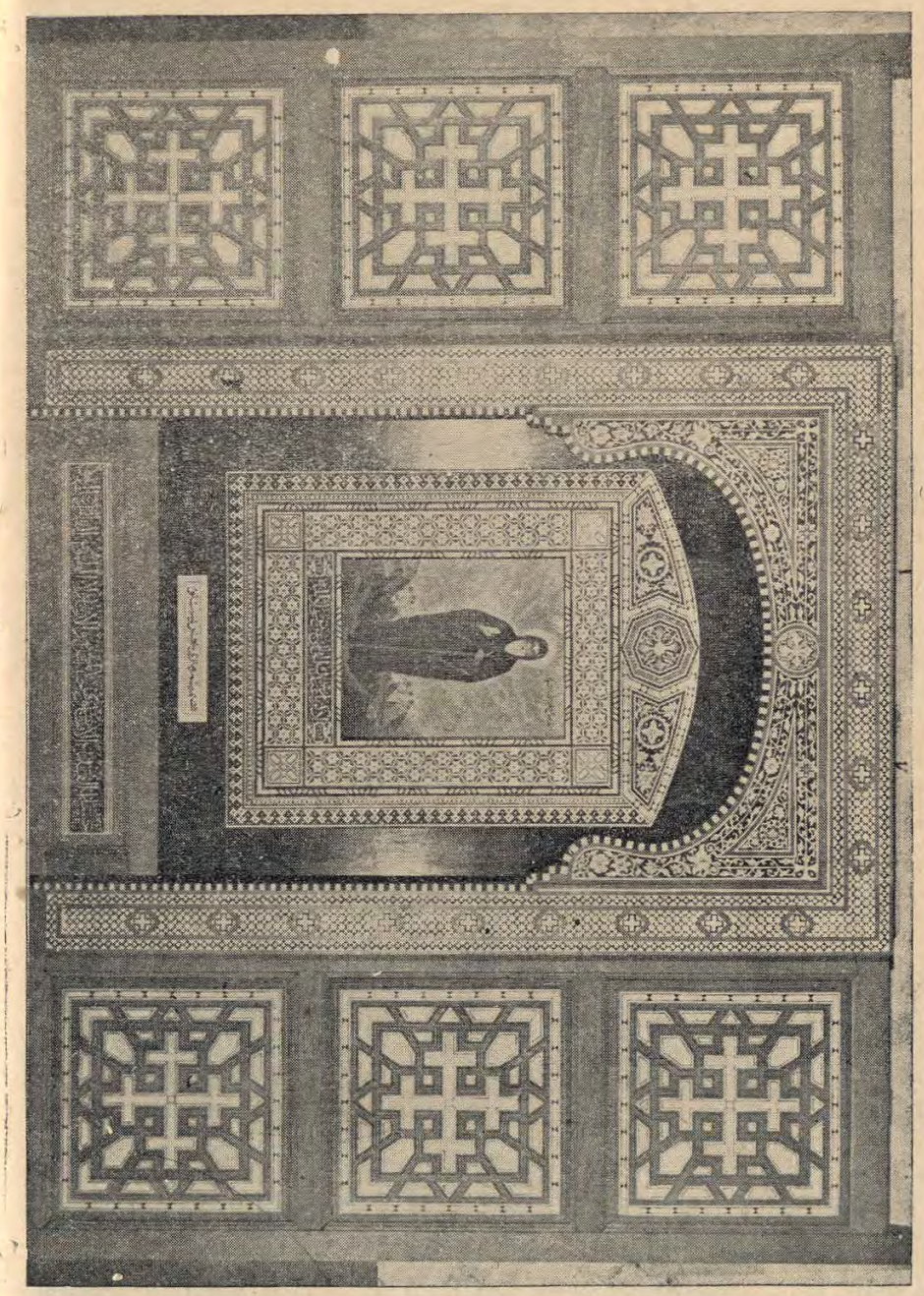

المقصورة الجديدة (أنظر ص ١٣٤)

أن جسد حبيب الرب يرقد فى مقصورة لا تليق بمقامه السكنى الرفيع أوصى المختصين فى القاهرة بصنع مقصورة أخرى من الخشب النفيس المطعم على الطراز القبطى القديم ، ولما فرغوا من صنعها نقلها إلى الدير بعربة خاصة يرافقه أولاده وأصدقاؤه فى رتل من السيارات فوصلوا أبوابه قرب الساعة العاشرة من صباح الأحد ١٠ مارس سنة ١٩٦٨ م حيث استقبلهم الرهبان بفرح وبشاشة ، وبعد صلاة القداس الذى قام بخدمته كاتب هذه السطور وضعوا المقصورة فى الموضع المخصص لها ، ثم حملوا الجسد الطاهر على أعناقهم وقاموا بزياحه فى أرجاء البيعة فى موكب دينى جليل ، ولما أكملوا طوافهم أودعوه فى مكانه الرائع الجديد بين الأناشيد الروحية والتسبيح المتصاعد من حناجر الجميع . وعندئذ أقبل الحبران الجليلان الأنبا ثاؤفيلوس أسقف دير السريان ، والأنبا شنودة أسقف التعليم الدينى وشرعا فى تكريس المقصورة يعاونهما عدد كبير من الكهنة الأجلاء فكان يوماً مشهوداً لم ير الدير مثله منذ زمن بعيد .

هذا وفى اليوم التالى زار الأرخن عزيز ورفاقه أديرة وادى النطرون الأخرى ومغارة المتوحد الراهب عبد المسيح الأثيوبى وبعد أن قدم عشوره وأعطى الرب مما أعطاه عاد وصحبه إلى القاهرة محفوظين بعناية الله .

رؤساء دير الأنبا بشوى

لم تحتفظ مكتبة الدير بأسماء الآباء الذين تولوا رئاسته عبر العصور الماضية ، وهاك ما استطعنا الوصول اليه منهم :

(١) القمص رؤفائيل .

(٢) القمص يوسف أبو زليطه وقد عاش كلاهما فى أواخر القرن السادس عشر كما أفادت مذكرات القمص عبد المسيح صليب المسعودى .

(٣) القمص عبد الملاك أبو داود : ترهب صغيراً مع أبيه المترمل ، وصار رئيساً للدير فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر .

(٤) القمص اندراوس المصرى : شقيق القمص حنا المصرى ، وكان الأول رئيساً والآخر أميناً للدير ، وفى أيامهما ترهب الراهب عبد المسيح الحلاوى الذى صار فيما بعد مطراناً لأسيوط باسم الأنبا مكاريوس ، ثم رسم بطريركا باسم مكاريوس الثالث .

(٥) القمص بطرس : وهو الذى أنشأ قصر الضيافة الذى لا يزال قائماً بالدير كما جدد للرهبان أملاكا أخرى وتوفى سنة ١٩٢٧ م .

القمص بطرس رئيس دير الأنبا بشوى فى الوسط وعن يساره القمص مكسيموس رئيس دير السريان (١٨٩٧ ـ ١٩٣٩) والقمص حنانيا رئيس دير سيدة برموس (١٩٠١ ـ ١٩١٧) وعن يمينه القمص صليب أحد الشيوخ بدير السريان († ١٩٣٠) والقمص فيلوثاؤس الذى صار فيما بعد رئيساً لدير السريان (١٩٣٩ ـ ١٩٤٧)

(٦) القمص يوحنا ميخائيل : تولى الرئاسة بعد نياحة سلفه ، ثم عزله البابا يوأنس على إثر عودته من أثيوبيا فى مارس سنة ١٩٣٠ م

(٧) القمص مكارى : عينه البابا بعد أن عزل سلفه، ثم رسمه أسقفاً على كرسى المنوفية باسم الأنبا ديمتريوس فى أول مارس سنة ١٩٣١ م مع احتفاظه بنظارة الدير .

(٨) القمص يوحنا ميخائيل : استلم رئاسة الدير للمرة الثانية فى أغسطس سنة ١٩٣١ م بعد أن نحى البابا الأنبا ديمتريوس نهائياً عن الرئاسة والنظارة ، وقد قام ببناء القلالى الملاصقة للسور البحرى، وصنع المقصورة القديمة التى كان بها جثمان الأنبا بشوى، ثم اعتزل الرئاسة فى أواخر سنة ١٩٣٥، وأقام بالدير كفرد عادى إلى أن تنيح بين الرهبان سنة ١٩٥٣، وكان أميناً فى عمله محباً للدير حريصاً على ممتلكاته.

(٩) القمص لوقا عبدالله : انتخبه الرهبان للرئاسة بعد عزل القمص يوحنا ، ثم تألبوا عليه وخلعوه من منصبه بزعامة القمص أيوب سنة ١٩٣٧، وكان يتحدث الأمهرية بطلاقة وملماً بأصول الطقس القبطى .

(١٠) القمص أيوب : خلف القمص لوقا فى منصبه ، وأقاله البابا يوأنس سنة ١٩٣٨ م

(١١) القمص برسوم مسيحه : كان أميناً للدير وجابياً لعوائده فى المحلة الكبرى ثم اختير للرئاسة سنة ١٩٣٨ م ، وفى ٢٥ فبراير سنة ١٩٥١ م رسمه البابا يوساب الثانى أسقفاً على الدير باسم الأنبا باسيليوس ، وقدم استقالته سنة ١٩٦٢ ، وأقام بالدار البطريركية إلى أن تنيح فى ٢٠ أكتوبر ١٩٦٣ م .

(١٢) الأنبا ثاؤفيلوس

عندما ارتبكت مالية الدير فى عهد رئيسه الراحل نظراً لمصاريفه الأسقفية الباهظة وصار الرهبان فى بؤس مدقع على الرغم من ضآلة عددهم ، رأى قداسة البابا

كيرلس السادس أن ينتدب الأنبا ثاؤفيلوس أسقف دير السريان للإشراف على هذا الدير ومعالجة حالته الاقتصادية فرضخ نيافته لإرادة البـــابا ، وأقبل باستعداده المعروف نحو هذا العمل الإنسانى النبيل فسدد الأموال المطلوبة ، وتولى بنفسه إدارة الأراضى فزرع جزءاً منها ، وقام بتأجير الآخر إلى أناس معروفين ، كما شيد فى الدير بعض المرافق التى كان الرهبان فى أشد الحاجة اليها ، ولنا ملء الثقة أن يواصل نشاطه حتى يسترد الدير مكانته الأولى .

الانسان الآلى

فى غرفة من حصن دير الأنبا بشوى القديم كومة من نوى التمر يقول الرهبان عنها إن راهباً كان يعيش بهذا الدير فى العصور السالفة استطاع أن يصنع من هذه البذور جارية تقوم بخدمته فى صمت وسكون ، دون أن تأكل أو تشرب . فلما تردد عليه الإخوة لزيارته وشاهدوا هذه الخادم فى قلايته ، اشتكوه إلى المسئولين ، وقالوا إنه يعثرهم بوجودها فى مخدعه ليلا ونهاراً ، فقام شيوخ الدير بتحقيق دقيق معه اضطر أن يفضى اليهم فى نهايته بسر هذه الجارية التى مكث فى صنعها أربعين عاماً ، إلا أنهم شكوا فى حديثه وظنوه يهذى ، فلما رأى إصرارهم على طردها وأنه لا يليق به أن يتركهم فى أوهامهم حانقين دعا الخادم اليه ، وعندما اقتربت منه مدّ يده إلى سُرّتها ، وسحب نواة منها فانهار هيكلها وتساقط أمامهم فكان كومة من النوى ! فحزن الرهبان عندئذ وأخذوا يعتذرون لزميلهم مقدرين فضله وعلمه . أما هو فانطوى على ذاته حتى فارق الحياة .

فإن صحت هذه الرواية التى أشار اليها الأمير عمر طوسون فى كتابه « وادى النطرون وأديرته » ص ١٩٤ فيكون رهبان الأقباط هم أول مَن ابتكر الإنسان الآلى الذى حققه أخيراً العلم الحديث ، وتطور فى صنعه حتى صار يتأثر بالعقاقير الطبية ؟ !

خريجو دير الأنبا بشوى من الأساقفة

الأنبا شنودة

رسم أسقفاً على مصر والفسطاط والقاهرة فى عهد البابا كيرلس الثانى الذى تولى البطريركية فى ١٨ مارس سنة ١٠٧٨ م ، وكان مهذباً ذا شخصية قوية محبوباً من مختلف الطبقات . ولما تولى الرئاسة البابا ميخائيل الثانى ١٠٩٢ - ١١٠٢ م طالب الأسقف بالتخلى عن بعض الكنائس التى كانت البطريركية قد اغتصبتها من كرسيه فى عهد الأنبا أخريستوذولوس ، فغضب البطريرك من مطلبه ، وأمر بعدم ذكر اسمه فى الصلاة ، فترك الأسقف مقره وذهب إلى دير القلمون إلا أن أراخنة الأمة ألزموا البابا برضيته فعاد إلى مقره ولكنه لم يتنازل عن مطالبه فلما رأى البطريرك إصراره على موقفه عقد عليه مجمعاً متهماً إياه بالتقديس مرتين فى يوم واحد ، وطلب من الأساقفة حكما بقطعه ، فهرب الأسقف من وجهه ، ولجأ إلى دير الأنبا ساويروس بحاجر أسيوط ، واستمر مقيما به إلى أن توفى فى يوم السبت ١٢ مايو سنة ١١١٧م .

الأنبا مكاريوس

ولد فى المحلة الكبرى وترهب فى دير الأنبا بشوى ، ورسم مطراناً على أسيوط فى ١٢ يوليو سنة ١٨٩٧م ثم انتخب لكرسى البطريركية فى ١٣ فبراير سنة ١٩٤٤م وقد مرت ترجمته (ص ٢٩) .

الأنبا ديمتريوس

ولد فى مدينة منوف وترهب فى دير الأنبا بشوى باسم الراهب مكارى ، وصار رئيساً لديره فى مارس سنة ١٩٣٠ ، ثم دعاه البابا يوأنس لرتبة الأسقفية ، ورسمه على كرسى المنوفية فى أول مارس سنة ١٩٣١ ، وكان شجى الصوت سخياً جواداً محباً لكنيسته ، وتوفى على إثر حادث أليم عندما انقلبت به العربة وهو فى طريقه إلى القاهرة فى الثانى من أكتوبر سنة ١٩٥٠ م .

الأنبا مرقس

ترهب باسم الراهب أيوب وكان يتكلم الفرنسية والانجليزية ، وأظهر فى بدء حياته الرهبانية استعداداً طيباً فى خدمة الدير ورهبانه فعينوه أميناً ثم رئيساً سنة ١٩٣٧ م ، ولكنه أقيل من منصبه بأمر بطريركى بعد ذلك بعام واحد فلجأ إلى دير الأنبا بولا ، وانتدب منه لرعاية كنيسة رأس غارب على ساحل البحر الأحمر ، وعاد منها إلى القاهرة عند تنصيب البابا مكاريوس الثالث .

ولما أختير للباباوية الأنبا يوساب الثانى جعله فى سكرتيريته إلى أن رسمه أسقفاً على جنوب أفريقيا باسم الأنبـــا مرقس فى ٢٧ أغسطس سنة ١٩٥٠ م فطار إلى جوهانسبرج ، وبعد أن أقام بها عدة أشهر عاد إلى القاهرة فساءت حالته المالية والنفسية ، واصطدم مراراً بالمسئولين فى الدار البطريركية ، ولما ازدادت متاعبه التى لم يكشف عن سرها لأحد سافر إلى ديره ، وفى ساعة مبكرة من صباح الأربعاء ٣ يوليو سنة ١٩٥٢ قلع بيده أوتاد خيمته الجسدية وذهب لملاقاة ربه .

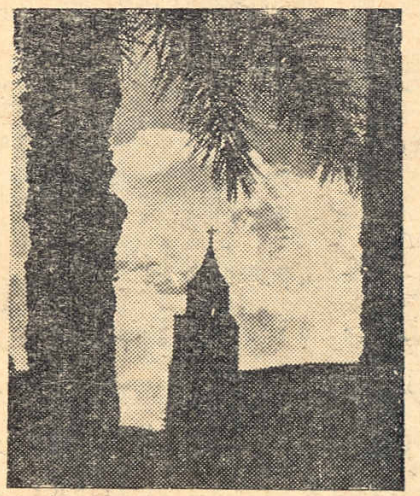

منظر فى دير الأنبا بشوى

دير السيدة العذراء

الشهير بالسريان

هو أصغر أديرة وادى النطرون العامرة حالياً وأكثرها شهرة بين رجال الدين والأدب فى معظم بلاد العالم ، ويعرف فى المخطوطات القديمة من قبطية وسريانية وعربية بدير والدة الإله أو دير أم الله ويقال له أيضاً دير الثيوتوكس .

مؤسس الدير

لا يعرف منشىء هذا الدير ولا السنة التى شيد فيها ، ولكن يفهم مما جاء فى الجزء الثانى من دليل المتحف القبطى ص ٧٩ انه وجد كغيره من أديرة برية شيهيت فى القرن الرابع وهدم وأعيد بناؤه وأدخلت عليه تعديلات فى أزمنة مختلفة .

وإن كانت سيرة القديس يوحنا كاما تقول ان الأديرة كانت على عهده أربعة هى دير برموس وأبو مقار والأنبا بشوى والأنبا يوحنا القصير ثم ديره الذى بنى بعد منتصف القرن التاسع الميلادى فليس معنى هذا أن دير السريان لم يكن له وجود قبل هذا التاريخ لأن تسميته بدير والدة الإله تؤكد انه بنى فى القرن الخامس رداً على ضلالة نسطور البطريرك القسطنطينى الذى أنكر الوالدية الإلهية وزعم أن العذراء لم تلد إلا انساناً محضاً .

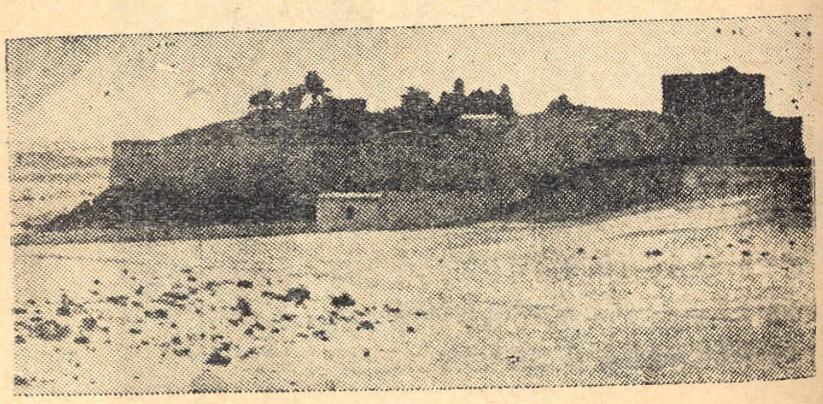

منظر خارجى لدير السريان

كما أن هناك دليلا على أقدميته لا يتسرب إليه الشك مطلقاً ، وهو الكتب المخطوطة التى ما زالت تحتفظ بها متاحف أوربا . فقد جاء فى نسخة نقلها يوسف السمعانى إلى مكتبة الفاتيكان سنة ١٧١٥ م وقفية تقول ، صار شراء هذا الكتاب فى اليوم الثلاثين من شهر تموز سنة ٨٨٧ يونانية أى ٥٧٩ ميلادية فى عهد التقى مار تاوضور الرئيس بنعمة الله الذى اشترى هذا الكتاب وغيره من ماله للدير ببرية شيهات لتعليم كل من يطلع عليه وتقويته فى الإيمان والله تعالى الذى أوجد

صاحب النيافة الأنبا ناؤفيلوس أسقف دير السريان

بواسطته هذا الكنز فى ديره يكافئه ، والذى يتجرأ ويأخذه ولا يعيده يكون نصيبه مع يهوذا الأسخريوطى . ومن هذا نفهم أن سيرة الأنبا يوأنس كاما لا يمكن أن تكون مرجعاً صحيحاً لمعرفة الأديرة العامرة لأنها بجاهلت ديراً وجد قبل وفاة صاحبها التى وقعت سنة ٨٥٩ م بما يقرب من ثلاثة قرون ، وذلك كما أفادت هذه الوثيقة الصادقة .

ويرى الدكتور منير شكرى فى كتابه « أديرة وادى النطرون » نقلا عن المؤرخ الانجليزى ايفلين هوايت ، أن دير السريان كان جزءاً من مجموعة أديرة الأنبا بشوى وامتداداً للقلالى التى شادها القديس بنفسه وسكن فى واحدة منها ويأتى على ذلك بثلاثة أدلة هى :

١ — إن بشوى خوفاً من أن يغلبه النوم كان يحافظ على حالة الوقوف للصلاة بأن يربط شعره فى حلقة مثبتة فى سقف قلايته ولا تزال قلاية بشوى وهذه الحلقة يراها الزائر لدير السريان .

٢ — إن مار افرام السريانى عندما زار الأنبا بشوى ترك عصاه عند باب قلايته فامتدت جذور لها فى الأرض وأنبتت فروعاً وأوراقاً وأينعت وما زالت الشجرة الناتجة ترى فى دير السريان .

٣ — إن البربر عند عودتهم إلى بلادهم بعد أن قتلوا شيوخ شيهيت التسعة والأربعين مروا بدير الأنبا بشوى وغسلوا سيوفهم من الدماء فى مياه بئر أو عين ماء أصبحت منذ ذاك اليوم لها قدرة عجيبة على الشفاء ... هذه البئر يسهل الاستدلال عليها فى دير السريان حيث توجد أيضاً كنيسة صغيرة باسم الشيوخ الشهداء .

ومع احترامنا لأبحاث دكتور شكرى وتحرياته فإنى أرى أن الشواهد التى ساقها ما هى إلا ظنون خاطئة لا تسندها حجة ولا ينهض بها دليل فقد نقض سيادته الرأى الأول عندما قال فى ص ١٢ من كتابه ، إن دير السريان قد أسس حوالى سنة ٥٣٥ م أو بعد ذلك بقليل ! وإن كنيسة العذراء فيه وكذلك الحصن يرجعان

إلى حوالى عام ٨٥٠ م فكيف يتفق هذا مع قوله فى ص ٧٦ أن بشوى ولد حوالى عام ٣٢٠ م وذهب إلى شيهات عام ٣٤٠ م وتركها إلى ناحية الشيخ عباده امام ملوى عام ٤٠٧ م وتنيح عام ٤١٧ م فإذا كان الدير تأسس على حد قوله سنة ٥٣٥ وبنيت الكنيسة الملحق بها معبد الأنبا بشوى فى سنة ٨٥٠ فكيف ربط شعره فى الحلقة المثبتة فى أعلاه مع أنه تنيح سنة ٤١٧ ؟ !

أما عن زيارة مار افرام السريانى لقديس البرية الجليل فقد صمت عنها كبار المؤرخين من السريان وغيرهم فلم يشر إليها مار أغناطيوس افرام الأول فى كتابه اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية ، كما أهملها البطريرك مار أغناطيوس يعقوب الثالث فى تاريخه لكنيسة السريان الأنطاكية ، وكلاهما باحث مدقق . بل هناك من طعن فى روايتها كالسيد ادى شير مطران سعرت الكلدانى فى الجزء الثانى من مؤلفه تاريخ كلدو واثور ص ٤٨ .

كما أن البربر بعد أن فرغوا من مذبحة الشيوخ التى وقعت على مقربة من دير القديس مكاريوس . كان فى طريق عودتهم قبل أن يصلوا إلى دير السريان عيون مياه كثيرة ، فلماذا لم يغسلوا سيوفهم إلا فى بئر هذا الدير ؟ وهل هى البئر الحالية التى غربى كنيسة السريان أم البئر التى ردمت شرقى كنيسة المغارة ؟ أو بئر أخرى لا نعرف شيئاً عنها ! وكيف اقتحم البربر الدير ووصلوا إلى بئره دون أن يصطدموا بأحد من الرهبان أو يقتلوا البعض منهم ، الأمر الذى لم نسمع به قط ولم تخبرنا به السير القديمة ؟ !

أما الكنيسة التى ظن سيادته أنها باسم شيوخ شيهيت الشهداء ، هى فى الواقع برسم شهداء سبسطية الذين تعيد لهم الكنيسة القبطية فى ١٣ برمهات .

إننا نسلم مع دكتور منير بأن دير السريان قديم العهد جداً وأنه وجد فى حياة الأنبا بشوى ولكن لم يكن هذا القديس مؤسساً له إذ ليس هناك ما يؤيد ذلك لأن منذ ظهوره فى البرية كان قائماً بذاته ومنفرداً بتسميته الجميلة وهى دير والدة

الإله . وورد فى بعض المخطوطات القديمة دير القديسة مريم العذراء سيدة الأنبا بشوى !

أما مغارة الأنبا بشوى التى يراها الزائر بداخل كنيسة السريان فما هى إلا مذبح قد كرس باسمه تذكاراً له .

الدير والسريان

يقول القس اسحق أرملة الباباوى فى كتابه « السريان فى القطر المصرى » إن قومه من الأرثوذكسيين كانوا يملكون فى البلاد المصرية ثمانية عشر ديراً من بينها دير والدة الإله الذى يدعوه متحفة الأديار السريانية فى القطر المصرى .

وقد ورد ذكر هذا الدير الذى نحن بصدده الآن فى معظم كتب مؤرخى السريان ، وأولوه عناية تامة كما أسهبوا فى وصفه من جهات كثيرة ، فيقول عنه مار أغناطيوس افرام الأول فى كتابه اللؤلؤ المنثور ص ٦٢٩ « دير السريان باسم السيدة العذراء فى برية الاسقيط بمصر يظن بناؤه فى القرن الخامس ابتاعه ماروتا التكريتى التاجر السريانى فى أواسط المئة السادسة وأوقفه على رهبان السريان وكان يحوى منهم سبعين راهباً عام ١٠٨٤ م وظل آهلا بهم إلى منتصف المئة السابعة عشر ويسكنه فى هذا الوقت رهبان أقباط » .

ويحكى خليفته مار أغناطيوس يعقوب الثالث فى الجزء الثانى من تاريخ كنيسة السريان الأنطاكية ص ٣٢٠ عبارة تكاد أن تكون مشتقة من الأولى ولا تختلف فى شىء عن معناها .

ويروى القس اسحق أرملة فى ص ٤١ من كتابه سالف الذكر نقلا عن مخطوط بمكتبة باريس نسخ بدير السريان سنة ٧٢٠ م « إن رهباناً سريانيين وافوا من تكريت واشتروه ، أو ان شئت فقل فكوه » من يد القبط بعدما أسنوا لهم اثنى عشر ألف ذهب .

هذا وإن كانت الكتب القبطية قد خلت من الإشارة إلى هذه الرواية إلا أنه من الحماقة أن نتجاهلها بعد أن شهدت بصحتها أقدم المخطوطات المحفوظة فى أشهر متاحف العالم وأكدت أن طلائع الرهبان الأراميين قد ظهرت فى هذا الدير منذ منتصف القرن السادس وإليها يعزى ما يرى إلى الآن فى كنيسة السيدة العذراء من أيقونات زيتية وصور عاجية ونقوش أرامية ، ومن ثم أخذ الدير تسميته من سكانه وصار يعرف بدير السريان إلى يومنا هذا فى داخل البلاد وخارجها .

ولكن الذى لا يزال غامضاً فى هذه القصة هو : هل كان هذا الدير ملكا الأقباط وتنازلوا عنه للسريان نظير مبلغ معين ؟ أو أسسه رهبان الكنيسة الأنطاكية فى مصر الذين تكاثروا بعد الإنشقاق الخلكيدونى ثم رهنوه الأقباط وبقى فى قبضتهم إلى أن فكه منهم ماروتا بن حبيب التكريتى بالمبلغ المشار إليه آنفاً ؟ !

إننا لا نستطيع أن نقدم اجابة صحيحة على هذين السؤالين كما أن مؤرخى السريان لم يعطوا رأياً حاسماً عن شخصية ماروتا ولا عن الأعمال التى كان يتعاطاها . فالبطريركان مار أغناطيوس افرام الأول ومار أغناطيوس يعقوب الثالث يربان نقلا عن المصادر التى أخذا عنها أنه كان تاجراً عاش بمصر فى منتصف القرن السادس . بينما يزعم القس اسحق أرملة فى كتابه « السريان فى القطر المصرى » ص ٤١ إنه كان راهباً ورئيساً للدير سنة ٧٢٠ م ويستشهد على ذلك بدعاء وجد مكتوباً على نسخة خطية تسربت من الدير المذكور إلى مكتبة باريس يقول « صلوا على التكريتيين الذين اشتروا هذا الدير من القبط باثنى عشر ألف دينار ذهب بهمة ماروتا بن حبيب الرئيس الكبير » ولكن ابن أرملة هذا عاد وبلبل أفكارنا فى صحة أقواله عندما أدلى ببيان عن روساء الدير الأراميين قدم فيه الرئيس تاوضور على ماروتا بن حبيب التكريتى الذى تعزى إليه قصة شراء الدير ؟ !

من هو بائع الدير ؟

أجمع معظم مؤرخى السريان على أن آباءهم اشتروا هذا الدير من الأقباط فى

منتصف القرن السادس . ونحن نعلم على ضوء الوثائق التاريخية التى لدينا أن الأحبار الذين جلسوا على السدة المرقسية فى أواسط الجيل السادس ، كانوا ثلاثة هم ثاؤذيوس ٥٢٦-٥٦٧ م ، وبطرس الرابع ٥٦٧-٥٦٩ م ، ودميانوس ٥٦٩-٦٠٥ م الذى جاء عنه فى اللؤلؤ المنثور ص ٣٣٥ أنه كان سريانيا ، فمن هو من هؤلاء الباباوات الذى تنازل عن دير والده الإله لضيوفه من أبناء الكنيسة الانطاكية الشقيقة ؟

هل فعل ذلك دميانوس حباً فى قومه ؟ ! أو أحد اللذين تقدماه ؟ وهل أعطاه لشركائه فى الإيمان هبة ورحمة ، أو تخلى عنه نظير مبلغ معين كما يزعم زملاؤنا الانطاكيون ؟ !

إن الأنبا ساويروس أسقف الاشمونين المؤرخ الأول لباباوات الاسكندرية قد أغفل ذكر هذا الموضوع ، فعبثا نحاول الإجابة على شىء منه ، ولكن الذى نستطيع أن نؤكده هو أن الكنيسة فى ضيقاتها اضطرت تحت ظروف مالية قاسية أن تفعل أكثر من هذا . فقد تخلى البابا ميخائيل الأول ٨٨٠ - ٩٠٧ م عن كنيسة بابليون إلى أعداء الإيمان من اليهود فجعلوا منها معبد بن عزرا الشهير الذى لا يزال بأيديهم حتى كتابة هذه السطور ، كما باعهم أرضاً فى البساتين هى مدافن الاسرائيليين الحالية . وذلك ليتمكن من تسديد الغرامة الباهظة التى أرغمه على دفعها أحمد بن طولون تاريخ الكنيسة للقمص منسى ص ٤٧٥

مدة تملك السريان لدير والدة الاله

إن أهم المصادر التى نعتمد عليها فى تعيين الزمن الذى فيه استولى السريان على الدير وانسحابهم منه هى المخطوطات القديمة التى نقلت منه أخيراً إلى متاحف أوربا ، وقد أشرنا فى سياق حديثنا السابق إلى النسخة التى نقلها يوسف السمعانى إلى الفاتيكان وعليها وقفية يرجع تاريخها إلى سنة ٥٧٩ م . كما تمتلك مكتبة لندن كتاباً لميامر يعقوب السروجى يرجع تاريخ نساخته فى دير والدة الإله إلى سنة ٦٠٣ م ،

وتحتفظ مكتبة باريس بمخطوط آخر يرتقى عهد نساخته بالدير المذكور إلى سنة ٧٢٠ م ، ويخبر فى الصفحة الحادية عشر منه عن مجىء الرهبان التكريتيين الذين جاءوا من بلادهم واستقلوا بإدارة الدير . (السريان فى القطر المصرى ص ٤١) .

وهكذا نستطيع أن نفهم من وقفيات الكتب السريانية المحفوظة فى متاحف أوربا أن السريان وجدوا فى الدير المنسوب إليهم فى برية شيهيت منذ منتصف القرن السادس ، ولكن هذا لا يمنع وجودهم كأفراد متناثرين فى وادى الأسقيط منذ قيام الرهبنة فى هذا الموضع المقدس كما يتضح ذلك من سيرة القديس مكاريوس التى وضعها الأنبا سرابيون .

أما عن مدة بقائهم فى هذا الدير فقد لازموه حتى ضعف شأنهم فى مستهل القرن السادس عشر بسبب الكوارث التى لحقت برعايا الكرسى الانطاكى فى سوريا والعراق ، فسكنت بينهم أغلبية من رهبان القبط وذلك كما أفادت حاشية على إحدى الكتب السريانية يرجع تاريخها إلى سنة ١٥١٦ م يفهم منها أن عدد رهبان الدير فى ذلك الوقت كان ثلاثة واربعون منهم ثمانية عشر من السريان وخمسة وعشرون من الرهبان المصريين ، ويرجح كثيراً أنه كان بين رهبان الأقباط فى ذلك الوقت الراهب روفائيل بن مهنا المنشاوى الذى جلس على كرسى البابوية باسم غبريال السابع فى أول اكتوبر سنة ١٥٢٥ م

أما آخر الوثائق التى تخبر عن وجود السريان فى دير والدة الإله فهى زيارة القس توما الماردينى له سنة ١٦٢٤ م ، التى سجلها مخطوط فى مكتبة لندن يحمل رقم ٣٧٤

والرواية المتواترة بين شيوخ الدير كما سمعناها من أقدمهم عهداً تقول بأن رهبان القبط عندما سكنوا فى هذا الدير مع زملائهم السريان اكتفوا منه بالنصف الشرقى الذى تقوم فيه كنيسة السيدة العذراء بالمغارة . ولكى يضفوا على الدير مسحة مصرية بنوا لهم كنيسة برسم القديس يوحنا كاما ، مما يرجح أنهم جاءوا إليه من ديره الذى

تخرب . كما تركوا الجانب الغربى لإخوانهم السريان بما فيه الحصن والكنائس . وجعلوا جدارا فاصلا بين المحلتين يتوسطه باب صغير لاستعماله عند الحاجة . إلا أن السلام لم يكن مستقراً بين العنصرين فكانوا يتنازعون على أمور تافهة من حين لآخر . فلما استفحلت الخصومة بينهم ووقف عليها البطريرك المعاصر كتب إلى رهبان السريان يدعوهم لمقابلته بالقاهرة ، فلما استقروا بين يديه بكامل هيئتهم نصحهم بعدم العودة إلى البرية مرة أخرى ، وأعد لهم على نفقته مكاناً فى مصر القديمة وربما كان فى دير مار مينا بفم الخليج حيث كانت توجد إلى عهد قريب كنيسة مار بهنام السريانية التى أشار إليها الأسقف ايسيذورس فى الجزء الثانى من خريدته النفيسة ص ٥٢٦

كنائس الدير ومساكنه

على الرغم من ضآلة الرقعة التى يشغلها دير السريان فانه يحوى مجموعة قيمة من الآثار النادرة التى ذاع صيتها فى الخافقين ، فتوافد عليها كثيرون لزيارتها والوقوف أمام محراب فنونها فى اجلال واعجاب .

القنطرة الخشبية المتحركة

وأول ما يقابل الزائر عند دخوله من الباب الرئيسى البرج القديم أو الحصن الذى كان يلجأ إليه الرهبان لاتقاء غارات البدو أو البربر ، وهو مكون من أربعة طوابق ويفتح بابه فى الطابق الثانى ويصل إليه بقنطرة من خشب ترتكز من أحد طرفيها على باب الحصن ، ومن الآخر على بناء مقابل ثم ترتفع عند اللزوم بسلاسل متينة ، ويغلق

من خلفها باب سميك فلا يتمكن المهاجمون من اقتحامه ، وقد سبقت الإشارة إليه فى عدة مواضع .

وفى سنة ١٧٨٢ م قام المعلم ابراهيم الجوهرى بتجديد هذا الحصن كما رمم بأعلاه كنيسه الملاك ميخائيل ، وصنع لها حجاباً بسيطاً مطعما بالعاج .

وفى الجنوب الشرقى من الحصن توجد كنيستان هما : كنيسة الأربعين شهيداً بسبسطية ، وكنيسه السريان التى باسم السيدة العذراء ، والأولى صغيرة جداً ليس بها ما يستحق الذكر سوى قبر الأنبا سلامة مطران أثيوبيا وهو على يمين الداخل بجانب الجدار القبلى .

أما كنيسة السريان فهى أهم كنائس الدير وأكثرها اتساعاً ، إذ لا يقل طولها عن ثلاثين متراً وعرضها عن عشرة أمتار ، وتزدان جدران هيكلها الرئيسى بنقوش بارزة من الجبس تشبه من وجوه كثيرة تلك التى يراها الزائر لمسجد ابن طولون ٨٧٠ - ٨٨٤ م .

ويغطى الخورس الأول الذى يمتد أمام الهيكل قبة مرتفعة تقوم على جانبيها نصفا قبة رسم على البحرية نياحة السيدة العذراء ومن حولها الرسل ، وعلى القبلية البشارة والميلاد مع كتابة الأسماء بالسريانية فى كلا المنظرين .

وللكنيسة حجاب جميل الصنع هو فى حقيقته باب يتكون من مصراعين يقوم كل مصراع من ثلاثة ألواح صنوبرية متماسكة بمفصلات حديدية طول اللوح الواحد ٢٧٥ سم وعرضه ٤٥ سم . وقد قسمت الألواح إلى سبع خانات تكاد أن تكون مستطيلة تمتد من أعلى المصراع إلى أسفله . وقد زينت الخانات العليا بصورة مصنوعة من العاج المطعم فى الخشب كتبت أسماء أصحابها باللغة اليونانية، وهى من اليسار إلى اليمين القديس ساويروس والقديس اغناتيوس والقديسة مريم وعمانوئيل والقديس مرقس والقديس ديسقوروس وتحت كل صورة مستطيلات بها رسوم هندسية جميلة من العاج يزينها الصليب فى أشكال مختلفة ، ويقول البعض أن كل مربع منها يمثل

مرحلة من المراحل التى تجتازها الكنيسة فى غربتها بعد العصر الرسولى الذى يعبر عنه بالصور ، ولذا يسمى هذا الحجاب بباب النبوات .

وعلى قائمتى هذا الباب وساكفه كتابة سريانية تقول « أنشأ هـــذا الباب موسى رئيس الدير فى زمن البطريركين غبريال الاسكندرى ويوحنا الانطاكى سنة ٩١٢ م » .

وخلف الحجاب يقوم الهيكل وبه ثلاثة مذابح يتوسطها الرئيسى الذى لوالدة

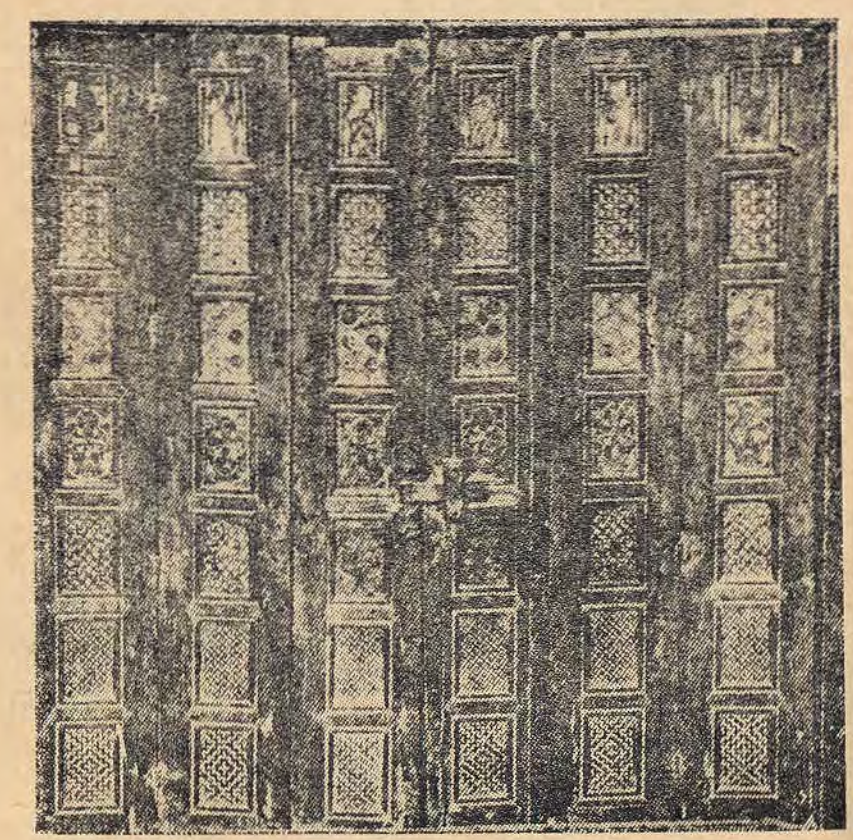

باب النبوات

مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

الإله . أما الآخران فالبحرى منهما برسم الشهيد بقطر بن رومانس والقبلى مكرس باسم القديس يوحنا المعمدان .

وينفصل الخورس الأول عن الثانى حائط مرتفع به باب على مثال الحجاب الذى سبق وصفه مع فارق بسيط فى عدد الألواح وأقياسها ، فكل مصراع منه يتركب من لوحين طول كل منهما ثلاثة أمتار وعرض اللوح الواحد يتراوح بين ٥٠،٥٤سم، وبأعلى هذه الألواح الصنوبرية المتماسكة التى تشكل مصراعى الباب صور من العاج المطعم ، وهى من الشمال إلى اليمين القديس بطرس الرسول ومريم المجدلية وصورة غير واضحة ثم القديس مرقس الرسول ، وتحت كل صورة خمسة مستطيلات محلاة بالنقوش العاجية الجميلة على طراز الحجاب . وقد كتب على قائمتى الباب بالخط السريانى العادى وعلى ساكفه بالحرف السطرنجيلى عبارة تقول « عمل فى سنة ٩٢٦ م فى عصر البطريركين قزمان الأسكندرى وباسليوس الانطاكى .

هذا وبمرور الزمن وحركة الأبواب الدائمة تساقط معظم العاج من الصور والرسوم الفنية الجميلة التى تزين هذين البابين الجميلين . ولنا ملء الأمل أن يقوم نيافة الأنبا ثاؤفيلوس أسقف الدير بإصلاحها قبل أن تتلاشى معالمها ، فيصعب الاهتداء إلى معرفة أصولها الأولى .

وتنتهى الكنيسة من الغرب بجدار تعلوه قبة رسم فيها صورة جميلة لصعود الرب ومن دونه التلاميذ يشخصون بأبصارهم نحو السماء ، ويتوسط هذا الجدار باب يؤدى إلى المائدة حيث كان الرهبان يأكلون معاً ويحيون حياة الاشتراكية المقدسة، وعلى يسار الداخل اليه مذبح صغير يعرف بمعبد الأنبا بشوى ملاصق للسور القبلى .

هذا وقد جاء بخط البابا كيراس الخامس على كتاب « ميامر بولس البوشى » كتابة تقول : « قد صار تكريس كنيسة السريان هذه سنة ١٤٩٨ للشهداء بعد تبييضها بيد الأنبا بطرس أسقف جرجا » ولعل هذا آخر ترميم أصابها .

مدخل معبد الأنبا بشوى

وعلى مقربة من حديقة الدير الوسطى تقوم كنيسة العذراء بالمغارة الملاصقة للسور البحرى ، وهى مربعة الشكل ذات ثلاثة خوارس وهيكل به ثلاثة مذابح تعلو الرئيسى منها وهو باسم والدة الإله قبة صغيرة، ويزدان حجابها الخشبى المصنوع سنة ١٤٥٠ للشهداء برسوم عاجية بسيطة . ويرى مونريه أنها تشبه كنائس طور عبدين ، وهى منطقة غاصة بالقرى السريانية تقع حالياً فى جنوبى الجمهورية التركية .

وقد أعاد ترميم هذه الكنيسة وتجديدها القمص عبد القدوس رئيس دير السريان ، وقام بتكريسها الأنبا إيساك أسقف البهنسا والفيوم سنة ١٨٥١ م .

وكانت هناك كنيسة برسم القديس يوحنا كاما فى الشمالى الشرقى من الدير فهدمت وقامت على أنقاضها « الطاحونة » وأخرى باسم مار جرجس فى الجهة القبلية وقد ضاعت معالمها وشغلت رقعتها مساكن الرهبان .

أما القلالى فمنها القديم وهو عبارة عن ثلاثة أدوار ملاصقة للسور البحرى شرقى كنيسة المغارة . ومنها الحديث وهو عن يسارك عند دخولك من الباب الرئيسى ، ومنها الأحدث وهى العمارة التى شيدها نيافة الأنبا ثاؤفيلوس من أربعة طوابق .

دير السريان والأنبا يحنس كاما

يزعم البعض أن دير السريان هو دير القديس يوحنا كاما ، ويؤيدون مزاعمهم بثلاثة أدلة هى :

١ — وجود جسد القديس فى تابوت خاص يحمله الرهبان إلى بيعة السريان صيفاً وإلى كنيسة المغارة شتاء .

٢ — قيام حجر رخامى مثبت فى كنيسة العذراء السريانية نقشت عليه باللغة القبطية نياحة القديس يوحنا كاما وتلميذه أنبا استفانوس .

٣ — احتفاظ الآباء بمكان فى الجنوب الشرقى من الدير يقولون إنه كان كنيسة برسم القديس يوحنا كاما .

ومع توفر هذه العوامل حقيقة فى دير السيدة العذراء إلا أنه لا يمكننا أن نأخذ بها ، ولا أن نجعل منها دليلا على أن دير السريان الذى وجد ما بين القرنين الرابع والخامس هو بنفسه دير الأنبا يحنس كاما الذى لم يظهر بين أديرة شيهيت إلا بعد منتصف القرن التاسع الميلادى. والذى نعرفه نقلا عن مصادر صحيحة وأخبار أكيدة بخصوص رفات القديس والشاهد الجنائزى الذى يخبر عن وفاته . أنه عند خراب دير يوحنا كاما وسقوط أسواره التى تداعت عن طريق النمل الأبيض بين عامى

١٤١٣ - ١٤٣٠ م لجأ رهبانه إلى دير السريان بعد أن حملوا معهم مقتنياتهم الخاصة والأشياء التى يعتزون بها ، ومن بينها الرفات والحجر الرخامى وذلك كما أفاد القمص عبد المسيح المسعودى فى كتابه « تحفة السائلين » ص ٧١

أما الكنيسة التى كانت باسم يوحنا كاما فى دير السريان فقد بناها رهبان القبط فى هذا الدير ليتمكنوا من إقامة شعائرهم باللغة القبطية بعد سكناهم بين قوم يختلفون عنهم طقساً ولساناً ، وربما أرادوا بمشروعهم هذا عملا سياسياً وهو أن يعطوا دير السريان طابعاً مصرياً وخصوصاً بعد أن بدأ نجم سكانه الأراميين فى الأفول .

هذا والبرهان الحى الذى نقدمه للقراء من صميم مخطوطاتنا القبطية على أن دير السريان ليس هو دير الأنبا يحنس كاما ما جاء فى رحلتى البطريركين بنيامين الثانى ١٣٢٧ - ١٣٣٩ م ، وغبريال الرابع ١٣٧٠ - ١٣٧٨ م إلى وادى النطرون لطبخ الميرون المقدس وتكريسه فى دير القديس مكاريوس ، فقد زارا أديرة البرية على الترتيب الآتى : (١) دير يوحنا القصير (٢) دير الأنبا بشوى (٣) دير برموس (٤) دير سيدة برموس (٥) دير السريان (٦) دير الأنبا يحنس كاما القس (٧) دير أبو مقار الذى عادا اليه بعد انتهاء الزيارة ومنه توجها إلى القاهرة . ومن هاتين الرحلتين اللتين سجلتهما كتب الميرون الموجودة بمكتبة الدار البطريركية، وعنها أخذ كثيرون من المؤرخين يفهم بصورة جلية واضحة أن دير السريان ليس هو دير الأنبا يحنس كاما ، وأن الاثنين هما غير دير الأنبا يحنس القصير .

شجرة مار افرآم

تتوسط دير والدة الإله قرب كنيسة المغارة شجرة تمر هندى ينسبها الرهبان إلى مار افرآم السريانى ٢٠٦-٣٧٣م قديس الكنيسة الأنطاكية العظيم، وشاعرها الذى لا يبارى . وقد تناولها كثيرون من المؤرخين ولكنهم اختلفوا فى رواياتها فيقول مؤلفاء تاريخ الأدب السريانى» ص ٧١ «إن أصلها عصا كانت فى يد القديس افريم»

صاحب النيافة مار أغناطيوس يعقوب الثالث بطريرك أنطاكية عند زيارته لدير السريان (يناير ١٩٥٩) ويرى المؤلف إلى أقصى اليمين

ويرى دكتور منير شكرى فى كتابه « أديرة وادى النطرون » ص ١١ « أن هذه العصا هى التى تركها مار افرآم على باب قلاية الأنبا بشوى عند زيارته لهذا القديس» ويصف الجنرال أندريوسى أحد قواد الحملة الفرنسية فى مذكراته هذه الشجرة بما معناه « ويوجد بدير السريان شجرة إفرم العجيبة التى يبلغ ارتفاعها ستة أمتار ونصف قطرها ثلاثة أمتار ! ويحكى عنها أنه عندما أخذ يدب فى نفوس رهبان الصحراء دبيب الكره لحالتهم فى أوائل الأزمنة التى بلغ فيها التحمس الرهبنة أقصى غايته وصاروا يشكون من جدب الرمال القاحلة أراد القديس افرآم أن يعمل على تعزيتهم وإحياء الرجاء فى قلوبهم فأخذ عصاه وغرسها فى الرمال فاخضرت بعد قليل وصارت شجرة عظيمة ، وهى التى لا تزال قائمة منذ ذلك العهد إلى الآن ، وتعرف بشجرة القديس إفرم » . وقد نقل هـــذه القصة عن الجنرال الفرنسى الأمير عمر طوسون فى كتابه « وادى النطرون وأديرته » ص ٧٥ ، ٧٦

ومع أن معظم مؤرخى السريان ينفون زيارة مار افرآم للبلاد المصرية إلا أن الميامر السريانية التى طبعها بيجان تقول فى الجزء الثالث منها ص ٦٤٠ « إن هذا القديس انطلق إلى مصر مستفسراً عن الأنبا بشوى ولمـــا حظى بمشاهدته أخذا يتفاوضان بالسريانية والقبطية وأقام فى ديره أسبوعاً كاملا ثم انطلق إلى الصعيد ، وظل به ثمانية أعوام يعلم طريق الحق ويرشد الأريوسيين ليرعووا عن غيهم . أما نحن فليس لدينا ما يؤكد هذه الزيارة سوى التقليد المتداول بيننا ، والذى يرجح أن رهبان الدير من السريان الأوائل اخترعوه لعلة لا تخفى عن القارىء اللبيب .

والذين يقولون بزيارة مار افرآم لوادى النطرون يعزون لصلاته جفاف مجرى النيل بالجبل الغربى الذى يعرفه رهبان البرية بالبحر الفارغ . وقد أشار إلى هذه القصة دكتور منير شكرى فى كتابه « أديرة وادى النطرى » ص ٣٣٠ كما أنه عاد فنسبها فى ص ٣٢١ القديس مكاريوس الكبير ، وأظن أن عملا كهذا لا يعتبر معجزة من جانب هذين القديسين ولا يصح أن ينسب اليهما أبداً ، وخاصة مار افرآم الذى

كان يصلى دائماً من أجل سقوط الأمطار حتى أنه رتب طقساً خاصاً لتلاوته عند احتباس الغيوث « اللؤلؤ المنثور » ص ٢٤٦

هذا ويخلط البعض بين الشجرة المنسوبة لمار افرآم وشجرة الطاعة فالأولى هى التى ما زالت قائمة إلى الآن فى دير السريان ، أما الأخرى فإن شيخاً من شيوخ البرية وهو الأنبا بموا أخذ عصاه الجافة وغرسها فى الرمال وكلف تلميذه القديس يوحنا القصير أن يسقيها يومياً ، فكان يجلب اليها الماء من مكان بعيد لمدة ثلاث سنوات متواصلة حتى أورقت فى النهاية وأعطت ثمراً فأخذ القديس من انتاجها وأعطى الرهبان وهو يقول خذوا كلوا من ثمرة الطاعة ، وكانت هذه الشجرة وهى من نوع النبق قائمة فى خرائب دير الأنبا يحنس القصير حتى العشرة الثالثة من القرن العشرين كما رأيت ذلك بنفسى .

مكتبة دير السريان

للسريان منذ عصور بعيدة قدم راسخ فى سائر العلوم والمعارف ، فهم أحفاد الأراميين والأشوريين الذين بعد أن دانوا بالمسيحية جعلوا من مراكزهم الأسقفية وأديارهم مدارس هامة للثقافة الروحية ومعاهد لكل أنواع الدراسات ، ولما أخذوا فى الهجرة الينا بعد منتصف القرن الخامس ، على إثر المنازعات الخلكيدونية التى كانت أنطاكية مسرحاً لها وقع اختيار أراختهم الذين تكاثروا فى أمهات المدن المصرية على دير والدة الإله ببرية الأسقيط ليكون مقراً لرهبانهم الذين وفدوا علينا لدراسة النظم الرهبانية من واضعيها والإقامة بين زملاء لهم يشتركون معهم فى وحدة العقيدة .

وقد جعلوا من هذا الدير الذى تباينت الآراء فى كيفية وقوعه بين أيديهم ، خزانة لكتب الدين والعلم والأدب ، جلسوا من حولها يتذاكرون ويتناقشون ، ولم تعقهم فروضهم الدينية ولا أشغالهم اليدوية عن مواصلة الدرس وتنمية المكتبة فكانوا ينسخون الكتب النادرة والأسفار المقدسة بلغتهم السريانية ، كما كانوا

يترجمون اليها من القبطية واليونانية والعربية كل ما استحسنوه وراق فى أعينهم ، ولم يقفوا عند هذا الحد بل كانوا يسافرون إلى جهات نائية من بلادهم فى سوريا والعراق وفارس وكردستان ويعودون إلى البرية المقدسة بكنوزهم العلمية النفيسة التى بذلوا فى سبيل الوصول اليها كل مرتخص وغالٍ .

ومن بين الآباء الذين تعبوا فى جلب هذه الدرر الغوالى القس موسى النصيبينى الذى لما آلت اليه الرئاسة سنة ٩٢٠ م ، ورأى الرهبان يئنون من فداحة الضرائب الباهظة التى أرهقهم بها ولاة مصر ، قام برحلة إلى بغداد على رأس وفد من رؤساء الأديرة الأخرى فوصل دار الخلافة سنة ٩٢٧ م وتمكن من مقابلة الخليفة المقتدر بالله واستصدر منه صكاً بإعفاء الرهبان من جميع الضرائب الأميرية .

وبعد أن نجح الآب موسى فى مهمته السياسية انصرف ممثلو الأديرة القبطية إلى بلادهم ، أما هو فأخذ يتجول فى العراق والمناطق السريانية الأخرى يجمع الهبات والعطايا ويحث المؤمنين على التبرع بما لديهم من كتب ونقود ، كما كان يفتش على المصاحف النادرة ويبتاعها بأثمان مرتفعة جداً ، وأخيراً عاد من سفرته يحمل مئتين وخمسين مجلداً من المشتريات والهدايا التى قدمها الخيرون لتكون وقفاً على دير والدة الإله ، وذلك حسبما أفاد مخطوطا لندن رقم ٥٤٧ ، ٥٨٨

وصل القس موسى إلى مقر إدارته سنة ٩٣٢ م بعد غيبة طويلة ، وبعد أن استراح من وعثاء السفر قام بترتيب الكتب ووضعها فى مكان أمين ، وربما كان فى الطابق الثالث من البرج القديم حيث مكتبة الدير الأولى التى كانت تجمع بين محتوياتها عدداً من الأسفار النفيسة يرجع تاريخ بعضها إلى القرن السادس الميلادى ، ففرح الرهبان بهذه الذخائر ونسخوا بعض النادر منها وأضافوا إليها من مقتنياتهم الخاصة حتى أصبح مجموعها فى زمن وجيز يربو على الألف مجلد .

ولما توغل المغول والتتر فى بلاد الشرق الأدنى فر من أمامهم إلى مصر كثيرون من رهبان السريان الذين جاءوا بكتبهم من بلاد مختلفة كتكريت وقرقوش ورأس

العين وقرقيسيا والرقة وتل موزل وتل بسم ودنيسر والابراهيمية وباسبرينا ودير مار ملكى وقلث وقرى طور عبدين وتل كمرى وحصن كيفا وبعيتل بحمص وحارستا وحلوجا بسروج وسجستان والرها وزرجل والمعدل وبلد وسنجار ، ورعبان عند الخابور وحصن زيد ومرعش ودير زغل بتدمر ، وطورلاها بانطاكية وكنيسة القيامة ودير السيدة العذراء بأورشليم ونابلس وعكا والبقاع . وقد آثرنا ذكر هذه المواضع لأن كلا منها تملك فى الخارج أكثر من مجلد مجلوب إليها من مكتبة دير السريان التى أغناها بالنفائس الأب موسى النصيبينى ورفاقه الذين قدموا إلى البرية من هذه البلاد التى عدّدناها كما جاء فى فهرس مكتبة المتحف البريطانى .

وقد حرص الرهبان على سلامة هذه الكتب والعناية بها ، فجاء فى مخطوط لندن رقم ٣٧٤ المنسوخ بدير السريان سنة ١٢٦٢ م حاشية تقول « تجددت هذه الكتب وتجلدت سنة ١٤٩٢ م . وكان آخر ترميم أصابها هو الذى قام به القس توما الماردينى سنة ١٦٢٤ م وسجله بخط يده على المخطوط المشار إليه آنفاً .

كيف تسربت الكتب إلى الخارج

بعد الترميم الذى تطوع به الربان توما بعدة سنوات هجر السريان الدير قرب منتصف القرن السابع عشر فى ظروف يفهم منها أنها كانت مفاجئة ، فلم يتمكنوا من أخذ كتبهم التى تعبوا فى جمعها وتجليدها ، فتركوها كما هى لرهبان الأقباط الذين لم يعرفوا قيمتها لجهلهم التام باللغة السريانية . ولما وصل نبأ رحيلهم عن الدير إلى مسامع الشعوب الأوربية بات العلماء يفكرون فى مصير هذه الثروة الأدبية التى تركها الرهبان فى مجاهل الصحراء ، وأخذوا يعملون على الوصول إليها والكشف عن كنوزها الفريدة غير مبالين بمتاعب الطريق وأهوال البادية ، فكان أول من أسعده الحظ بمشاهدتها هو الراهب اليسوعى الياس السمعانى الذى زار البرية سنة ١٧٠٧ م واستطاع بلباقته وحسن سياسته أن يأخذ من الرهبان المصريين أربعين مجلداً من أنفس الكتب .

وقد حمل القس الياس وهو من أصل لبنانى هذه المصاحف إلى مدينة الفاتيكان فلما وقف البابا على هذه الدرر الغالية بارك صنيعه وطمع فى مزيد منها ، فأرسل لهذه الغاية ابن عمه المونسنيور يوسف السمعانى فوصل البرية المقدسة سنة ١٧١٥ م ، وبعد أن قضى فى ضيافة الرهبان ثمانية أيام عاد إلى روما ومعه مجموعة قيمة من الكتب النادرة ، كان بينها عدد من المخطوطات القبطية حصل عليها من دير القديس مكاريوس .

وقد نشر السمعانى على أثر عودته إلى مقره بياناً بأسماء الكتب التى أحضرها من وادى النطرون وتاريخ نساخة كل منها رفعه إلى مقام البابا اقليمس الحادى عشر فنبه به أفكار العلماء فى أوربا لاسيما البريطانيين عن هذه الكنوز الدفينة فى صحراء مصر الغربية ، فاقبلوا عليها وفى مقدمتهم المستر تاتام الانجليزى الذى جمع ما تبقى من الكتب وحمله إلى لندن سنة ١٨٤٢ م ، وبعد قليل وضع فهرساً للمخطوطات التى ظفر بها فى ثلاثة مجلدات مبيناً ما لها من الأهمية ، وما تضمنته من فوائد روحية وعلمية وتاريخية .

أما المصاحف التى لم تقع عليها أبصار السمعانى وتاتام فقد كانت من نصيب الفرنسيين والألمان والطليان والنمساويين الذين زينوا خزائن كتبهم بهذه الكنوز النفسية النادرة الوجود .

أشهر مخطوطات دير السريان فى الخارج

اقتسم الناهبون فيما بينهم أسلاب هذه المكتبة الثمينة ونال كل من سطا عليها نصيباً يحسده عليه الآخر ، ولم يحظ أحد منها بإرث شائن غير أصحابها الذين حزموا الكتب بأيديهم وسلموها لخاطفيها ، وزودوهم بالدعاء أثناء سيرهم بها فى دروب البرية المخيفة !

وفى مقدمة المخطوطات التى حملها السيد يوسف السمعانى إلى مكتبة الفاتيكان كتاب يرجع تاريخ نساخته إلى سنة ٥٧٩ م ، وعليه حاشية تدل على أنه أوقف على

الدير فى عهد رئيسه مار تاؤدور . ولعله أول الرؤساء السريان على دير والدة الإله الذى آل اليهم فخلعوا عليه تسميتهم .

وتمتلك مكتبة لندن كتاباً لميامر السروجى يحمل رقم ٦٧٢ يرتقى عهده إلى سنة ٦٠٣ م ، كما ظفرت مكتبة باريس بنسخة فريدة لأسفار العهد القديم خطت سنة ٧٢٠ م وعليها حاشية تخبر عن مجىء الرهبان التكريتيين ، وتسأل الصلاة عن ماروتا ابن حبيب ورفاقه الذين تعزى اليهم قصة شراء الدير من القبط !!

ومن الكتب الهامة التى كانت من نصيب مكتبة ميلانو بايطاليا نسخة نادرة المثال لكل أسفار العهد العتيق القانونية والأبوكريفا كتبت بالخط السطرنجيلى تنتهى بميمر عن خراب أورشليم ليوسيفوس المؤرخ ، وفى آخر الكتاب حاشية تقول « هذا الكتاب يخص دير والدة الإله فى برية الصعيد ولا يجوز لأحد أن يخرجه منه أبداً » ثم تليها كتابه تعريبها « اذكروا أبا زيكرى بن يوحنا الذى اشترى هذا الكتاب ليطالعه الرهبان القاطنون بدير والدة الإله ببرية الصعيد » .

كما جاء فيه بخط أحدث من السابق « اقتنى هذا الكتاب الراهب عبد المسيح ابن هيثم بن داود الدمشقى » ، ويليه ما معناه « جلد هذا الكتاب الذى للعهد العتيق سنة ١٠١٦ م ، جلده يعقوب الخاطىء » السريان فى القطر المصرى ص ٥٣ ، ٥٤ . وقد اهتم بطبع هذا الكتاب الجليل فى مجلدين الأب تشريانى سنة ١٨٧٦ م

ولم تكن مكتبة برلين أقل حظاً من نظيراتها فى أوربا فقد حصلت من الغنائم السريانية على كتابين عظيمين : الأول هو الإنجيل المقدس والآخر كتاب الهدايا لابن العبرى نسخ سنة ١٣٧٤م . أما مكتبة أوكسفورد فقد نقل إليها من دير السريان انجيل القديس يوحنا الذى نسخه رجل يسمى حبيب وأهداه إلى أخيه الربان اسحق كما أعطيت مكتبة كمبردج مجلداً يحوى تفسير الأعمال مع رسائل القديس بولس كانت فساخته بدير السريان فى ٢٢ آيار سنة ١٦٠٧ م .

ناهيك عن الكتب التى خرجت من الدير فى أزمنة غير معروفة بواسطة أناس

مجهولين ، واستقرت فى جهات مختلفة ومن بينها كتاب البيتكاز أى « خزانة الألحان » الذى لا يزال إلى الآن بمكتبة دير مار مرقس بالقدس الشريف ، وعليه كتابة تخبر أنه نسخ بدير والدة الإله بوادى النطرون فى القرن الحادى عشر .

المكتبة فى الوقت الحاضر

فى أواخر القرن التاسع عشر ترهب فى دير سيدة برموس شاب من جنس سريانى يقال له ناعوم الحمصى باسم الراهب افرام البرموسى ونال حظوة لدى البابا كيرلس الخامس ، فرشحه أكثر من مرة لرتبة الأسقفية فكان تارة يعتذر وطوراً يختفى إلى أن رسم فى ١١ يوليو سنة ١٨٩٧م أسقفاً على دير سيدة برموس ودعى بالأنبا ايسيذوروس ، ولكنه لم يمكث فى منصبه أكثر من ثلاثة شهور حتى اختلف مع الأنبا يوأنس مطران البحيرة ووكيل الكرازة المرقسية وقتئذ فعزل وجرد من رتبته بقرار من المجمع المقدس ، على الرغم من الجهود الجبارة التى بذلت لتسوية النزاع بين الطرفين ، فلما ضاقت السبل فى وجه الأسقف المعزول رفع مظلمته إلى البطريرك الانطاكى فحله من حرمه وقبله برتبته الأسقفية وغير اسمه إلى (كيرلس ايسيذوروس افندى) وعينه نائباً بطريركيا له فى مصر والاسكندرية .

ولكى يرضى الأسقف رئيسه الجديد وعده باسترداد دير السريان بكافة أملاكه من الكنيسة القبطية إلى كنيسة السريان الانطاكية ، ورفع فى سبيل ذلك مذكرة ضافية إلى رجال الحكومتين المصرية والعثمانية أثبت فيها ملكية الدير للكنيسة السريانية . وقد رأت الحكومة العثمانية أن تأخذ بوجهة نظر الشاكى فأوعزت إلى الخديوى عباس حلمى الثانى وكان يومئذ فى مدينة الأستانة بأن يراجع مع حكومته هذه القضية على ضوء البيانات التى ذكرها الأسقف . وتصادف أن قدم على دار الخلافة التركية بطرس باشا غالى رئيس الوزراء ليعرض على الخديوى بعض المسائل الهامة المتعلقة بسياسة الدولة . فلما فاتح عباس باشا كبير وزرائه فى هذا الأمر استنكر رئيس الحكومة مطالب الأسقف وقابل المسئولين فى حكومة

السلطان ، وأقنعهم بأحقية المصريين لهذا الدير الذى يقوم منذ خمسة عشر قرناً على أراضيهم . وقال بطرس باشا فى دفاعه إذا كانت تسميته بالسريان توجب تسليمه لإيسيذوروس السريانى إذاً فليطالبنا الروم والأتراك والأكراد والأرمن والمغاربة واليهود والفرنسيون باحياء وشوارع فى القاهرة تحمل أسماءهم فى لافتات رسمية منذ زمن بعيد ! ! فاستجابت الحكومة العثمانية لدفاعه كما كتب فى ذلك الوقت من استامبول إلى المسئولين فى الدار البطريركية يطالبهم بابراز الوثائق التى تثبت ملكيتهم لدير والدة الإله الشهير بالسريان ، فأخذ بعضهم يجمع المستندات الهامة ، بينما حاول الآخرون فى شىء من الجهل والسذاجة إخفاء المعالم السريانية لزعمهم أنها تؤيد دعوى مناهضيهم ، ومن بينها الأسفار السريانية القليلة التى تخلفت فى زوايا المكتبة بعد أن عبث بمقتنياتها الأجانب . إلا أن البابا كيرلس الخامس أشار عليهم أن يحتفظوا بسلامة هذه المجلدات ، وأوفد من قبله لهذه الغاية القمص عبد المسيح المسعودى البرموسى الذى كان يعرف السريانية فقام بدرج المكتبة وأخرج من بينها المخطوطات السريانية وسلمها للمسئولين فوضعوها فى غرفة أرضية ملاصقة للسور البحرى تراكمت عليها الأنقاض فيما بعد لانخفاضها حتى أصبح موضعها لا يعرفه من الرهبان غير أفراد من القدامى . وكانت هناك بشائر فضية ونحاسية مما يستعمل فى دورة الإنجيل زعموا أن بها أوراقاً تفيد القضية السريانية فحطمها بعض الآباء ، وإذ لم يجدوا بها سوى نسخ خطية من الانجيل عملوا على التخلص منها بطرق تصعب الإشارة إليها ! وبينما كان الأب المسعودى يقوم باستعراض الكتب عثر على كراسة سريانية صغيرة احتفظ بها لنفسه بعد أن استأذن رئيس الدير فى ذلك ، وكانت الكراسة تحوى فوائد عظيمة يكاد ألا يصدقها العقل ، وذلك كتحصين المبانى والمدن الجديدة حتى لا يدخلها نوع معين من الطيور أو الوحوش أو الهوام . . . ! ! وقد ظلت هذه النبذة فى حيازة القمص عبد المسيح طيلة حياته ثم اختفت من بعد وفاته فى ظروف غامضة .

هذا ولما رأى الأنبا ايسيذوروس أن قضيته قد رفضت شكلا وموضوعا ، أخلد إلى الهدوء والسكينة وانصرف نحو الكنيسة القبطية يخدمها بقلمه ولسانه بصفة غير رسمية حتى دعاه إليه البابا يوأنس التاسع عشر ومنحه الحل والبركة وسمح له بتأدية الشعائر ، وبعد ستة أشهر من صلحه أدركته المنية فاستراح من أتعابه فى ١٩ يناير سنة ١٩٤٢ م .

أما الكتب السريانية فاستمرت مدفونة فى باطن الأرض أكثر من خمسين عاما حتى تولى رئاسة الدير نيافة الأنبا ثاؤفيلوس فأخرجها من معقلها وأعد لها خزانة خاصة فى مكتبة الدير الكبرى ، ولم يقف عند هذا الحد بل ضاعف مقتنيات المكتبة فزودها بالمؤلفات القيمة الحديثة من عربية وقبطية وانجليزية وفرنسية فأصبحت فى وضعها الحالى أكبر مكتبات الأديرة القبطية كما ألحق بها متحفاً صغيراً يجمع بعض مقتنيات الرهبان والأدوات التى كانت تستعمل قديماً فى طرق العبادة .

ولا زالت المكتبة تحتفظ ببعض المخطوطات الهامة مثل كتاب تكريس الكنائس باللغة القبطية الخالصة مخطوطاً على جلد ماعز ، وكتاب اعترافات الآباء بالأمانة وكتاب الرهبان فى القوانين المكملة والفرائض المهملة ، والعهد الجديد قبطى عربى وهو من الآثار النفيسة الهامة . وسفر حزقيال باللغة السريانية ، وقد نسخ الكتاب الأول سنه ١٠٨٢ م بينما يرجع تاريخ الأخير إلى القرن السادس .

▲ ▲ ▲

خريجو دير السريان من الأحبار

تخرج من دير السريان بطريرك واحد وعدد من الأساقفة ، أما البطريرك فهو :

البابا غبريال السابع

ترهب فى دير السيدة العذراء ودعى الراهب روفائيل بن مهنا المنشاوى ثم رسم بطريركا باسم البابا غبريال السابع ١٥٢٥ - ١٥٦٨ م ومن مآثره التاريخية التى لا

تنسى أنه قام بتعمير ديرى مار أنطونيوس والأنبا بولا بالبرية الشرقية بعد أن خربهما عربان الصعيد وقتلوا من فيهما سنة ١٤٨٤ م فأرسل عدداً من رهبان ديره وزودهم بالكتب المقدسة والطقسية وأدوات المذبح لتعمير الديرين كما عمر أيضاً دير الأنبا أنطونيوس بالجيزة المعروف بالدير التحتانى أو دير الميمون، ثم دير المحرق بجبل قسقام .

ولما أرهقه السلطان سليم بالضرائب الباهظة حاول الرحيل إلى الأديرة الشرقية فأدركته المنية وهو يعبر النيل من جهة الميمون فجنزه رهبان مار أنطونيوس بالجيزة ثم نقل جثمانه بعد شهر ونصف من وفاته إلى دير أبى السيفين بمصر القديمة حيث أعادوا تجنيزه مرة أخرى بحضور كثيرين من رجال الاكليروس ودفنوه مع أسلافه البطاركة وهم يأسفون لفقده ويتحدثون عن اصلاحه ونسكه .

أما الأساقفة الذين تخرجوا من هذا الدير فهم :

الأنبا أخريستوذولوس

هو القمص عبد المسيح الأنبيرى الذى كان رئيساً لدير السريان ، وقد سامه مطراناً على أثيوبيا البابا متاؤس الرابع ١٦٦٥ م وإذ لم تطب له الإقامة هناك عاد إلى الدير وعكف على النسك والعبادة إلى أن تنيح ، ولا يزال قبره إلى الآن عن يمين الداخل إلى كنيسة الأربعين .

وتوجد بمكتبة الدير بعض المخطوطات التى تحمل اسمه وختمه ، وهو فى حجم الريال المجيدى، وقد كتب فى دائرته كلمات حبشية وفى داخله بالعربية «عبد المسيح مطران على الحبشة .

هذا وقد تسمى ثلاثة من مطارنة أثيوبيا باسم أخريستوذولوس . الأول رسمه البابا غبريال الثامن سنة ١٥٩٠ م ، والثانى الذى مرت ترجمته ، والثالث كان أسقفاً على القدس وسامه مطراناً على أثيوبيا البابا بطرس السادس سنة ١٧٢٠ م « تاريخ

البابا وات » للشماس كامل صالح نخلة الحلقة الثالثة ص ٨٤ ، ١١٨ ، والحلقة الرابعة ص ١٢ ، ٢٥

الأنبا أثناسيوس

ترهب فى دير السريان ورسمه أسقفاً على القدس البابا بطرس السادس سنة ١٧٢٠ م بعد أن خلا كرسى القيامة بسفر الأنبا أخريستوذولوس إلى أثيوبيا كما بينا « الحلقة الرابعة من تاريخ البابا وات » ص ١٢ وله بمكتبة الدير كتاب تكريس الكنائس.

الأنبا بطرس

كان رئيساً لدير السريان مع إشرافه المباشر على أديرة البرية الأخرى ثم رسمه البابا مرقس السابع فى منتصف القرن الثامن عشر مطراناً على جرجا وأخميم وكل البلاد التى تليها جنوباً « كتاب ١٥ تاريخ » بالدار البطريركية ص ٣٠٧ وله بمكتبة الدير منشوران رعويان يقول فى كل منهما « بطرس عبد عبيد الله المدعو بنعمة الله مطراناً على كرسى جرجا والصعيد الأعلى وكافة الشعب المسيحى بكرسى أخميم وجرجا وقفط وقوص ونقادة وإسنا وأرمنت وما ينسب اليهم .

وقد دارت بينه وبين المعلم ابراهيم الجوهرى مكاتبات بشأن عمارة الأديرة ملصقة بقطارس شهربابه القبطى ، ولا يزال ختمه على بعض كتب المكتبة وفيه يقول « الحقير بطرس أسقف كرسى نقادة ١٤٦٧ ش - ١٧٥١ م » .

الأنبا يوساب

ترهب فى دير والدة الإله ، وأقيم مطراناً على كرسى القيامة فى حبرية البابا يوأنس الثامن عشر ، ولم يشترك معه فى صنع الميرون الذى كرسه سنة ١٥٠١ ش . وقد تولى هذا الأسقف الإشراف على العمارة التى قام بها المعلم ابراهيم الجوهرى سنة ١٧٧٣ م فى دير السريان على عهد رئيسه القمص منقريوس . وبعد أن فرغ منها

توجه صحبة الرئيس المذكور إلى دير سيدة برموس وجدد القصر القديم وأنشأ كنيسة باسم الأنبا أبيب والأنبا أبللو ، وقد هدمت سنة ١٨٨١ م لتوسيع كنيسة مار يوحنا « تحفة السائلين » ص ٥٦ ، ٦١

الأنبا بطرس

كان رئيساً على الدير باسم القمص منقريوس ، ورسمه البابا يؤانس الثامن عشر أسقفاً على منفلوط ودعاه الأنبا بطرس ، وفى مكتبة الدير كتاب لأجل تكريس الكنائس عليه كتابة تقول «عمل برسم واضع العلامة فيه وقفاً مؤبداً وحبساً مخلداً على القلاية العامرة بالأسقفية لأجل تكريز الكنائس ولا أحد يتصرف فيه ببيع أو قبض ثمن لأجل أجر الذى صرفه عليه لأنه من مخلافات الأب المطران أنبا أثناسيوس مطران القدس الشريف ، وصار بيد الأنبا بطرس أسقف نقادة ودرجا فى سنة ١٤٧٠ للشهداء الأطهار والشكر لله دائماً » . وورث ذلك من بعده تلميذه الأسقف بطرس بكرسى منفلوط الذى كان اسمه أولا القمص منقريوس وأوهبه إلى دير السيدة بالسريان- واقفان[1] مؤبدان وهبتا لا ترد وذلك فى سنة ١٤٩٠ للشهداء الأطهار . ومما يذكر أن التاريخين القبطيين مكتوبان بأحرف النساخة القديمة المعروفة بأرقام المساحين .

الأنبا إيساك

ترهب فى دير السريان ، وبعد أن رسم كاهناً أخذه زملاؤه الرهبان إلى البابا بطرس السابع الذى جعل الوظائف الأسقفية قاصرة على رهبان ديرمار أنطونيوس وطلبوا منه رسامة مرشحهم على كرسى البهنسا الذى كان شاغراً وقتئذ . ولما حاول البابا التنصل أغلظ الرهبان له العبارة ورابضوا على داره ، فاضطر إلى ترضيتهم وكرسه على البهنسا والفيوم والجيزة . وله بدلة كهنوتية كاملة معروضة فى متحف الدير صنعت سنة ١٥٥٥ قبطية وقد تنيح بعد رسامة البابا كيرلس الخامس بقليل .

(١) طبق الأصل بالمخطوط القديم .

الأنبا متاؤس

تربى فى دير السريان مع أبيه المترمل الراهب بشارة ثم ترهب فى الخامسة عشر باسم الراهب حنا ، ولما بلغ العشرين عينه البابا كيرلس الخامس رئيساً على الدير وفى الخامسة والعشرين رسمه أسقفاً على كرسى أبو تيج وطهطا ، وتنيح فى الثلاثين من عمره منهوشاً من الكلاب فى قرية أبو مغيزل ودفن بكنيستها .

الأنبا مكاريوس

رسمه البابا كيرلس الخامس أسقفاً على النوبة والخرطوم فى ٢٧ أكتوبر سنة ١٨٧٨ م وقبل أن تقع العاصمة السودانية فى قبضة الدراويش تمكن من الرحيل إلى القاهرة مع آخرين بمساعدة غوردن باشا ونزل فى الدار البطريركية ، ولما نشب الخلاف بين البابا والمجلس الملى رفض أن ينحاز إلى أحد الطرفين وانتقل من البطريركية إلى دير أبى السيفين بمصر القديمة ، وظل ملازماً لداره إلى أن تنيح فى يوم الجمعة ٢٧ نوفمبر سنة ١٨٩٦ م .

الأنبا صرابمون

ولد فى إسنا وترهب فى دير السريان باسم الراهب يوحنا ، وعين رئيساً للدير . وقبل فتح السودان بعام واحد رسم أسقفاً على النوبة والخرطوم فى ١٢ يوليو ١٨٩٧ م وقد عاد من كرسيه إلى القاهرة سنة ١٩٢٦ م ، وأرغم على عدم العودة فأقام بالمقر البطريركى حتى تنيح بحلوان فى ١٨ يونيو ١٩٣٥ م ، وإلى هذا الأسقف المشهور بعفافه وطهره يعود الفضل فى بناء كنائس السودان القبطية ومدارسها .

الأنبا إيساك

ولد فى مدينة أسيوط ، وترهب فى دير والدة الإله ، ثم رسمه البابا كيرلس الخامس أسقفاً على بنى سويف والبهنسا فى ٢٢ أكتوبر سنة ١٨٩٩ م ومات غريقاً

مع ابن أخته القمص يوحنا فى ترعة الابراهيمية ، وهو طريقه إلى قرية أشروبه فى ٥ أغسطس سنة ١٩٢٤ .

الأنبا يوساب

ترهب فى دير السريان باسم الراهب دوماديوس يوسف ، وبعد ترقيته كاهناً عين مدرساً للدين بمدارس الأقباط ومدرسة الرهبان بالأسكندرية ، ثم اختاره شعب الفيوم أسقفاً خلفاً للسعيد الذكر الأنبا ابرآم فرسمه البابا كيرلس الخامس فى ٢٨ نوفمبر سنة ١٩١٥ وتنيح فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٩٢٤ م .

الأساقفة الحاليون

بعد نياحة الأنبا يوساب أسقف الفيوم والجيزة توقف دير السريان عن إنتاج لمطارنة قرابة أربعين عاماً حتى جلس على كرسى البطريركية البابا كيرلس السادس فرقى أربعة من رهبان الدير إلى رتبة الاسقفية وهم:

(١) القمص مكاريوس رسم أسقفاً على بنى سويف والبهنسا باسم الأنبا أثناسيوس فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٦٢ .

(٢) القمص مكارى رسم أسقفاً للخدمات باسم الأنبا صموئيل فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٢ .

(٣) القمص أنطونيوس رسم أسقفا على الاكليريكية ومدارس التربية الكنسية باسم الأنبا شنودة فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٢ .

(٤) القمص متياس رسم أسقفا على الجيزة باسم الأنبا دوماديوس فى ٣١ مارس سنة ١٩٦٣ .

وجميعهم على جانب عظيم من الأخلاق النبيلة والصفات الرهبانية الحميدة ، وقد رهب البابا الثانى منهم عندما كان يقيم فى منسكه بمصر القديمة كما أن الثلاثة الآخرين كانوا معروفين لديه شخصياً قبل أن يتبوأ رئاسة الأحبار .

رؤساء دير السريان

ينقسم تاريخ دير السريان إلى ثلاث مراحل ، فتبدأ الأولى من تأسيسه إلى حين دخوله فى حوزة السريان وتاريخها يكاد أن يكون غامضاً . والثانية من استيلاء السريان عليه إلى جلائهم عنه فى منتصف القرن السابع عشر . والثالثة تبتدىء من استراد الأقباط لهذا المنسك العظيم وظهورهم فيه كعنصر أساسى حتى كتابة هذه السطور .

وقد استطاع علماء اللغة السريانية فى لندن وباريس والفاتيكان أن يقوموا بدراسة وافية للمخطوطات التى نقلوها من هذا الدير فكشفوا لنا عن رؤسائه الذين جاءت أسماؤهم على هوامش الكتب فى وقف أو شراء أو ترميم، كما ألقت المخطوطات القبطية والعربية ضوءاً على الآباء الذين تولوا إدارته من الرهبان المصريين بعد أن هجره السريان وعاد إلى أصحابه الأوائل .

وهذه هى أسماء الرؤساء السريان نقلا عن مجلة المشرق الصادرة سنة ١٩٢٥ م .

(١) مار ثاؤضور : أشار اليه مخطوط بالفاتيكان نسخ فى دير السريان سنة ٥٧٩ م .

(٢) ماروتا بن حبيب : وهو الذى تعزى اليه قصة شراء الدير من الأقباط كما أشار مخطوط باريس رقم ٢٧ ص ١١

(٣) الأنبا يوسف : كان رئيساً للدير فى سنة ٧٧٣ ، وقد ورد ذكره على حاشية فى كتاب بمكتبة لندن رقم ١٠٣٧

(٤) ابن عيدى: عاصر البطريركين قزما «الثانى» الأسكندرى ويوحنا «الخامس» الأنطاكى حسب رواية مخطوط لندن رقم ٧٨١ الذى كتب بدير والدة الإله سنة ٨٦٦ م .

(٥) القس يوحنا بن مقارى : تولى الرئاسة حوالى سنة ٨٩٤ م طبقاً لما ورد فى مخطوط لندن رقم ٥٦٨ م .

(٦) القس موسى النصيبينى : عقدت له الرئاسة فى أوائل القرن العاشر ، وقد مرّ خبره عند ذكر المكتبة .

(٧) الأب صليبا: تولى رئاسة الدير فى حبرية البابا ابرآم السريانى الأسكندرى كما وجد فى مخطوطى لندن رقم ٣٤٧ ، ٣٥٢

(٨) الأب داود : انتخب للرئاسة سنة ١٠٠٧ م .

(٩) الأب يوحنا : كان شقيقاً للقس داود وورث عنه رئاسة الدير بعد وفاته كما أفاد الكتابان رقم ٣٢١ ، ٣٢٢ بالمتحف البريطانى .

(١٠) الأب باسيل : كان رئيساً فى ١٢٢٢ م .

(١١) الربان يشوع القمص : ولد فى زرجل المجاورة لحصن كيفا ، وتولى الرئاسة سنة ١٢٣٧ - ١٢٥٤ م كما يقول المخطوط رقم ١٧٧ بمكتبة لندن .

(١٢) عبد المسيح القمص : يقول عنه مخطوط لندن رقم ٥١٠ أنه رئيس دير سيدتنا بالبرية المقدسة المعروف بدير السريان سنة ١٤٨٣ م فى عهد الأنبا متاؤس بطريرك الأسكندرية .

(١٣) المطران ساويروس قرياقوس : نسخ كتاب البيتكاز ، مجموعة الألحان ، الموجود الآن بمكتبة لندن تحت رقم ٣٩٩ وعليه كتابة تقول «انتهى هذا البيتكاز وقد نسخه رئيس الدير أبونا القديس المطران مار ساويروس قرياقوس من جبل لبنان من مقاطعة طرابلس . جرى ذلك فى دير والدة الإله ببرية الصعيد الذى يخصنا نحن السريان المحسودين وذلك سنة ١٤٩٢ م ، وفى هذه السنة حدث وباء هائل وطاعون قتال فى أرض مصر فتك بعدد لا يحصى من البشر .

(١٤) المطران ساويروس : يقول عنه الكتاب رقم ٦٥ إنه تولى رئاسة الدير ١٥ آذار سنة ١٥١٦ م .

(١٥) الأب لعازر: خلف المطران ساويروس بشهادة المخطوط رقم ١٠١٣

(١٦) الأب قسطنطين الأول : استقال من رئاسة الدير بعد أن سئم فتن الرهبان وتحزباتهم ، وسكن فى دير مار أنطونيوس بالجبل الشرقى على ما أفاد كتاب ميامر اسحق النينوى الذى نسخه الربان متى الطورعبدينى فى عهد رئاسته .

(١٧) الأب قسطنطين الثانى : لم تذكر عنه المخطوطات القديمة أكثر من أن دير السريان تولاه إثنان بهذا الاسم ، وأن كتاب اسحق النينوى نسخ فى عهد الأول منهما .

رؤساء الرهبان القبط

يلوح لنا من بعض الوثائق الكتابية أن رهبان القبط عندما سكنوا بجانب اخوانهم السريان فى دير والدة الإله وربما كان ذلك بعد انهيار دير أبو يحنس كاما لم يكونوا تحت رئاسة واحدة بل كان لكل جماعة رئيسها الخاص بها وهذا ما أمكنا معرفته من أسماء الرؤساء المصريين الذين ورد ذكرهم فى بعض المصادر التاريخية وفى مقدمتها كتاب وادى النطرون وأديرته للأمير عمر طوسون

(١) القمص قرياقوس : كان رئيساً لدير السريان سنة ١٤٨٤ م ولعله المطران ساويروس قرياقوس الرئيس السريانى السالف الذكر .

(٢) القمص حنا : ورد اسمه فى مخطوط قديم سنة ١٥٨٤

(٣) القمص عبد المسيح الأنبيرى: أقيم فى عهده على نظارة الدير أشرف المخاديم شيخ العلم المعلم مينا الذى خدم الدير ومرافقه بكل أمانة وإخلاص ، ويظن القمص أرمانيوس حبشى السريانى فى مذكراته التى ألحقها الأمير عمر طوسون بكتابه انه عين رئيسا على الدير سنة ١٦٢٤ م وأرى انه جاء بعد هذا التاريخ بما لا يقل عن عشرين عاماً ، لأنه رسم فيما بعد مطراناً على أثيوبيا سنة ١٦٦٥ م كما بينا فى حديث سابق وليس من المعقول أن يشرطن على بلاد نائية كهذه وهو فى سن الشيخوخة تقريباً !

(٤) القمص يوحنا : كان رئيساً على الدير سنة ١٦٨٤ م

(٥) القمص ميخائيل : تولى الإدارة سنة ١٧٢٠ م وعمل فى كنيسة العذراء

في ظلال الكرمة . . جلس الأنبا تاؤفيلوس وعن يمينه القمص صموئيل تاوضروس السرياني

بالمغارة مقصورة خشبية لحفظ أجساد القديسين ولا يزال اسمه محفوراً عليها مع تاريخ الفراغ من صنعها .

(٦) القمص غبريال : لم نجد عنه فى المصادر التى لدينا أكثر من اسمه .

(٧) القمص بطرس : كان رئيساً على كل أديرة وادى النطرون سنة ١٧٤٢ م ثم رسم مطراناً على كرسى جرجا والصعيد الأعلى ، وظل ناظراً على الأديرة يتولاها برعايته ويفتقدها من حين لآخر .

(٨) القمص منقريوس : أقيم رئيساً على الدير سنة ١٧٧٣م ورسم مطراناً على منفلوط وأبنوب باسم الأنبا بطرس .

(٩) القمص قلته الناسخ : انتخب رئيساً سنة ١٧٨٤ م ، وكان آخر رؤساء دير السريان الذين أقاموا فى قرية الطرانة ـ بحيرة .

(١٠) القمص يوحنا الفيومى : أول رؤساء الدير الذين أقاموا فى قرية أتريس من أعمال الجيزة ، ولم نقف على شىء من أعماله .

(١١) القمص عبد القدوس : تولى رئاسة الدير ١٨٤٨ م ، وقام فيه بإصلاحات عديدة فجدد كنيسة العذراء بالمغارة ، وأصلح سقالة الحصن ، وجلب مستلزمات الطاحون ، كما وجدنا ذلك مكتوبا بخط البابا كيرلس الخامس على كتاب ميامر الأنبا بولس البوشى ، وكان يرتبط بصلاة روحية وصداقة قوية مع القس داود الصومعى ، ووقع على تزكيته التى رسم بموجبها بطريركا باسم البابا كيرلس الرابع ، وعزله من الرئاسة الأنبا ديمتريوس الثانى .

(١٢) القمص يوسف المحلاوى : خلف القمص عبد القدوس فى منصبه .

(١٣) القمص يوحنا بشاره : عين رئيساً على الدير وهو فى العشرين من عمره ، ورسمه البابا كيرلس الخامس أسقفا على كرسى أبو تيج باسم الأنبا متاؤس .

(١٤) القمص تاوضروس : خلف الرئيس السابق فى منصبه .

(١٥) القمص يوحنا الأسناوى : عين رئيسا بعد نياحة سلفه ، ورسم أسقفا على النوبة والخرطوم باسم الأنبا صرابمون فى ١٢ يوليو سنة ١٨٩٧ م .

(١٦) القمص مكسيموس صليب : تولى الرئاسة بعد ترقية القمص حنا إلى رتبة الأسقفية ، وكان شهماً مصلحاً مقداماً يحب العلم ويقدر رجاله، ذا قلب طيب أميناً فى كل تصرفاته ، وفى سنة ١٩٠٢ سقط جانب عظيم من سور الدير البحرى فقام ببنائه ، وجند لذلك أكثر من سبعين عاملا كانوا يواصلون العمل بلا انقطاع لمدة ثلاثة أشهر كما جدد معظم قلالى الدير بعد أن هدم المبانى المتداعية وضاعف اقتصاديات الرهبان فاشترى لهم أكثر من ستين فداناً ، وبنى بالقاهرة عدة منازل شاهقة تدر على الدير ربحا لم يكن له من ذى قبل، وبعد أن أكمل رسالته على الوجه الأكمل تنيح بشيخوخة صالحة يوم الاثنين ٧ أغسطس سنة ١٩٣٩ م .

(١٧) القمص فيلوثاؤس مرقس : كان وكيلا لأوقاف الدير بالقاهرة ومساعداً للرئيس السابق ، وعينه البابا يوأنس التاسع عشر خلفا له بعد وفاته ، وكان حريصا على أموال الدير أميناً فى رسالته ، وتنيح يوم الجمعة ١٢ ديسمبر سنة ١٩٤٧ م .

(١٨) الأنبا ثاؤفيلوس

ولد فى الريدانية من أعمال المنصورة ، وعين على إثر تخرجه من مدرسة حلوان اللاهوتية وكيلا لأوقاف الدير بالقاهرة ، وبعد نياحة القمص فيلوثاؤس خلفه فى منصب الرئاسة ، وفى ٢٥ يوليو سنة ١٩٤٨ م رسم أسقفاً على الدير باسم الأنبا ثاؤفيلوس فعمل على تنمية موارده المالية وابتنى ثلاث عمارات شاهقة فى أحياء القاهرة الرئيسية ، كما ضاعف أيضاً اهتمامه بمساكن الرهبان فهدم القلالى القديمة المتداعية وبنى مكانها قصراً حديثاً مكوناً من أربعة طوابق ، وأقام بالجانب الغربى لهذا المبنى منارة عالية يراها الزائر من بعد شاسع وشرع فى بناء أخرى بالجانب الشرقى .

هذا وقد نال الدير على يديه شهرة رفيعة بين أوساط العلم والأدب فتهافت على زيارته كثيرون من معظم جهات العالم . أطال الله حياته .

▲ ▲ ▲

نيافة الأنبا ثاؤفيلوس وعن يمينه الراهب التقى الغيور القمص عبد القدوس السريانى
وعن يساره القمص صموئيل تاوضروس السريانى

▲ ▲ ▲

العزباوية

كان رؤساء دير السريان يقيمون فى القرون الأخيرة ببلدة الطرانة من أعمال البحيرة حتى انتقل منها القمص يوحنا الفيومى إلى قرية أتريس التابعة لمركز امبابة نظراً لوجود أطيان الرهبان فى زمامها ودوائر القرى التى تجاورها . ولما صار الدير فى عهده يملك بعض العقارات فى القاهرة رأى أن ينصرف اليها حتى يتمكن من صيانتها والإشراف على مواردها . فاختار له مقراً بدرب الابراهيمى فى حى الأزبكية ، وظل به إلى أن توفى . ولما خلفه القمص عبد القدوس استبدله بمنزل

فسيح آخر فى حارة درب الجنينة المتفرع من شارع كلوت بك قرب الدار البطريركية ودعاه « العزبة » وهو نفس الاسم الذى كان يطلق على بيت رئيس الدير عندما كان يقيم فى القرية، فصار يعرف من المواطنين بهذه التسمية حتى أخذت بها بلدية القاهرة وأطلقت على الموضع الكائن به « عطفة العزبة » إلى هذا اليوم .

ولما استقر المقام برؤساء الدير فى القاهرة رأى أحدهم ولعله الفيومى أيضاً بصفته خادماً لوالدة الإله أن يكرس مقر إقامته باسمها المحبوب المطوب فأتى من الدير بصورة أثرية لها تعرف « بأيقونة العجائب » ووضعها فى مقصورة جميلة ، وأشعل أمامها قنديلا وأباح زيارتها للمواطنين على اختلاف أديانهم وأجناسهم، فتوافد عليها المرضى وذوو المشاكل يسألونها العون والشفاعة ، وفى معظم الحالات كان الرب يتمجد ! ومن ثم ذاع صيتها فى أحياء القاهرة وضواحيها واشتهرت بينهم بالست العزباوية أو العزباوية لنسبتها إلى العزبة كما أن نسبة مريم إلى قرية مجدل جعلت الانجيل يدعوها بالمجدلية ، وهكذا فى قولك العذراء الدمشيرية نسبة إلى دمشير ولجواز حذف المعلوم يقولون دائماً المجدلية والدمشيرية والعزباوية .

وقد كانت العزباوية فى المنزل الذى يليها غرباً فنقلها إلى مكانها الحالى سنة ١٩٠٨ الأب الطوباوى السعيد الذكر القمص مكسيموس صليب رئيس الدير الأسبق كما هو واضح من الكتابة التى تعلو مدخلها المبارك .

▲ ▲ ▲

الرفات المقدسة

يحتفظ دير والدة الإله منذ زمن بعيد بتابوتين على شكل اسطوانى ينقلهما الرهبان إلى كنيسة العذراء بالمغارة شتاء وإلى كنيسة الآباء السريان صيفاً .

ويحوى التابوت الأول أجزاء من أجساد القديسين البطريرك ساويروس الأنطاكى ، والبابا ديسقوروس الأسكندرى ، والشهيد قرياقص وأمه يوليطه ، وتادرس المشرقى ، وشهداء سبسطية ، ويعقوب الفارسى ، ويوحنا القصير، وموسى الأسود مع شعر مريم المجدلية .

أما التابوت الآخر فبداخله جثمان الكاهن الغيور القديس يوحنا كاما صاحب الدير المعروف الذى تخرب قبل منتصف القرن الخامس عشر .

وكانت الذخائر الطاهرة التى فى التابوت الأول محفوظة داخل صندوق من الأبنوس عليه صور أصحابها محفورة على ضلعه الأمامى مع أسمائهم باليونانية ، كما هو الحال فى الصور التى تعلو حجاب كنيسة السريان ، ثم أخرجت منه ووضعت فى تابوت لا يزال مع التابوت الآخر موضع إكرام رهبان الدير وزائريه .

رسالة دير السريان بين الأديرة الأخرى

يقوم هذا الدير منذ تأسيسه برسالة إنسانية وروحية بين الأديرة الأخرى . فعندما أرهقت حكومة العباسيين رهبان وادى النطرون بالضرائب الباهظة قام القس موسى النصيبينى رئيس الدير فى العهد الأرامى برحلة إلى بغداد سنة ٩٢٧ م على رأس وفد من رهبان الأديرة الأخرى الذين كانوا يئنون من فداحة الجزية واستصدر أمراً ملكياً بإعفاء الرهبان من الأموال المقررة عليهم .

ولما هجم عربان الصعيد سنة ١٤٨٤ م على ديرى مار أنطونيوس والأنبا بولا قام الأنبا غبريال السابع بتعمير الديرين كما ذكرنا سابقاً فى ترجمة هذا البابا ، وحينما أعاد الكرة عربان بنى عطية على دير الأنبا بولا حزن رئيس الأساقفة ، ولم يهدأ باله حتى أعاد الدير إلى حالته الأولى . وما زال أحد الجدران فى كنيسة مار أنطونيوس يحتفظ بكتابة تشهد بذلك تؤيدها عبارات متناثرة فى مخطوطات الديرين.

وعندما رسم رئيس دير السريان أسقفاً على كرسى جرجا وأخميم وبلاد الصعيد الأعلى تولى معها أيضاً نظارة أديرة وادى النطرون ، وكان ينفق بسخاء على رهبانها وعمارتها . كما قام الأنبا يوساب أسقف القيامة ، والقمص منقريوس رئيس دير السريان بالإشراف على العمارة التى أجراها المعلم ابراهيم الجوهرى بدير سيدة برموس.

وحينما رسم أحد رهبان دير السريان أسقفاً على البهنسا والفيوم والجيزة باسم الأنبا إيساك كرس معظم موارده على تجديد المبانى فى أديرة شهيت ، ولم يبخل على رهبانها بكل ما يحتاجون اليه من غذاء وكساء علاوة على ترقيتهم إلى الرتب الكهنوتية.

وفى رئاسة القمص داود الصومعى لدير أنطونيوس نزلت به ضائقة مالية فتوجه إلى القمص عبد القدوس رئيس دير السريان، وشكا اليه سوء حالته الاقتصادية فأخذه رئيس السريان إلى مخدعه الخاص وفتح له الخزانة وقال له خذ يا أخى ما يلزمك لسد احتياجات ديرك فمد الصومعى يده وتناول من المال المقدار الكافى لاعوازه ، وبعد سنوات من هذا الحادث ارتقى القس داود إلى عرش البطريركية باسم البابا كيرلس الرابع فأراد مكافأة القمص عبد القدوس برسامته أسقفاً ، إلا أنه اعتذر بلطف عن قبول هذه الرتبة فلما رأى البابا إعراضه عن الأسقفية أراد أن يكافئه بتوسيع الدير على نفقة البطريركية، فوافق القمص عبد القدوس لعلمه بأن دير السريان هو أصغر الأديرة القبطية . ومن ثم أخذ البابا يعد العدة اللازمة لذلك ولكن المنية عاجلته قبل أن يقوم بهذه المهمة . ولا تزال بعض المعدات التى أرسلها البابا قائمة بالدير إلى يومنا هذا ، لا سيما العربة التى أعدها لنقل الأحجار .

وقبل أن يكتمل النصف الأول من القرن التاسع عشر كان لا يوجد فى أديرة وادى النطرون الأخرى أكثر من أفراد لا يحملون رتباً كهنوتية فكان القمص جرجس السريانى الشهير « بالفار » يذهب أسبوعياً إلى دير سيدة برموس ليرفع القرابين فى أيام الآحاد للراهب عوض البرهيمى الضرير الذى كان يقيم بمفرده فى الدير كما كان هذا الكاهن يقوم بخدمات مماثلة فى الديرين الآخرين .

الآثار فى دير السريان

يحتوى دير السيدة بالسريان على مجموعة من الآثار النفيسة التى لا تتوفر فى الأديرة الأخرى منها شاهدان جنائزيان من الرخام الأبيض، الأول ويكاد أن يكون مستطيلا يتضمن خبر وفاة القديس يوحنا كاما فى ثلاثة وعشرين سطراً وقد ترجمها إلى العربية أمير البيان القبطى المرحوم أقلاديوس بك لبيب ونشرها فى مجلة « عين شمس » بما معناه : بسم الثالوث الأقدس المساوى فى الجوهر الآب والابن والروح القدس . قد صار انتقال أبينا المطوب البابا يحنس كاما فى اليوم الرابع والعشرين من شهر كيهك فى الساعة الأولى من الليل فى اليوم الخامس والعشرين من رئاسة

الأنبا قزمان رئيس أساقفة الأسكندرية وإدارة أبينا الأب ابراهيم على كنيسة أبينا القديس أنبا يحنس . وبعد عشرة شهور من انتقال أبينا القديس كمسرة الله وتوفيقه تنيح أبى الأب استفانوس فى اليوم التاسع من شهر هاتور . وهذا الأب كان ابنه الروحانى وفى هـــذه السنة عينها تنيح كلاهما الاثنان بسلام الله أمين وذلك فى سنة ٥٧٥ من استشهاد الشهداء القديسين تحت حكم ملكنا ربنا يسوع المسيح آمين. وعلى دائرة الحجر جاءت هذه العبارة « نسأل اذكروا محسوب ربنا يسوع المسيح كى ينيح نفسه الطوباوية » .

وعلى الرغم من وجود هذه الوثيقة الحجرية الصادقة فإن رهبان دير السريان يعيدون للقديس يوحنا كاما فى الخامس والعشرين من شهر كيهك جرياً عل تحديدات السنكسار المطبوع الذى أشار القمص عبد المسيح إلى أغلاطه : « تحفة السائلين صفحة ١٠١ » .

أما الحجر الآخر فهو مستدير الشكل ويبلغ قطره ٧٠ سم وعلى حافته الدائرية كتابة باليونانية تقول « يا إله الأرواح وكل جسد ، الذى سحقت الموت ووطأت الجحيم وأعطيت الحياة للعالم أعط راحة لنفس عبدك جرجس الملك فى موضع النور موضع النياح حيث هرب الألم والحزن والتنهد وكل خطية ارتكبها بالقول أو الفعل أو الفكر . فأنت كرحيم ومحب البشر اغفرها . لأنه ليس إنسان يحيا » .

وفى وسط الحجر عبارات نوبية مكتوبة بأحرف قبطية فسرها الأستاذ جرفت فى مجلة « دراسات الأكاديمية البريطانية » العدد الرابع عشر وبين أنها تحوى دعاء من أجل الملك جرجس . بالإضافة إلى بيـان تاريخى عن حياته ورد فيه أنه ولد عام ٨٢٢ ش-١١٣٠م ، ومات فى السنة الثانية والخمسين من ملكه أى عام ٨٧٤ش - ١١٥٨ م . ويعتقد المستر جرفت أن مملكته كانت فى شمال النوبة . ومن هذا الأثر التاريخى نرى مدى تدين النوبيين وارتباطهم بكنيسة الأسكندرية حكومة وشعباً، كما يظهر ذلك واضحاً من النصوص الدينية التى اقتبسها كاتب الوثيقة من الطقس القبطى.

ويرى الزائر لكنيسة المغارة صورة عريقة فى القدم للسيدة العذراء القديسة

مريم ينسبونها إلى القديس لوقا البشير الطبيب الانجيلى الذى كان يهوى التصوير كما جاء عنه فى أوثق المصادر .

هذا ويحتفظ متحف الدير بدائرة نحاسية لقنديل قديم تنقصه بعض اللوازم عليها كتابة يفهم منها أنها صنعت فى عهد الملك الأشرف النصر قايتباى أحد ملوك دولة المماليك البرجيين علاوة على مجموعة طيبة من العملة القديمة والأوانى النحاسية والأسلحة النارية البدائية والصلبان والمجامر الأثيوبية والملابس الكهنوتية وغيرها من الأدوات التى تستعمل فى طقوس العبادة .

حديقة الدير

كانت حديقة دير السريان منذ عهد قريب أصغر حدائق الأديرة بالنسبة لمساحته فلما تولى الرئاسة نيافة الأنبا ثاؤفيلوس فكر فى استغلال الأراضى الواقعة خلف الأسوار بعد أن وقف على خصوبتها فى مقثاة كان يزرعها الرهبان على عهد الرئيسين السابقين فى الجنوب الشرقى من الدير . فخوّل للمتنيح القمص سيداروس السريانى

الدير ومن خلفه الحديقة الجديدة ويرى فى أعلا الصورة قبة العمارة الجديدة

سنة ١٩٥٠ إنشاء حديقة صغيرة فى هذا المكان فقام رحمه الله بإصلاح الأرض وتسوية مرتفعاتها وأحاطها بغروس من السرو والكافور فنمت الأشجار وتكاثفت وصارت سوراً منيعاً يحجز عنها سافيات الرمال ، فلما رأى نيافته صلاحية التربة وما جادت به من مختلف الثمار عمل على زيادة مساحتها شيئاً فشيئاً حتى تجاوزت الخمسين فداناً ، ووكل أمرها بعد وفاة القمص سيداروس إلى القمص متياس السريانى وهو نيافة الأنبا دوماديوس مطران الجيزة الحالى فخدمها بمؤهلاته الفنية ، وجلب اليها مختلف الفواكه والخضروات فغدت روضة فيحاء كما زودها نيافة الأسقف بالوسائل الزراعية الحديثة من آلات ارتوازية ومحاريث وجرارات .

وفى ركن من هذه الحديقة المتسعة تقوم حظيرة المواشى التى تقدم للدير كمية جيدة من الألبان ومنتجاتها . وبذلك يحصل الرهبان المقيمون فى الصحراء بقدر المستطاع على نوع من الاكتفاء الذاتى .

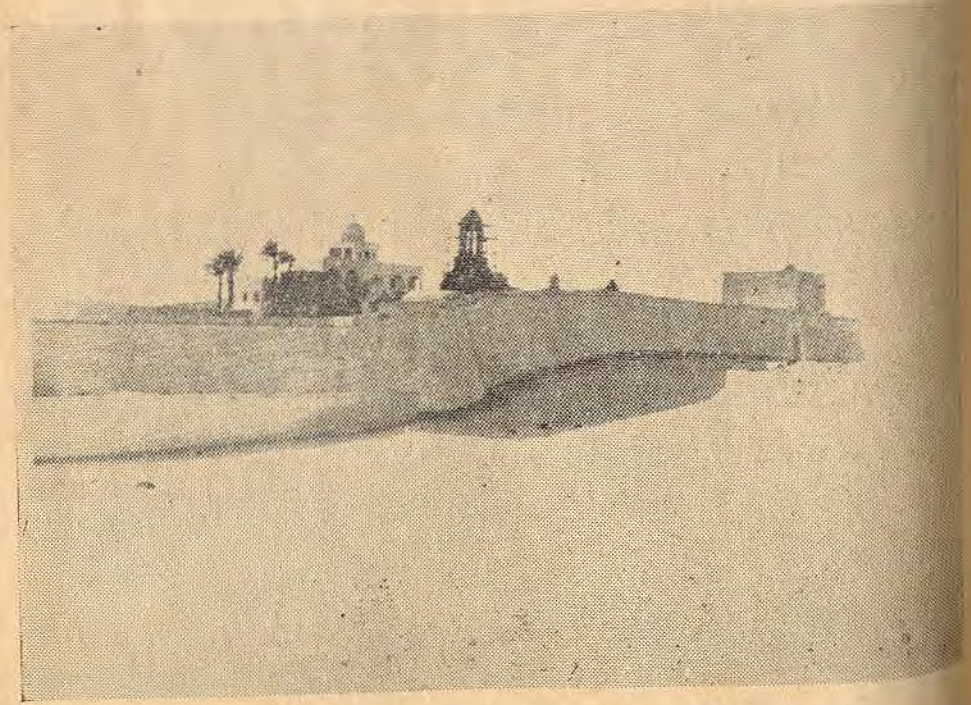

منظر خارجى لدير السريان وترى فيه المنارة الجديدة

صدق أو لا تصدق

يوجد فى حصن دير السريان الأثرى كنيسة صغيرة فى الطابق الأعلى برسم ميخائيل رئيس الملائكة ، لها باب من الخشب لا يتناسب عمره مع أقدميتها ! فلما سألت رئيس الدير فى ذلك وهو وقتئذ السعيد الذكر القمص مكسيموس صليب ١٨٩٧ — ١٩٣٩ م روى لى قصة تكاد ألا يصدقها العقل وهى أنه كان للكنيسة باب عجيب الصنع له فاعلية أعجب فعندما كان الرهبان يرون المغيرين من بربر وبدو قد أقبلوا عليهم يهرعون إلى الحصن ويغلقون باب الكنيسة فيختفى الدير عن أبصارهم ويبقى فى مأمن منهم ، وهذا سر بقائه عامراً طيلة الأجيال الماضية إذ لم يتمكن الغزاة من اقتحامه بينما أصابوا الأديرة الأخرى ونكلوا بساكنيها ونهبوا كل ما بها من تحف ومخطوطات ثمينة .

وقد ظل الدير محتفظا بهذ التراث الواقى النفيس حتى قدم لزيارته أحد العلماء البريطانيين فاشتراه من القمص ميخائيل المنيتينى أمين الدير فى ذلك الحين وكان معه سبعون راهباً فأعطى الرجل البريطانى جنهاً ذهبياً أو ما يعادله لكل واحد منهم مع شبق للتدخين وكمية من التبغ وفك الباب إلى أجزاء صغيرة ، وحمله إلى لندن بعد أن أرسل لهم من القاهرة الباب الحالى الذى لا يزال كرقعة جديدة فى ثوب عتيق . فلما سمع البطريرك المعاصر بهذه الصفقة الخاسرة أرسل واستدعى أمين الدير ولدى مثوله أمامه سأله عن علة هذا التصرف ؟ فأجابه بخشونة قائلا نحن أحرار فيما نملك ! !

ترى ما هو نصيب هذه القصة من الحقيقة ؟! وما هو رأى علماء اليوم فى رواية كهذه ؟ إنها قصة عجيبة وغريبة ولكنها ليست بمستحيلة على آبائنا الحكماء الأوائل الذين قاموا بتصميم الدير فى وسط البرية ومنعوا الحيات والعقارب من دخوله حتى هذه الساعة !! مع أنها لا زالت تروح وتغدو بكثرة خارج أسواره .

فهل يجد العلم الحديث حلا لهذه المشاكل العويصة بعد أن مزق حجب الفضاء ، ورست زوارقه الاستكشافية فى موانىء الزهرة والقمر ، وأوشك أن يهبط بالإنسان فوق سطح الكواكب ؟

دير سيدة برموس

هو ثانى أديرة وادى النطرون من حيث تسميته بدير والدة الإله والثيؤتوكوس ، ورابع أديرته العامرة ، وأقصاها للقادم من الريف عن طريق القوافل القديم . الطرانة - وادى النطرون إذ يبعد عن دير السريان غرباً بمسيرة ساعتين ، وعن دير القديس مكاريوس بخمس ساعات تقريباً.

دير سيدة برموس ودير برموس

يخلط البعض بين الدير الأول الذى بنى برسم السيدة العذراء ، وبين الآخر الذى شيد على القلايتين اللتين بناهما الأميران الرومانيان مكسيموس ودوماديوس تحت اشراف القديس مكاريوس الكبير .

وهذان الشقيقان هما ولدا الامبراطور فالنتنيان ٣٦٣ — ٣٧٥ م ، وقد ترهبا أولا فى سوريا عند الأنبا أغابيوس الذى عندما حضرته الوفاة أمرهما أن يذهبا إلى مصر فاقبلا عليها وسكنا فى الإسقيط المقدس تحت إشراف مكاريوس المصرى ، وأخذا يقومان بنسك زائد وتقشفات صارمة حتى أضناهما التعب فأصيب الأول بحمّى انتقل على أثرها إلى أمجاد السماء فى الرابع عشر من شهر طوبة سنة ٣٨٤ م ، وفى السابع عشر من نفس الشهر لحق به أخوه بعد مرض مماثل فبنى الأنبا مكاريوس كنيسة على موضعهما وأمر أن يسمى الدير المتعلق بها ⲡⲓ ⲣⲱⲙⲉⲟⲥ وهى كلمة تعنى جنسية هذين الشقيقين البارين اللذين أراد مكاريوس تخليدهما فى الكنيسة المصرية بهذه المؤسسة الرهبانية الجليلة .

وقد سكن فى دير برموس بعد غروب هذين الكوكبين اللامعين المجاهد القوى القديس موسى الأسود ، ولما استشهد سنة ٤٠٧ م حفظت به رفاته الطاهرة فصار يعرف فيما بعد بدير الأنبا موسى ، أو دير برموس ، وقد تخرب فى أواسط القرن

الخامس عشر ، ولم تبق إلا أنقاضه المتراكمة على مقربة من دير سيدة برموس .

أما الأدلة على أن دير سيدة برموس العامر حالياً هو غير دير برموس الذى تخرب أخيراً فهى :

(١) قول الشيخ المقريزى فى الجزء الرابع من خططه ص ٥٠٩ « دير سيدة برموس على اسم السيدة مريم فيه بعض رهبان وبإزائه دير موسى ويقال أبو موسى الأسود ، ويقال برموس .

(٢) ورد فى أحد كتب الميرون بمكتبة الدار البطريركية أن الأنبا بنيامين الثانى بعد أن فرغ من صنع الميرون فى البرية المقدسة سنة ١٣٣٠م وأراد زيارة أديرتها ركب من دير أبو مقار . . . . . فوصل دير آبائنا الروم المعروف ببرموس ودخل إلى البيعة المقدسة وسجد أمام الهيكل ، وتبارك من الآثار الشريفة والجسد الطاهر الذى لأبينا القديس الأنبا موسى . ولما كان باكر النهار قصد دير السيدة ولم يركب فى هذه المسافة بل توجه ماشياً .

وفى زيارة مماثلة قام بها البابا غبريال الرابع سنة ١٣٧٤ م ودونها الأنبا أثناسيوس أسقف قوص الذى مرافقاً له أنه وصل إلى دير برموس فتلقاه رهبان الدير المذكور . ورهبان دير السيدة برموس كالعادة وصلى فيه التاسعة ورفع البخور .. وخرج منه إلى دير سيدة برموس وصلى به صلاة الغروب .

(٣) ذكر القمص عبد المسيح صليب المسعودى فى كتابه « تحفة السائلين » ص ٥٨ أنه وجد فى كتاب سلامات العذراء والملائكة والرسل والشهداء والقديسين عبارة تقول ، السلام لك يا قديس الله أنبا موسى الذى أعطاك الله الكهنوت فاجتمع عندك نحو خمسمائة راهب بدير برموس .

ومن هذه الشواهد يتضح لنا أن دير برموس الذى عرف أيضاً بدير الأنبا موسى وتخرب أخيراً هو غير دير سيدة برموس الذى لا يزال عامراً .

▲ ▲ ▲

مساحة الدير وأشهر مبانيه

يعتبر هذا الدير ثانى أديرة وادى النطرون من حيث اتساعه فهو مشيد على رقعة منبسطة من الأرض لا تقل عن فدانين وربع الفدان تقوم على أجزاء منها عدة مبانى بعضها قديم والآخر حديث فى شىء من التنسيق الجميل .

والمعروف أن دير السيدة لم يكن على هذه المساحة حتى منتصف القرن الثامن عشر ولكن أدخلت عليه تعديلات بعد ذلك سنشير اليها فى حديث قادم .

أما أهم هذه المبانى فهى :

كنيسة السيدة العذراء الأثرية

تقع جنوبى الحصن الذى يطل عليها من مدخله . وتقدر مساحتها بما يزيد عن ألف متر ويرتبط وجودها بزمن إنشاء الدير على ما يرجح .

كنيسة السيدة العذراء الأثرية والمنارتان

وهى ذات هيكل متسع به ثلاث مذابح تعلوها قباب محكمة البناء. تمتاز الوسطى التى ترتفع فوق المذبح الرئيسى بحجمها الكبير وبما تزدان به من تجاويف فنية ذات أشكال هندسية بديعة .

وينقسم فناء الكنيسة المتسع إلى ثلاثة خوارس مرتفعة تنتهى بسقوف جمالونية تمثل الطراز القبطى الصميم ، ويفصل الخورس الأول عن الهيكل حجاب به صور زيتية بعضها قديم والآخر حديث وهى لأبونفر السائح ، وأثناسيوس الرسولى ، وكيرلس الخامس ، والأمير تادرس ، وبرسوم العريان ، والأنبا أنطونيوس ، والأنبا بولا ، وقد رسم الصورة الأولى ابراهيم الناسخ سنة ١٤٨٩ ش .

أما باب الهيكل الرئيسى الذى لا يقل ارتفاعه عن ستة أمتار فهو مصنوع من أربع عوارض متماسكة بمفصلات حديدية تكون مصراعين يفتحان عنـــد الحاجة ولكن هذه العوارض ثبتت فى مكانها أخيراً واكتفى الرهبان بفتح باب صغير فى وسطها لا يتسع إلا لشخص واحد .

كنيسة مار جرجس

ويدخل اليها عن طريق الخورس الغربى لكنيسة السيدة العذراء ويبلغ اتساعها خمسة أمتار مربعة ، وفى هيكلها جدار به صورة الشهيد الملطى رسمها سمعان الناسخ سنة ١١٩٣ ش على نفقة المعلم دميان الياس . كما توجد بشرقيتها أيقونة زيتية تمثل قيامة الفادى .

كنيسة الأمير تادرس

ويشرف بابها على الخورس الثانى من كنيسة العذراء الأثرية عند مدخلها البحرى ولا يزيد اتساعها عن ثلاثة أمتار طولا فى مثل هذا العدد عرضاً .

كنيسة الأبوين أبيب وأبللو

فى سنة ١٧٧٣ م قام السعيد الذكر والخالد الأثر المعلم ابراهيم الجوهرى أمير

كتاب البلاد بعمارة كبيرة فى دير سيدة برموس فرمم كنائسه وأسواره وضم إلى بنيانه من الجهة القبلية رقعة واسعة طولها من الشرق إلى الغرب مائة متر وعرضها من الشمال إلى الجنوب أربعة وعشرون متراً ، وكان المشرف على هذه العملية الواسعة من قِبَل الأرخن الجليل الأنبا يوساب أسقف كرسى أورشليم يعاونه القمص منقريوس رئيس دير السريان .

وفى أثناء وجود الأسقف بالدير طلب منه الرهبان المعاصرون أن يبنى لهم كنيسة برسم الأنبا أبيب والأنبا أبللو فعمل الأنبا يوساب على تحقيق مطالبهم ، وبنى البيعة وقام بتكريسها فى الأحد الثالث من الصوم المقدس سنة ١٤٨٩ ش ، وقد ظل الآباء يقومون فيها بتأدية الشعائر حتى تصدعت وأصبحت خطراً على داخليها فأوصدوا أبوابها سنة ١٥٩٧ ش .

ويفهم من كتاب « وادى النطرون وأديرته » ص ١٧٢ ، ١٧٣ أنه فى أثناء هذه العمارة قام أسقف القيامة أيضاً بترميم الحصن القديم وبنى فى أعلاه كنيسة باسم الملاك ميخائيل .

والواقع أن الجوهرى لم يبن هذه الكنيسة بل قام بتجديدها واصلاحها أما تاريخ وجودها فيرتبط غالباً بزمن بناء الحصن .

كنيسة مار يوحنا المعمدان القديمة

كانت قائمة بجوار كنيسة أبيب وأبللو ثم هدمت أخيراً . ويؤخذ من سنكسار اليوم الثانى من شهر بؤونة أن رفات هذا الشهيد الصابغ نقلت من فلسطين إلى شهيت ودفنت بدير القديس مكاريوس مع جسدى اليشع النبى ومكاريوس أسقف أدكو.

كنيسة المعمدان الجديدة

ظلت كنيستا أبيب وأبللو ، ويوحنا المعمدان لا يقربهما أحد بعد أن تصدعتا حتى جلس على كرسى الحبرية البابا كيرلس الخامس فى أول نوفمبر سنة ١٨٧٤ م

فهدم هاتين الكنيستين المتجاورتين وبنى على أنقاضهما سنة ١٨٨٤ م كنيسة جميلة باسم القديس يوحنا المعمدان .

وقد أفلح المشرفون على تصميم هذه الكنيسة فجعلوا منها بيعة بديعة الرسم حسنة العمارة ذات قباب دقيقة الاستدارة ترتكز على أعمدة ضخمة منيعة . كما يقوم فى هيكلها ثلاثة مذابح تحت قباب مرتفعة تعلو أكبرها المذبح الرئيسى فتزيده جلالا وروعة .

ويفصل الهيكل عن الخورس الأمامى حجاب به ثلاثة أبواب صنع سنة ١٩١١ على نفقة الأنبا يوأنس مطران البحيرة الذى تولى البابوية فيما بعد باسم يوأنس التاسع عشر . وهو محلى بأيقونات زيتية حديثة ولكنها متقنة جميلة .

الحصن فى دير السيدة

أما الحصن المعروف عند الرهبان بالقصر القديم فهو لا يختلف عن غيره من بقية الأديرة ، ويعلو بابه عن الأرض بمقدار ستة أمتار ، وهى مسافة قد تتفاوت فى الأديرة الأخرى ، ومن باب الحصن يمتد عادة ممر خشبى متحرك يرتكز فى نهايته على بناء مقابل ، وعند الخطر يرفع الممر من داخل الحصن بسلاسل حديدية حتى يقوم عمودياً أمام الباب فيتعذر على المغيرين اقتحامه . وفى أعلى الحصن كنيسة الملاك وقد سبقت الإشارة إليها .

جرن المعمودية

كان الرهبان فى عصورهم الأولى يقومون برسالة تبشيرية على نطاق واسع بين الوثنيين فى مختلف بلاد القطر حتى أن مكاريوس المصرى عند نفيه إلى أعالى الصعيد استطاع أن يأتى بالكثيرين من الوثنيين إلى حظيرة المسيح ، وهكذا فعل بخوميوس وشنوده فى القرى المجاورة لأديرتهما .

أما فى وادى النطرون فقد بدأ مكاريوس الكبير رسالته التبشيرية بالقديس موسى الأسود الذى اعتمد على يديه بعد أن استنار عقله بمعرفة المسيح . وربما قصد غيره شيهيت لهذا الغرض واعتمد باسم الرب يسوع بعيداً عن مضايقة الحكام من ذوى النزعات المختلفة .

ولا يزال الدير الذى نحن بصدده يحتفظ بجرنين للمعمودية يصلحان للصغار والبالغين .

الرفات المقدسة

يحتفظ دير السيدة برفات اثنين من مشاهير الرهبنة الأوائل هما الأنبا موسى الأسود والقس ايسيذوروس .

وقد كان الأول عبداً لرجل من عبدة الشمس ثم أبق منه وانحاز إلى عصابة من قطاع الطرق وأخذ يرتكب معهم كل أنواع المعاصى . ولما استيقظ ضميره توجه إلى الشمس يسألها الهداية إن كانت إلهاً ؟ ! فسمع من يقول له ، إن رهبان وادى النطرون يعرفون الله ، فبادر الرجل بالذهاب إليهم وهناك التقى بالقس ايسيذوروس فأتى به إلى القديس مكاريوس الذى عندما رأى منه ندامة تامة لقنه الإيمان المسيحى ثم عاد فصبغه بالمعمودية المقدسة وصرفه ليتعبد فى البرية . فأتى إلى مغارة القديسين مكسيموس ودوماديوس وأقام بها فى نسك وعبادة ، حتى غدا قوياً فى روحانيته كما كان شديداً فى بأسه وبطشه . فلما وقف البابا ثاوفيلوس على سيرته المثالية رسمه كاهناً فاجتمع حوله جمهور من الاخوة كانوا يهتدون بهديه ويسلكون بموجب تعاليمه . ولما أكمل جهاده الحسن استشهد سنة ٤٠٧م على أيدى البربر لدى عودته من زيارة القديس مكاريوس ومعه سبعة اخوة بعد أن رفض الهرب وهو يقول من قتل بالسيف فبالسيف يقتل (مت ٢٦ : ٥٢) وتعيد الكنيسة لذكراهم فى الرابع والعشرين من شهر بؤونه .

مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

هذا ولم يكن الأنبا موسى حبشياً أو نوبياً ، وإنما سمى بذلك لسواد لونه فقط !

أما الآخر فهو ايسيذوروس كاهن القلالى الذى استقبل موسى الأسود عند مجيئه إلى البرية المقدسة .

وتقول بعض المصادر الرهبانية التى وضعها الأجانب أن هذا الراهب رافق البابا أثناسيوس فى ذهابه إلى روما سنة ٣٤٠ م ونال منه رتبة القسيسية إثر عودته إلى البلاد كما يذكر بعضهم أنه كان فى الاسكندرية سنة ٣٦٣ م يرأس نزلا كبيراً لضيافة الغرباء جعل منه جناحاً لمعالجة المرضى .

ومع أنه كان يحمل لواء الحركة الأوريجانية بين الرهبان إلا أنه استطاع بسياسته أن يظفر بثقة البابا ثاوفيلوس المعروف بعدائه لمعتنق هذه المبادىء فأوفده إلى روما سنة ٣٨٨م لمقابلة الامبراطور ثيؤدوسيوس الأول، وإلى فلسطين سنة ٣٩٦ م ليصلح بين القس روفينوس الأكويلى ويوحنا أسقف أورشليم ، كما قام بنفس هذه المهمة مع أبيفانيوس أسقف قبرص وايرونيموس مفسر الكتب الذى تحـــدث عنه فى مذكراته التى وضعها وهكذا أشار إليه بلاديوس أثناء وجوده بين رهبان الاسقيط وبعد أن أكمل جهاده رقد فى الرب سنة ٤٠٣ م وهو فى الخامسة والثمانين .

وايسيذوروس هذا هو غير ايسيذوروس الفرمى الذى كان يمت بصلة القرابة إلى الباباوين ثاوفيلوس وكيرلس ، وترك أكثر من ألفى رسالة باللغة اليونانية الفصحى، وكان يرتبط مع القديس يوحنا فم الذهب بصداقة قوية وتوفى فى ٤ فبراير سنة ٤٤٥ م .

هذا وقد كان جسدا القديسين موسى وايسيذوروس محفوظين بدير برموس ، فلما تخرب انتقل بهما الرهبان إلى دير سيدة برموس وهما باقيان إلى اليوم يحوطهما الإجلال وتسربلهما الكرامة فى مقصورة جميلة من الخشب المطعم صنعت على نفقة الأنبا بنيامين مطران المنوفية سنة ١٩٥٧ م الذى كان لا يفتر عن زيارتهما إلى أن تنيح فى ١١ نوفمبر سنة ١٩٦٣

حدائق الدير والمياه الصالحة للشرب

يمتاز دير السيدة بحدائقه الغناء التى تعمل على تحسين منظره وتلطيف جوه صيفاً وشتاء ، فيرى الداخل إليه الكروم الباسقة تتدلى منها قطوف ذات مذاق شهى ورائحة ذكية . كما تتخلل هذه الحدائق أشجار النخيل المرتفعة وغروس أخرى من البرتقال والجوافة والرمان والزيتون والخروب واليوسفى والليمون ، علاوة على الخضروات بمعظم أنواعها مما يوفر لاصحابها نوعاً من الإكتفاء الذاتى .

وكان الرهبان قبل القرن العشرين يشربون ويروون الحدائق من بئر بداخل

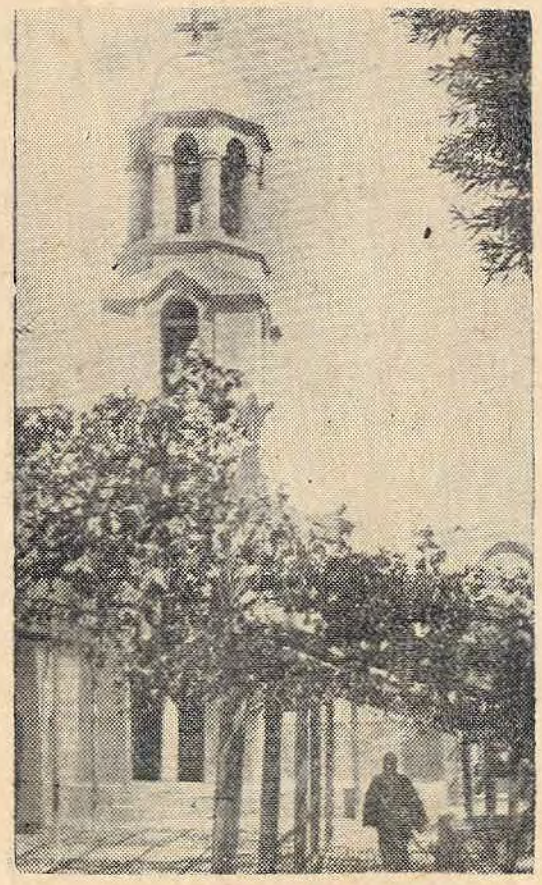

الكروم الباسقة
والمنارة الشاهقة
فى دير السيدة

الدير يميل طعمها إلى الملوحة فعمل الأنبا يوأنس مطران البحيرة على إصلاحها سنة ١٩٠٢ عن طريق خبير فى المياه الجوفية فوضع فى قاعها ماسورة غاص بها إلى عدة أمتار فتحسن ماؤها قليلا، وإذ لم تأت بالأمر المطلوب عدل عنها ودق فى الحديقة البحرية سنة ١٩١٤ طولمبة إرتوازية ظلت قائمة إلى أن صار بطريركا فاستبدلها سنة ١٩٣١ م بماكينة تصلح للرى والإنارة وطحن الغلال وذلك فى رئاسة القمص برنابا الباقورى الذى أشرف على تركيبها وإعدادها للعمل . ولما وقف البابا على منافعها العظيمة وسهولة استعمالها أمر بتعميمها فى الأديرة الأخرى .

وفى سنة ١٩٥٦ رفع الأنبا مكاريوس أسقف الدير هذه الماكينة من الأرض وكانت قد استهلكت وجاء بأخرى أكثر إنتاجاً وقوة .

المكتبة

يمتلك دير سيدة برموس مكتبة ثمينة بها آلاف المصاحف ما بين مخطوط ومطبوع أشار إليها كثيرون مما يهتمون بنفائس الكتب .

ويعود الفضل فى تنسيق هذه المكتبة وتزويدها بالمؤلفات الحديثة إلى الأب العالم الجليل القمص عبد المسيح صليب المسعودى + ١٩٣٥ الذى أسدى مثل هذه الخدمة أيضاً لمكتبة الدار البطريركية ومكتبات الأديرة الأخرى .

وكان آخر إحصاء للمكتبة البرموسية هو الذى قام به سنة ١٩٦٠ القمص أنطونيوس البرموسى الذى رسم فيما بعد أسقفاً على كرسى المنوفية باسم الأنبا ديسقوروس . ويفهم من الجداول التى وضعها بأنواع الكتب المختلفة ونشرها فى مؤلفه الخاص بدير سيدة برموس أن عددها يزيد عن أربعة آلاف مجلد منها العربية والقبطية واليونانية والحبشية والسريانية والعبرية والانجليزية والفرنسية والتركية .

وجاء فى الجزء الثانى من دليل المتحف القبطى أن هذه الكتب يرجع تاريخ أقدمها إلى سنة ١٠٩٦ ش كما أشار الأمير عمر طوسون فى مؤلفه : وادى النطرون

وأديرته ص ١٧٦ إلى كتاب تفسير المزامير لأثناسيوس الرسولى الذى تمت نساخته يوم الأربعاء ١٦ برمهات سنة ١١٠٧ ش

القصر والمنارتان والقلالى

اهتم البابا يوأنس التاسع عشر فى سنى حبريته الطويلة التى قضاها بين المطرانية والبطريركية بإصلاح الأديرة القبطية عامة ودير سيدة برموس خاصة ، حتى غدا بتشجيعه المتواصل روضة جميلة فى قلب الصحراء .

فعلاوة على الجهود الجبارة التى بذلها لإخراج الماء العذب فإنه شيد على نفقته فى الدير سنة ١٩١١ قصراً منيفاً من طابقين بين الحدائق يبعد بأمتار قلائل عن كنيسة يوحنا المعمدان ، وجهزه بالأثاث الفاخر والفرش الوثير ، كما أمده بالماء والإنارة فغدا لائقاً باستقبال الزائرين من عظماء الرجال .

المنارتان فى دير سيدة برموس

ولحبه المفرط لديره فقد حث بعض المطارنة المتخرجين منه على المساهمة فى مشروعاته فقام الأنبا توماس مطران المنيا والأشمونين سنة ١٩٢٠ م ببناء منارتين من الطراز البيزنطى الذى ينتهى بقباب محكمة ترتكز على أعمدة مستديرة . وجعل فى المنارتين اللتين تكبر إحداهما عن الأخرى ناقوسين صنع أحدهما فى موسكو

وكتب عليه بالروسية أسماء الانجيليين الأربعة ، وربما كان ذلك فى العهد السابق لحكم البلاشفة .

هذا وفى الدير مجموعة من القلالى الصحية التى تلاصق الأسوار وتشرف على الحدائق ويسكن الراهب عادة فى غرفتين متداخلتين ، يعد الواحدة لاستقبال زائريه وجلوسه والأخرى لصلاته ونومه .

بطاركة من دير السيدة

أنجب هذا الدير ستة من البابلوات الذين خدموا كنيسة الاسكندرية فى عصور مختلفة هم :

البابا اخريستوذولوس

ترهب أولا فى دير سيدة برموس كما أفاد الأرخن المعاصر يوأنس بن مفرج ثم نزح منه إلى صومعة سنجار باقليم نستراوه ، وأقام بها حتى أنتخب بطريركا فى ١١ ديسمبر سنة ١٠٤٦ م باسم البابا أخريستوذولوس فنقل المقر البطريركى من الأسكندرية إلى القاهرة ، واهتم بتشييد الكنائس وترميم ما تهدم منها ، وخاصة فى رشيد ودمنهور وبلاد أخرى من الوجه البحرى ، ونظراً لمشاريعه العمرانية الكثيرة فقد اضطر أن يكون سيمونياً فكان يقول للأسقف عند الرسامة . إن هذه الكراسى لمار مرقس الانجيلى والكرسى الذى سأقيمك عليه أسقفاً يكون نصفه لمار مرقس والنصف الآخر لك فأقرضنى كذا عن النصف الذى له وخذ إيراد الكرسى إلى أن تستوفى قرضك . وعليك فيما بعد أن تحمل الينا النصف الذى يخصنا مهما حدث فى الكرسى .

وقد تعرض هذا البطريرك لمضايقة الأساقفة كما اضطهده الحكام طمعاً فى أمواله الخاصة وتوفى فى ٤ كيهك سنة ٧٩٤ ش .

البابا يوحنا الرابع عشر

وهو المعروف بالمنفلوطى ، وقد تولى البطريركية فى ١٧ أبريل سنة ١٥٧١ م

وفى أيامه أصدر الوالى أمراً بأن يلبس النصارى العمائم السوداء ، وأن يكون الطرطور غطاءاً لرأس اليهودى . وقد توفى هذا البابا فى ٦ سبتمبر سنة ١٥٨٦ م ببلدة النحارية وهو فى طريقه إلى القاهرة قادماً من الأسكندرية ، ودفن فى برما ثم نقل جثمانه فيما بعد إلى دير السريان .

البابا متاؤس

ولد فى مير وصار راهباً وكاهناً ورئيساً لديره باسم القمص جرجس ، واختير رئيساً للأحبار فى ٦ ديسمبر سنة ١٦٦٠ م ، وعلى إثر جلوسه شب حريق فى كنائس زويلة فانتقل بالكرسى إلى حارة الروم . وقد أسيئت معاملته من الولاة العثمانيين كما شهد بذلك الراهب فانسليب الدومنيكى الذى زار مصر فى أيامه وكتب سجلا حافلا بمشاهداته .

البابا كيرلس الخامس

ولد فى تزمنت من أعمال بنى سويف ونزح مع أبويه صغيراً إلى كفر الصعيدى بالشرقية ثم ترهب سنة ١٨٥١ م ، ورسم كاهناً بعد ذلك بعام واحد ، ولما خلا الكرسى الأسكندرى اختير بطريركا فى أول نوفمبر سنة ١٨٧٤ م ، وقد اصطدم أثناء رئاسته بأراخنة الأمة لدفاعه عن أوقاف الأديرة فاستصدروا أمراً بنفيه إلى ديره فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٩٢ م ، ثم أعيد مكرماً فى ٣٠ يناير سنة ١٨٩٣ م ، ولما استقامت الأحوال بين يديه انصرف نحو الأعمال الإصلاحية فبنى كثيراً من الكنائس والمدارس ، ورمم البيع القديمة وشرطن أربعة وأربعين أسقفاً ، وبعد حياة نسكية وأعمال مجيدة لبى دعوة ربه فى ٧ أغسطس سنة ١٩٢٧ م .

البابا يوأنس التاسع عشر

نشأ فى دير تاسا من أعمال البدارى وترهب سنة ١٨٧٦ م باسم يوحنا ، وبعد أن رسم كاهناً عين رئيساً لديره سنة ١٨٧٨ م ، ثم مطراناً للبحيرة سنة ١٨٨٧ م

ولما تنيح مطران المنوفية ضمت اليه بلاده سنة ١٨٩٤م فصار يعرف بمطران البحيرة والمنوفية ووكيل الكرازة المرقسية ، فأخذ يخدم بنشاط فى حقله المتسع حتى خلا كرسى البطريركية فجلس عليه بإجماع الآراء فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٨ م فجعل باكورة أعماله افتتاح مدرسة الرهبان اللاهوتية بحلوان ، وملء الكراسى الأسقفية الشاغرة وافتقاد رعاياه فى الامبراطورية الأثيوبية، كما صنع الميرون المقدس فى الصوم الأربعينى من عامى ١٩٣٠ ، ١٩٣١ م ولما أكمل رسالته المجيدة التى توجها بإحسانه المتواصل انتقل إلى رحمة ربه فى ٢١ يونيو سنة ١٩٤٢ م .

البابا كيرلس السادس

ترهب سنة ١٩٢٧م باسم الراهب مينا وبعد أن رسم كاهناً اعتكف على النسك والعبادة فى بعض الأماكن النائية إلى أن استقر به المقام أخيراً فى جنوبى مصر القديمة حيث أنشأ هناك كنيسة فسيحة باسم شفيعه العظيم الشهيد مار مينا . وفى سنة ١٩٤٤م انتدبه الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف لرئاسة ديرالأنبا صموئيل بجبل القلمون فأسدى اليه خدمات جزيلة عاد بعدها إلى القاهرة .

ولما خلا المنصب البطريركى رشح من كثيرين لهذه الرتبة الرفيعة ففاز بها عن طريق القرعة الهيكلية ، ورسم باحتفال عظيم يوم الأحد ١٠ مايو سنة ١٩٥٩ م فأظهر نشاطاً عظيماً فى زيارة رعاياه بالأقاليم المصرية والبلاد الاثيوبية ، ولا زال يواصل أعماله الإصلاحية أطال الله حياته .

خريجو هذا الدير من المطارنة

لم نتعرف على أحد من الرهبان البرموسيين القدماء الذين ارتقوا إلى المناصب الأسقفية لأن الوثائق البطريركية قد خلت من الإشارة اليهم . أما الأشخاص الذين وصلت أسماؤهم الينا فقد وجدوا ابتداء من الربع الأخير من القرن التاسع عشر وهاك بياناً عنهم مع تحديد الكراسى التى شرطنوا عليها :

الأنبا ساويروس الأول أسقف صنبو وقسقام ١٨٧٥ - ١٨٧٩ م
« ساويروس الثانى أسقف صنبو وقسقام ١٩٠١ - ١٩٢٥ م
« توماس مطران المنيا والاشمونين ١٩٠٥ - ١٩٢٨ م
« لوكاس مطران قنا وقوص ١٩٠٣ - ١٩٣٠ م
« أثناسيوس مطران بنى سويف والبهنسا ١٩٢٥ - ١٩٦٢ م
« ميخائيل مطران أبو تيج وطهطا ١٩٢٥ - ١٩٣٤ م
« توماس مطران البحيرة والغربية ١٩٣٠ - ١٩٥٥ م
« بنيامين مطران المنوفية ١٩٥٠ - ١٩٦٣ م

أما المطارنة الأحياء فهم

الأنبا ساويروس أسقف المنيا والاشمونين رسم فى جمعة ختام الصوم ١١ أبريل سنة ١٩٣٠ م
الأنبا مرقس مطران أبو تيج وطهطا رسم يوم الأربعاء ٢٨ مارس سنة ١٩٣٤
« إيساك مطران البحيرة والغربية رسم يوم الأحد ١٣ سبتمبر سنة ١٩٥٩
« لوكاس أسقف منفلوط وأبنوب رسم يوم الاحد ٢٠ فبراير سنة ١٩٦٥
« مكاريوس أسقف قنا وقوص رسم يوم الاحد ١٩ سبتمبر سنة ١٩٦٥
« ديسقوروس أسقف المنوفية رسم يوم الاحد ١٩ سبتمبر سنة ١٩٦٥

رؤساء الدير

لم يكن دير سيدة برموس من الأهمية فى شىء منذ أواخر القرن السابع عشر حتى منتصف القرن التاسع عشر فقد كاد فى هذه الفترة أن يكون مهجوراً إذ لم يزد عدد ساكنيه عن راهب أو اثنين ، وقلما وصل تعداده إلى أكثر من سبعة أشخاص ثم أخذ يزدهر برهبانه ويتبوأ فى الكنيسة منزلة مرموقة بعد رهبنة القمص يوحنا

الناسخ الذى تولى البطريركية باسم كيرلس الخامس، وهاك موجزاً عن أسماء الرؤساء الذين توصلنا إلى معرفتهم .

القمص جرجس

كان رئيساً للدير فى منتصف القرن السابع عشر ، ورشحه الأحبار وأراخنة الشعب للكرسى البطريركى ففاز به ورسم باسم البابا متاؤس الرابع فى ١٦ ديسمبر سنة ١٦٦٠ م .

القمص عبد المسيح

كان رئيساً على ستة رهبان قرب منتصف القرن التاسع عشر مع رجل علمانى، يقال له ابراهيم فطرد خمسة منهم وأبقى العلمانى مع الراهب عوض البرهيمى الضرير ، وبعد مدة رحل ابراهيم إلى دير السريان ليقيم مع أخيه غالى الذى كان يعيش بين الرهبان وبقى الراهب عوض بمفرده أكثر من ثلاث سنوات : « تحفة السائلين » صفحة ٦٦

القمص حنا

بعد نياحة الرئيس السابق بمدينة دمنهور استدعى الراهب عوض القس يوحنا الذى كان مبعداً من الدير ، ورسمه قصاً وعينه رئيساً فعمل على جمع زملائه المطرودين ، ورهب عدداً آخر كان من بينهم البابا كيرلس الخامس فازدهر الدير على أيامه ، ونزح اليه عدد من رهبان الدير المحرق وعلى رأسهم القمص عبد المسيح جرجس المسعودى ، والقمص بولس الدلجاوى وهو الأنبا ابرآم أسقف الجيزة والفيوم ١٨٨١ - ١٩١٤ م .

القمص ميساك

ترهب فى الدير المحرق ، ولجأ إلى دير سيدة برموس مع القمص عبد المسيح المسعودى وبعد ترقية الرئيس السابق إلى أسقفية صنبو وديروط باسم الأنبا ساويروس

سنة ١٥٩١ ش عينه البابا كيرلس رئيساً ثم عاد فرسمه أسقفاً على منفلوط وأبنوب سنة ١٥٩٤ ش باسم الأنبا بطرس .

هذا وقد كان الرهبان البرموسيين قد رفضوا من قبل طلباً للعلم ابراهيم الجوهرى يقضى بتعيين الراهب بقطر الأنطونى رئيساً عليهم : « وادى النطرون وأديرته » ص ١٧٧ - ١٧٨

القمص يوحنا

تولى الرئاسة سنة ١٨٧٨ م ، ورسم أسقفاً على البحيرة سنة ١٨٨٧ م وأعطى كرسى المنوفية مع لقب وكيل الكرازة سنة ١٨٩٤م وكرس بطريركا فى ١٦ ديسمبر سنة ١٩٢٨ م وقد مرت ترجمته مع الباباوات .

القمص باخوم الدويرى

خلف القمص حنا فى منصبه ورافق البابا كيرلس فى رحلته إلى بلاد الصعيد ، ولما وصل صدفا استأذنه فى زيارة الدوير فتوفى على إثر وصوله فى ١٤ مارس سنة ١٨٩٦م ، ودفن فى مسقط رأسه .

القمص مينا

تولى الرئاسة بعد نياحة سلفه ورتم فى ١٢ طوبة ١٦١٧ أسقفاً على صنبو وقسقام باسم الأنبا ساويروس، وفى عهده رقى البابا القس افرآم البرموسى أسقفاً على الدير باسم الأنبا إيسيذورس فى ١٧ أكتوبر سنة ١٨٩٧ ثم جرد من منصبه ورتبته الكهنوتية بعد ثلاثة أشهر فقط وتنيح فى ١٩ يناير سنة ١٩٤٢ م .

القمص حنانيا

كان وكيلا لبطريركية الأسكندرية ثم عين رئيساً فى ٢٩ يناير سنة ١٩٠١ وأعفى من منصبه فى ١٠ أكتوبر ١٩١٧ فلزم الإقامة بالدير وأخذ ينسخ الكتب بالعربية والقبطية إلى أن تنيح فى ١٧ ديسمبر ١٩٢٩ م .

القمص مينا المحلاوى

استدعى للرئاسة فى ١١ أكتوبر سنة ١٩١٧م بينما كان يعمل وكيلا لبطريركية الأسكندرية ، وقد قام بطبع الأبصلمودية السنوية قبطياً وعربياً وتوفى فى ٧ نوفمبر سنة ١٩٢٥ على إثر عملية جراحية .

القمص صرابمون

عين رئيساً للدير فى ٩ نوفمبر سنة ١٩٢٥ بتزكية الأنبا يوأنس وكيل الكرازة المرقسية ثم عزله فى١٣ يوليو سنة١٩٣٠ بعد أن تولى البطريركية فأقام عند شقيقته فى بنها واشترى لها أرضاً فى القناطر الخيرية بنى عليها منزلين وهب الواحد لشقيقته وأعطى الآخر لديره ، ولما حضرته الوفاة فى ٧ ديسمبر سنة ١٩٣٥ أوصاها ببناء كنيسة من ماله باسم السيدة العذراء على الأرض الفضاء المجاورة لمنزل الدير فقامت بعد نياحته بتنفيذ الوصية .

القمص متى الدوينى

خلف القمص صرابمون فى منصبه ، ثم رسم أسقفاً على البحيرة والغربية فى ٥ أكتوبر سنة ١٩٣٠ وتنيح يوم السبت ٢٤ مارس سنة ١٩٥٦

القمص برنابا الباقورى

كان أميناً للقصر البطريركى وأعطيت له الرئاسة فى ١١ أكتوبر سنة ١٩٣٠ فأخذ يخدم الدير بإخلاص وأمانة حتى أقيل من منصبه فى ٩ مارس سنة ١٩٤٨ فلجأ إلى بطريركية الأسكندرية ، وأقام يخدم فى كنائسها حتى أرغم على مغادرتها فى أواخر صيف سنة ١٩٦٠ فآوته شقيقته بكفر الدوار ، وتنيح بمنزلها فى ١٣ مارس سنة ١٩٦٣ عن تسعة وتسعين عاماً فتطوع لنقل جثمانه إلى الدير الأنبا بنيامين مطران المنوفية فاحتفى الرهبان بتجنيزه بين مظاهر الحزن والخشوع ، وكان رحمه الله يجيد التحدث بالقبطية ، ويتقن الكتابة بالكرشونية ، كما طبع معظم الكتب الطقسية الهامة .

القمص برنابا الباقورى رئيس دير سيدة برموس الأسبق وقد وقف عن يساره القمص جاورجى † ١٩٤٠ والقمص ميخائيل البرلاوى † ١٩٥٥ ، ومن يمينه القمص فيلبس رئيس الدير السابق الذى لا يزال حياً والقمس فانس البابلاوى † ١٩٥٦

الأنبا مكاريوس

وهو القمص أرمانيوس البلوطى ، وكان يعمل كاهناً فى الأسكندرية إلى أن عين فى الرئاسة خلفاً لسلفه ، وقد رسمه البابا يوساب الثانى أسقفاً على الدير فى ٢٣ يناير سنة ١٩٤٩ فأخذ يقوم بأعباء وظيفته حتى أرهقته المتاعب فساءت صحته ، وتوفى بمستشفى طنطا فى ٥ يناير سنة ١٩٦٠ ونقل جثمانه إلى الدير فى نفس اليوم حيث جرى تجنيزه ودفنه .

القمص فيلبس

ولد فى قرية ميت يعيش ـ دقهلية وبعد ترهبه عين أميناً للدير أكثر من مرة ، ولما خلا منصب الرئاسة بنياحة الأنبا مكاريوس عينه البابا كيرلس السادس خلفاً له ولكنه استقال فى ١٩ أغسطس سنة ١٩٦٥ م لسوء اقتصاديات الدير وعدم استقرار الرهبان ، وكان فى عمله لا يميز بين راهب وآخر ويتحلى بصفات حميدة .

القمص أخنوخ

كان وكيلا لمطرانية المنيا والأشمونين واستدعاه الرهبان للرئاسة بعد استقالة القمص فيلبس وهو لا يزال يواصل أعماله ويسير بالدير من حسن إلى أحسن .

مكتبة دير السيدة العذراء المحرق

دير السيدة العذراء بالمحرق

يقع هذا الدير فى سفح جبل قسقام بين الحوض الزراعى والصحراء الغربية . وقوص قام وقوس قام وقزقام وقسقام أسماء لمدينة القوصية التى ينسب إليها الجبل الواقع غربى منها .

وقد كانت هذه المدينة مركزاً أسقفياً منذ القرون الأولى ، وجاء اسم أسقفها فى قائمة الأساقفة الذين ناصروا ميليتس[1] مطران أسيوط فى موقفه العدائى من باباوات الاسكندرية . ولما تخلفت عن مصاف المدن الكبرى لما أصابها من حريق وتدمير انتقل الكرسى منها إلى صنبو ولكن نظراً لبعدها عن الخط الحديدى الذى يربط شمال البلاد بجنوبها استقر المقام به فى ديروط ، إلا أنه لا يزال محتفظاً بالطابع القديم فى المكاتبات الرسمية فيعرف بكرسى ديروط وصنبو وقسقام إلى هذا اليوم .

ويقول مرقس سميكه باشا فى الجزء الثانى من دليل المتحف القبطى ص ١٢٤ نقلا عن كتاب الشيخ أبو المكارم المنسوب خطأ إلى أبى صالح الأرمنى أن قوس قام تعنى فى القبطية « كفن الحلفاء » لأن فقراء تلك الجهة كانوا يكفنون موتاهم بالحلفاء . ا هـ .

أما تسميته بالدير المحرق فترجع غالباً لوجوده فى حوض زراعى يشكو دائماً من التحاريق لنضوب مياه الفيضان منه قبل الأحواض الأخرى .

زمن تأسيس الدير

إن المصادر التاريخية التى تحدثت عن دير السيدة العذراء بالمحرق تكاد أن تكون قليلة جداً إذا قيست بما كتب عن الأديرة الأخرى ، لهذا كان من المتعذر علينا تحديد الزمن الذى وجد فيه ، أو معرفة الشخص الذى قام بتأسيسه . فذكر الشماس[2] منسى يوحنا فى كتابه تاريخ الكنيسة ص ١٨٦ أن البابا ثاوفيلوس

(١) مجموعة مونيه ص ٢

(٢) هو القس منسى يوحنا راعى كنيسة ملوى

عندما عثر على الكنز الذى اقتسمه مع الامبراطور ثيؤدوسيوس فى البستان الذى كان يملكه البابا أثناسيوس أنشأ بنصيبه « كنيسة فى جانب البستان وكنائس جمة على اسم السيدة العذراء والملاك روفائيل فى جهات مختلفة بالاسكندرية ثم شاد جملة أديرة منها الدير المحرق » .

ويقول أيضاً سميكه باشا فى نفس الصفحة من المصدر المشار إليه آنفاً أن هذا الدير أنشىء فى زمن الأنبا بخوميوس أب الشركة فى أوائل القرن الرابع للميلاد .

وعلى ضوء هذين الرأيين نستطيع أن نرجح إن لم نجزم بأن هذا الدير وجد فى المرحلة الأولى من تاريخ الرهبنة كما أن تسميته بدير السيدة العذراء قد تأتى دليلا على قيامه فى وقت واحد مع أديرة وادى النطرون وغيرها من المؤسسات الرهبانية التى حملت هذه التسمية الكريمة . وهو الوقت الذى رأت فيه الكنيسة أن تعمم لقب والدة الإله فى دوائرها الدينية والأدبية رداً على نسطور البطريرك المبتدع وأتباعه الذين حاولوا تجريد القديسة مريم من أمومتها للإله المتأنس الذى ولد منها .

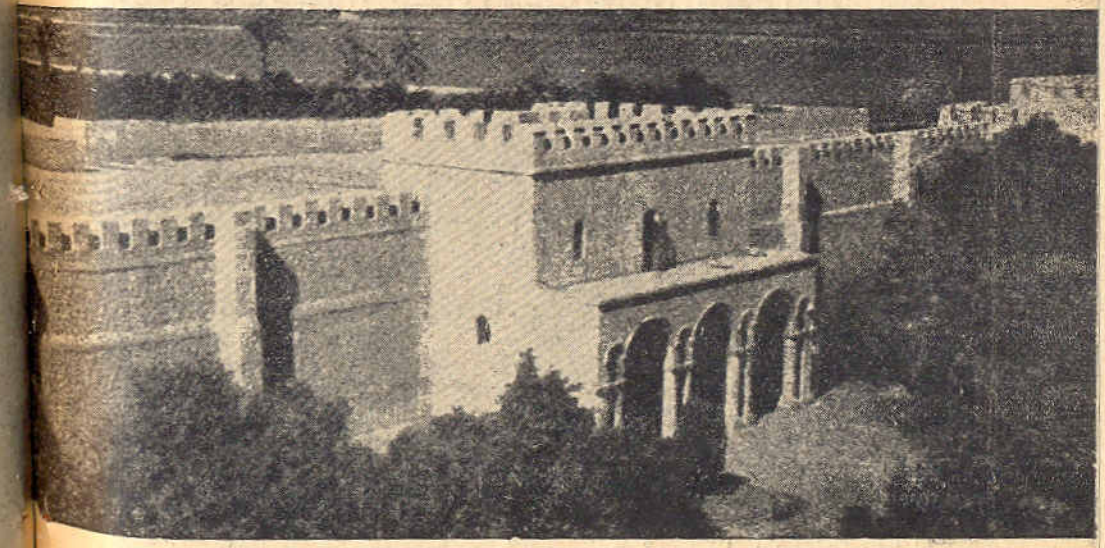

دير المحرق

مساحة الدير ومبانيه الشهيرة

كتب اثنان عن هذا الدير فى القرن العشرين واختلف كلاهما فى مساحته . فيرى القمص عبد المسيح واصف فى كتابه « بلوغ المرام فى تاريخ خليفة الأنبا ابرام » أنها تقدر بإثنى عشر فداناً بينما يرى القمص عبد المسيح صليب المسعودى فى مؤلفه « تحفة السائلين » أنها لا تزيد عن تسعة أفدنة وبين اختلاف القولين رقعة واسعة تقوم على أقل منها أكبر أديرة وادى النطرون ! ومع أن المسعودى مشهور بالدقة والتحفظ كتابة وقولا إلا أننا نرجح على تحديده رواية القمص عبد المسيح واصف وهو الأنبا لوكاس مطران منفلوط + ١٩٦٥ بصفته من أبناء الدير المثقفين ويعرف عنه أكثر من أى انسان يراه فى زيارة عابرة .

أما المبانى التى تشغل رقعته فبعضها قديم والآخر حديث وأهمها ما يأتى :

كنيسة السيدة العذراء الأثرية

وهى أقدم كنائس الدير وأشهر كنائس الوجه القبلى التى ترتبط بزيارة العائلة المقدسة للبلاد المصرية ، وعدا ذلك فليس بها ما يستحق الذكر سوى أن مذبحها الذى بنى فى وقت مبكر من دخول المسيحية إلى وادى النيل كان متمماً لقوله تعالى على لسان اشعياء : « فى ذلك اليوم يكون مذبح للرب فى وسط أرض مصر » (اش ١٩ : ١٩)

وقد أراد البعض أن يجعلوا من الهيكل الذى بناه أونياس الكاهن اليهودى بين المطرية وشبين القناطر سنة ١٦٢ ق.م مفسراً لهذه العبارة فخانهم التوفيق لأن موقعه لم يتوسط البلاد كما أنه كان قاصراً على الجالية الاسرائيلية التى لجأت إلى مصر فراراً من بطش أنطيوخس ولم يرتبط به المصريون الذين ظلوا على وثنيتهم حتى عرفوا المسيحية بعد بناء هذا المعبد الموسوى بما يقرب من قرنين، وبنوا الكنائس فى طول البلاد وعرضها فأعطوا بإيمانهم تفسيراً دقيقاً لكل ما يتعلق بهذه النبوة .

كنيسة السيدة العذراء الجديدة

تقع جنوبى البيعة الأثرية التى سبق الكلام عنها ، وليس بها ما يميزها عن بقية الكنائس الحديثة التى نراها فى مختلف بلاد القطر سوى وجودها فى هذه البقعة المقدسة التى شرفها الرب بالإقامة ، كما أجمعت كل التقاليد المسلم بصحتها من جميع الكنائس .

كنيسة القديس تكلا هيمانوت

وقد بنيت فوق كنيسة السيدة العذراء الأثرية باسم تكلا هيمانوت مؤسس الرهبنة الحبشية وشفيع أثيوبيا العظيم ، الذى يصعد مؤرخو الأحباش بنسبه إلى عزاريا بن صادوق رئيس أحبار اليهود على عهد سليمان بن داود ! !

وقد تصدعت هذه الكنيسة وصارت خطراً يهدد البيعة الأثرية فبادر القمص تادرس أسعد رئيس الدير ١٩٢٩ — ١٩٣٦ بهدمها حتى يتفادى الضرر الذى قد يترتب على سقوطها

الكنيسة الجديدة

وضع أساساتها الأنبا أغابيوس مطران ديروط أثناء انتدابه لرئاسة الدير ١٩٣٩ — ١٩٤٦ فعمل على تكملتها الرؤساء الذين جاءوا بعده وهم القمص أثناسيوس الأبوانى والأنبا بخوميوس الثانى والقمص قزمان الرئيس الحالى الذى ختم عمارتها بمنارة جميلة شاهقة

كنيسة الملاك ميخائيل

وهى بأعلى الحصن القديم كما هى العادة المألوفة فى الأديرة الأخرى وقد قام بترميمها وتجديدها البابا غبريال السابع الذى يعود إليه الفضل فى بقاء الأديرة الحالية والاحتفاظ بالحياة الرهبانية فى القرن السادس عشر .

الحصن القديم

وهو عبارة عن بناء مرتفع من الحجارة الضخمة مكون من عدة طوابق لا يختلف فى تصميمه عن حصون الأديرة الأخرى .

وذكر مرقس سميكه باشا فى الجزء الثانى من دليل المتحف القبطى ص ١٢٤ انه بنى سنة ٧٥٠ م . ويقول الشيخ أبو المكارم فى كتابه الأديرة والكنائس أن الشيخ أبا زكرى بن يونصر عامل الأشمونين رممه فى الخلافة الحافظية .

قصر الضيافة

يقع الدير المحرق فى منطقة ريفية يمتلك آلاف الأفدنة من أراضيها الزراعية ، لهذا كان رئيسه مضطراً للإقامة بين الرهبان حتى يتولى تدبيرهم ويشرف على إدارة أملاكهم بنفسه .

ونظراً لإتساع دوائر العمل وكثرة المترددين على الدير من حين لآخر فقد شيد الأنبا بخوميوس الأول سنة ١٩١٠ م قصراً فاخراً مزوداً بكل وسائل الراحة وجعل منه مقراً لرئاسة الدير واستقبال ضيوفه من حكام ووجهاء .

وقد نزل بهذا القصر البابا يوساب الثانى عندما أعفى من منصبه فى سبتمبر سنة ١٩٥٥ وظل به إلى أن غادره إلى المستشفى القبطى الراحة والعلاج وهناك لاقى ربه فى ١٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦

حدائق الدير

توجد فى داخل أسوار الدير حديقتان الواحدة فى الجهة الغربية حول قصر الرئاسة والأخرى فى الجهة الشرقية من الدير وهى أكبر من الأولى .

وهناك حدائق أخرى مستحدثة فى الجهة البحرية من الدير لا تقل مساحتها عن ستين فداناً مليئة بمختلف أشجار الفواكه .

وتروى هذه الحدائق سواء كانت داخل الدير أم خارج أسواره بالآلات الارتوازية التى يتولد منها أيضاً النور الكهربائى لإضاءة الكنائس والقصر والمرافق الأخرى .

قلالى الرهبان

يسكن الآباء فى قلالى صحية مزودة بالماء والإنارة . وتتكون القلاية عادة من غرفتين متداخلتين كما هو الحال فى أديرة وادى النطرون . وكلها من المبانى الحديثة التى لا تتجاوز القرن العشرين . أما المساكن القديمة فقد اختفت من الدير المحرق تماماً ولم يبق لها أى أثر .

العائلة المقدسة والدير المحرق

ذكر كاتب الانجيل الأول أن ملاك الرب أوحى إلى يوسف أن يأخذ الصبى وأمه ويهرب من وجه هيرودس إلى أرض مصر ، إلا أن المؤرخين الذين تناولوا شرح هذا النبأ اختلفوا فى الطريق الذى سلكه يوسف وفى المدة التى قضتها الأسرة الكريمة وهى فى غربتها على ضفاف النيل ، ولكن بعد اطلاعى على عدة مصادر مختلفة استطعت أن أخرج منها بهذه الخلاصة .

أقلع يوسف من بيت لحم ليلا ومعه السيدة العذراء تحمل وليدها الإلهى وقد امتطت به حماراً كما هى عادة الفقراء فى البلاد الشرقية ، وسار الركب المتواضع فى الطريق الرئيسى الذى تسلكه القوافل ماراً بحبرون وبئر سبع وبيرين حتى وصل العريش ومنها انحدر جنوباً إلى أن وصل بيلوزا التى تقوم على مقربة من أنقاضها مدينة بورسعيد الحالية .

ومن بيلوزا التى دعاها العرب الفرما واصل سيره إلى سنهور وصان الحجر وبوباست وسمنود ثم تغرب أياماً فى ميت دمسيس ودمسيس التى هى الآن كفر شبرا اليمن إلى أن وصل المكان الذى قامت عليه فيما بعد قرية الزبيرية قرب كفر حشاد

الرحيل إلى أرض مصر

ومنه ركبوا فرع النيل الغربى إلى بلاد الوجه القبلى فسارت بهم السفينة إلى أن توقفت تجاه الأشمونين فخرج يوسف منها وواصل سيره جنوباً بين الحقول والقرى حتى وصل مدينة قسقام فمال إليها ، إلا أن سكانها لم يحسنوا معاملته فتركها متوجهاً إلى سير فاستراح بها قليلا ثم غادرها إلى الجبل المجاور ، وهناك أصلح مغارة طبيعية وجعلها مسكناً له مع الأسرة المقدسة .

وقد ظل يوسف بهذا المكان[1] الذى طهرته أقدام الفادى حتى ظهر له ملاك الرب ثانية وأمره بالعودة إلى فلسطين ، فتحرك بالعائلة المقدسة ماراً بالأشمونين وسمالوط والبهنسا ومنف ، ثم عبر النيل إلى الضفة الشرقية تجاه الموضع المعروف الآن بالمعادى وسار شمالا إلى بابلون حيث أقام فى كهف بنيت عليه فيما بعد كنيسة أبو سرجه ، ومن بابلون أقلع الركب المقدس إلى المطرية ماراً بتندونياس التى هى

---

(١) وهو الآن الدير المحرق

الأزبكية. وفى المطرية استراحت العذراء عند بئر القرية وغسلت ثياب طفلها الإلهى وألقت غسالتها حول العين فازداد ماؤها بغزارة وفاض على الأرض المجاورة فأخرجت فيما بعد بلساناً وهو نوع من الأفاوية التى تستخدم فى صنع الميرون المقدس. ولا تزال المطرية تحتفظ إلى اليوم بشجرة جميز قيل إن العذراء استظلت بها فنسبت اليها .

شجرة العذراء بالمطرية

ومن المطرية عاد يوسف إلى فلسطين ماراً بشبين القناطر وبلبيس وبلاد الشرقية بعد أن عبر ترعة الفراعنة التى كانت قرب مدينة القنطرة الحالية .

وقد اختلف المفسرون فى المدة التى استغرقتها هذه الرحلة وذكروا فى ذلك آراء كثيرة ولكن المدققين منهم يرون أنها لم تزد على سنتين وبضعة أشهر .

أما الذين أشاروا إلى إقامة الطفل يسوع بجبل قسقام من الكتبة المصريين فهم كثيرون يبرز من بينهم القديس أوريجانوس أمير شراح الكتاب المقدس والباباوان ثاوفيلوس وكيرلس الاسكندريان ، ومن المؤرخين الأنبا ساويروس أسقف المنيا والأشمونين والشيخ أبو المكارم ، والأنبا قرياقص أسقف البهنسا فى القرن الخامس عشر ، ومن علماء العرب المؤرخ تقى الدين المقريزى فى الجزء الرابع من خططه ص ٤١٦ ، ولأهمية هذه الزيارة رسمت الكنيسة القبطية أن تعيّد لها فى الرابع والعشرين من شهر بشنس ، كما تحتفى فى السادس من شهر هاتور بتكريس

كنيسة السيدة العذراء بالدير المحرق التى لازالت إلى اليوم تجذب بشهرتها الكثيرين من مختلف بلاد القطر لزيارتها .

هذا وقد أجرى السيد من العجائب عدداً لا يمكننا تحديده ولكننا نفهمه من الكتاب القائل : « هوذا الرب راكب على سحابة سريعة وقادم إلى مصر فترتجف أوثان مصر من وجهه ويذوب قلب مصر داخلها » (أش ١٩ : ١) فقد أكد المحققون أن الأصنام تساقطت عند دخوله وأصابها ما أصاب داجون عندما اقتحم بيته تابوت العهد (١ صم ٥ : ٤) .

▲ ▲ ▲

الدير والباباوات

أنجب الدير المحرق أربعة من الرهبان الأفاضل الذين تولوا رئاسة الكنيسة المصرية فى أزمنة مختلفة وهم :

البابا غبريال الرابع ١٣٧٠ - ١٣٧٨م

رسم بطريركا فى عهد الملك الأشرف شعبان وقضت الكنيسة كل أيام رئاسته فى هدوء وسكينة .

البابا متاؤس الأول ١٣٧٨ - ١٤٠٨م

ترهب أولا فى دير مار أنطونيوس ثم بارحه إلى فلسطين حيث توحد فى أماكن مختلفة منها وأخيراً عاد إلى مصر وسكن فى الدير المحرق وظل مقيما به إلى أن اختير بطريركا . وكان من رجال الإيمان الأقوياء الذين شرفهم الرب بالمعجزات ومعرفة الخفايا .

البابا متاؤس الثانى ١٤٥٢ - ١٤٦٥ م

وكان يعرف بالراهب متى الصعيدى وقد كرسه الأساقفة بعد أن نال ثقة الأمة

فى عهد الملك الظاهر وقام بطبخ الميرون وتقديسه سنة ١٤٥٨ م بكنيسة العذراء بحارة الروم واشترك معه ستة أساقفة .

البابا يوحنا الثانى عشر ١٤٨٠ - ١٤٨٣ م

ولد فى نقادة ورسم بطريركا فى عهد الملك الأشرف أبى النصر قايتباى ولبث على الكرسى ثلاث سنوات وأربعة أشهر وتسعة عشر يوما ثم تنيح ودفن فى بابلون الدرج .

▲ ▲ ▲

خريجو الدير من الأساقفة

من المؤكد أن الباباوات المنسوبين إلى الدير المحرق رفعوا إلى رتبة الأسقفية عدداً من زملائهم الرهبان ، ولكن نظراً لنقص المصادر التاريخية الخاصة بالأسقفيات لم نتوصل إلى معرفة أحد منهم .

أما الأساقفة الذين سندلى الآن بأسمائهم فلم يعرفوا فى الكنيسة إلا فى بداية الربع الأخير من القرن التاسع عشر وإليك بياناً عنهم :

الأنبا بطرس أسقف منفلوط وأبنوب ١٨٧٨ - ١٩٠٣ م

الأنبا أثناسيوس أسقف صنبو وقسقام ١٨٧٩ - ١٩٠٠ م

الأنبا مرقس أسقف إسنا والحدود ١٨٧٩ - ١٩٣٤ م

الأنبا إيساك أسقف البهنسا وبنى سويف ١٨٨١ - ١٨٨٣ م

الأنبا بطرس مطران المملكة الحبشية ١٨٨١ - ١٩٢٢ م

الأنبا متاؤس مطران الحبشة بعد عزل الأنبا بطرس ١٨٨١ - ١٩٢٦ م

الأنبا لوكاس أسقف قوجام ١٨٨١ - ١٨٨٩ م

الأنبا مرقس أسقف إحدى المقاطعات الأثيوبية ١٨٨١ - ١٨٨٣ م

الأنبا ابرآم أسقف الفيوم ١٨٨١ - ١٩١٤ م

الأنبا ثاؤفيلوس أسقف منفلوط وأبنوب ١٩٠٥ - ١٩٢٩ م

الأنبا لوكاس أسقف منفلوط وأبنوب ١٩٣٠ - ١٩٦٥ م

الأنبا بطرس مطران أخميم وسوهاج ١٩٢٠ - ١٩٥١ م

الأنبا أغابيوس أسف صنبو وقسقام ١٩٢٩ - ١٩٦٤ م

الأنبا بخوميوس أسقف عطبرة وأم درمان ١٩٤٧ - ١٩٥٧

الأنبا توماس أسقف عطبرة وأم درمان ١٩٥٩ - ١٩٦٣

الأساقفة الأحياء

الأنبا أنطونيوس مطران سوهاج رسم فى ٢٧ يناير ١٩٥٢

الأنبا بطرس مطران أخميم رسم فى ٢٧ يناير ١٩٥٢

الأنبا مكسيموس أسقف القليوبية رسم فى ٣١ مارس ١٩٦٣

الأنبا استفانوس مطران عطبرة رسم فى ١٩ سبتمبر ١٩٦٣

الأنبا أغابيوس أسقف ديروط رسم فى ٢٠ فبراير ١٩٦٥

رؤساء الدير المحرق

لقد تخرب هذا الدير وهجره الرهبان أكثر من مرة، لهذا يكاد تاريخه أن يكون غامضاً فى الأزمنة البعيده الماضية التى انطوت دون أن تترك لنا من أمره شيئاً ، ولم تتضح لنا ملامحه التاريخية إلا قرب منتصف القرن التاسع عشر حيث أخذت سجلات الدير تقدم لنا رؤساءه على الوجه الآتى .

القمص عبد الملاك الهورى

كان رهبان الدير فى ختام القرن الثامن عشر لا يزيدون عن أفراد قلائل ليس بينهم من يحمل رتبة القسيسية، فكان كهنة القوصية أو السراقنة فى رواية أخرى

القمص قزمان الرئيس الحالى للدير المحرق

يقومون بينهم برفع السرائر المقدسة فى أيام الآحاد والاعياد ويتداخلون فى أمورهم الخاصة . ولم يقفوا عند هذا الحد بل وضعوا أيديهم على أرزاقهم وصاروا يقترون عليهم ويعاملونهم بكل احتقار وقسوة. وظل الدير على هذا الحال حتى انتخب الرهبان لرئاستهم سنة ١٨٤٢ م القمص عبد الملاك الهورى ، وكان حازماً ممتازاً فى تفكيره وإقدامه فحرر الدير من نير الكهنة العلمانيين وأعاد الرهبان حقوقهم المغتصبة .

ويروى عنه حسب التقاليد الموروثة عند الرهبان أنه لما اشتد الضيم على

الدير سافر إلى استامبول يصحبه خمسة عشر راهباً ، وهناك التمس مقابلة السلطان. فلما مثل بين يديه عرض عليه مشاكل الدير وما يلاقيه الرهبان من غبن واضطهاد ، فاستمع الخليفة إلى شكواه بكل عطف وعناية ، ومنحه فرماناً يحدد أملاك الدير واستقلاله ، ويرفع عن رهبانه ظلم الحكام واعتداء المجاورين ، ولما أكمل واجباته رقد فى الرب مطمئناً سنة ١٨٦٦ م

ومع هذه الخدمات الجزيلة التى أسداها الهورى إلى ديره فقد تنكر له بعض الرهبان بزعامة القمص عبد المسيح جرجس المسعودى وحاولوا خلعه سنة ١٨٦٢ م فرفع مظلمته إلى البابا ديمتريوس الثانى فاستدعى الرهبان الثائرين لاستجوابهم. ولما وقف على تفاهة شكواهم لطم زعيمهم على وجهه وصرفه إلى دير سيدة برموس ومعه من أتباعه القمص حنس والقمص ميساك والقمص ميخائيل الاشقاوى وآخرون.

القمص بولس الدلجاوى

تولى الرئاسة بعد نياحة الهورى ، وكان كريماً إلى أقصى حدود الكرم فاتهمه الرهبان بتبذير أموالهم على الفقراء وعزلوه من منصبه سنة ١٨٧٠ م فانصرف بعد إقالته بعام واحد إلى دير سيدة برموس ومعه أربعة من أبنائه الذين رفضوا أن يتخلوا عنه وهم القمص أقلاديوس الميرى ، والقمص أقلاديوس الخالدى ، والقمص ميخائيل نخله ، والقمص سليمان الدلجاوى فاستقبلهم أمين الدير الراهب عوض البرهيمى ونائبه القمص يوحنا الناسخ بكل بشاشة ومحبة كإخوة كرام ، ولما صار الناسخ بطريركا باسم كيرلس الخامس رسم الأول مطراناً على أثيوبيا باسم الأنبا بطرس ، والثانى أسقفاً على اقليم شوا باسم الأنبا متاؤس ، والثالث أسقفاً على صنبو وقسقام باسم الأنبا أثناسيوس . وعاد الرابع إلى ديره وتنيح به سنة ١٦٤٧ ش .

أما رئيسهم القمص بولس الدلجاوى فشرطنه البابا أسقفاً على كرسى الفيوم والجيزة باسم الأنبا ابرآم وقد خصه الرب بمعجزات وبركات كثيرة .

ولم يكن القمص عبد المسيح المسعودى عند البابا أقل حظوة من هؤلاء فقد أكرمه وجعله أباً روحياً له ولأبناء ديره بعد أن تراجع عن قبول الأسقفية مراراً، كما رسم من أتباعه القمص حنس أسقفاً على البهنسا باسم الأنبا إيساك وجعل القمص ميساك رئيساً على دير سيدة برموس خلافاً للتقاليد المرعية بين الرهبان ، ثم عاد وكرسه أسقفاً على منفلوط وأبنوب باسم الأنبا بطرس .

القمص ميخائيل الأبوتيجى

ولد فى المسعودى من أعمال أبو تيج ولقب بالأبوتيجى ليتميز عن رهبان الشيخ مسعود الذين كانوا أكثر من واحد بالدير المحرق وقد تولى الرئاسة بعد عزل القمص بولس الدلجاوى . وقيل إنه عمل على مضايقة أنصاره وفى مقدمتهم الأب القديس القمص ميخائيل البحيرى ومع ما يوجه اليه من نقد كهذا إلا أنه كان غيوراً على ديره مهتما بتنمية موارده الاقتصادية ، وقد سامه أخيراً البابا كيرلس الخامس أسقفاً على أبو تيج باسم الأنبا ثاؤفيلوس سنة ١٨٨٥ م ، وتنيح فى أول نوفمبر سنة ١٨٩٦ م .

القمص صليب وهبه

تولى الرئاسة بعد ترقية سلفه وخدم ديره بإخلاص ومحبة إلا أن البطريركية لم تكافئه على أعماله الحسنة بل عندما أرادت ترقية رؤساء الأديرة الكبرى إلى رتبة الأسقفية تجاوزت عنه وأتت براهب من مرؤسيه وجعلته أسقفاً فقابل صنيعها بالصبر والثبات إلى أن توفى فى ٥ أبريل سنة ١٩٠٥

الأنبا بخوميوس الأول

ولد فى الشامية من أعمال مركز البدارى وترهب باسم الراهب بطرس ، وبعد أن رسم كاهناً رقاه الأنبا كيرلس الخامس إلى أسقفية الدير فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٦م وجعل مقره بمدينة منفلوط ، التى وضعها فى تقاليده عند الرسامة ، إلا أن هذا

الإجراء لم يقابل بالارتياح من الأنبا بطرس أسقف المدينة والقمص صليب رئيس الدير إذ حسبه كل منهما تعدياً على اختصاصه من جانب البطريركية فاضطربت الأحوال وتعددت المشاكل فى كلا المرفقين فمات الأنبا بطرس حزيناً سنة ١٩٠٣ ، وبعد عامين لحق به القمص الصليب ، وعندئذ استقرت الأمور بين أيدى الأنبا بخوميوس فانتقل إلى الدير وأقام به كرئيس متصرف . وعلى الرغم من أنه كان فى حكم الأمى إلا أنه كان عاملا مجدداً فهدم جدران الدير المتهالكة وبنى بدلا منها أسواراً منيعة تشبه القلاع . ولكنه لم يتمكن من بناء الضلع الشرقى لحاجته وقتئذ إلى المال كما أنشأ مدرسة لتعليم الرهبان وشيد قصراً جميلا لإستقبال الزائرين. ولما رأى أن المولد الذى يقام فى عيد السيدة العذراء يجر على الرهبان بعض المتاعب التى تتنافى مع الحياة الرهبانية أمر بإبطاله ضارباً بمكاسبه المادية عرض الحائط ، ومع هذا فقد استطاع بحسن تدبيره أن يضاعف ثروة الدير ويجعله الأول بين الأديرة القبطية .

وبعد أن أكمل رسالته المجيدة تنيح بسلام فى صباح الثلاثاء ٢٨ أغسطس سنة ١٩٢٨ م .

القمص سيداروس سعد

ترهب بعد أن نال شهادة البكالوريا قسم اللغة الفرنسية ، ثم رسم كاهناً وعين وكيلا متصرفاً للأنبا بخوميوس ، وعند وفاته خلفه فى الرئاسة ، وقد كان قوى الارادة معتزاً بكرامته مهاباً من الناس فعملت الحكومة على ترشيحه مطراناً للامبراطورية الأثيوبية ولكنه رفض قبول هذا المنصب مفضلا عليه رئاسة الدير المحرق فعزله البابا يوأنس بعد أن رأى أن الجهات الادارية لا ترغب فى بقائه فغادر الدير فى شهر يونيو سنة ١٩٢٩ وأقام بالدار البطريركية .

القمص تادرس أسعد

ولد فى زرابى الدير وترهب بعد ترمله، ثم عين وكيلا للقمص سيداروس ، ولما

أقيل من منصبه خلفه فى الرئاسة وكان راهباً ممتازاً يجيد التحدث باللغة القبطية ملماً بقوانين الكنيسة وطقوسها وانضم إلى قومه سنة ١٩٤٢

القمص سيداروس ثانية

ظل القمص سيداروس مقيما بالدار البطريركية حتى مات الملك فؤاد الأول الذى أمر بعزله فى ٦ مايو سنة ١٩٣٦ ، وعندئذ أخذ البابا يوأنس يتهيأ لإعادته ، فلما أتيحت له الفرصة أصدر قراراً بتعيينه فى ١٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ ولكنه لم يستقر فى منصبه أكثر من خمسة أشهر حتى اختلف مع الرهبان فانتهز هؤلاء فرصة ذهابه إلى القاهرة فى يناير ١٩٣٧ وأغلقوا الباب من خلفه وأبرقوا للبطريركية بعدم إعادته مرة أخرى . وإذ لم يستجب البابا لمطالبهم أبرقوا إلى الملك السابق فاروق الأول يسألونه اقصاء هذا الرئيس الذى سبق والده وأمر بعزله ، فلما وقف البابا على نوايا الرهبان أمره بالاستقالة فتنازل عن الرئاسة ولازم الدار البطريركية إلى أن قتل فى مخدعه على أيدى مجهولين بعد ظهر الأحد ١٧ نوفمبر سنة ١٩٤٢

القمص دانيال

انتخبه الرهبان بالإجماع نظراً لصلاحه وتقواه فى ١٧ مارس سنة ١٩٣٧ ، فقام بإتمام جزء من السور الذى توقف عنده الأنبا بخوميوس، إلا أن الرهبان تجمهروا ضده وحاصروه فى مخدعه بعد أن اتهموه بالتنكر لمبادئه الأولى وأقالوه فى ثورة عنيفة .

الأنبا أغابيوس مطران ديروط

بعد أن أخذت ثورات الرهبان تهدد كيان الدير روحياً واقتصادياً رأى البابا يوأنس أن يأتى اليه بشخصية مهابة تحمل رتبة دينية رفيعة حتى يعود اليه الاستقرار والسلام فعهد برئاسته إلى الأنبا أغابيوس مطران ديروط وصنبو فتقلد مهام تدبيره فى أول يناير سنة ١٩٣٩ م ، وأخذ يقوم بخدمة الرهبان فى اخلاص ونزاهة حتى

أرهقته المتاعب فقدم استقالته فى ٢٨ يناير سنة ١٩٤٦ م ، وتفرغ لمشاغله الراعوية .

القمص أثناسيوس عوض الأبوانى

استلم الرئاسة من المطران أغابيوس ولكنه فقد ثقة الرهبان بعد شهور قليلة فلما رأى البابا يوساب الثانى أنه ليس من السهل ترضيتهم رسمه أسقفاً على النوبة وأم درمان فى ٢٩ يونيو سنة ١٩٤٧ باسم الأنبا بخوميوس فسكت الثائرون بينما غادر هو الدير مكرماً إلى أسقفيته الجديدة .

الأنبا بخوميوس الثانى

وهو القمص تاوضروس شحات الذى خلف سلفه فى منصب الرئاسة ، وقد رسمه البابا يوساب الثانى أسقفاً على الدير فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٨ ، فسلك فى بادىء الأمر مسلكا حسناً ، ولكن شخصيته انكمشت فيما بعد فاختلت إدارته وساد الاضطراب الدير !! فأعفاه البابا كيرلس السادس من منصبه فى أوائل أبريل سنة ١٩٦٢ وأبقاه فقط برتبة الأسقفية فلزم مخدعه حتى أدركته المنية فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٦٤

القمص قزمان بشاى

ترهب بعد أن أكمل دراساته الثانوية ، ثم رسم كاهناً وخدم فى عدة مرافق طائفية كان فيها مثالا حسناً ، وأخيراً دعاه البابا كيرلس السادس لرئاسة الدير فى ١٦ أبريل سنة ١٩٦٢ فأعاد اليه الاستقرار والسلام .

▲ ▲ ▲

الثورات فى الدير المحرق

بعد أن عمل الهورى على تحرير الدير وتنظيم أرزاقه كما ذكرنا فى مكان سابق أخذ شيطان الانقسام يثير القلاقل بين الرهبان من حين لآخر حتى كاد يعصف باستقرارهم وبما كانت تحتفظ به الأديرة من هدوء وسكينة

وأول ثورة قام بها الرهبان بعد تحرر الدير وانتظامه هى التى تزعمها القمص عبد المسيح جرجس المسعودى سنة ١٨٦٣ ولجأ على أثرها مع نفر من أصحابه إلى دير سيدة برموس ولم يكن به وقتئذ سوى أفراد قلائل يتقدمهم القمص يوحنا الناسخ .

وتلتها ثورة أخرى أطاحت برئاسة القمص بولس الدلجاوى فذهب سنة ١٨٧١ إلى دير سيدة برموس مع أربعة من أتباعه واستمر مقيما به إلى أن دعى إلى الرتبة الأسقفية مع ثلاثة من أصحابه .

وفى سنة ١٩١٩ ثار الرهبان على الأنبا بخوميوس الأول فجردت البطريركية منهم خمسة وثلاثين راهباً معظمهم من ذوى الرتب الكهنوتية .

ولما أعيد القمص سيداروس سعد إلى الرئاسة سنة ١٩٣٦ وتوجه إلى زيارة البطريركية فى يناير من العام التالى رفض الرهبان عودته إليهم مرة أخرى بعد أن أغلقوا أبوابهم وتحصنوا فى أماكنهم ، وأخيراً نزل المسئولون على إرادتهم بعد تمرد مرير أزعج الحكومة والكنيسة نحو ثلاثة أشهر .

وفى رئاسة القمص دانيال اقتحم جماعة من الرهبان غرفة نومه فى ٢٨ ديسمبر سنة ١٩٣٩ وأوسعوه لوماً وتقريعاً ثم كتبوا إلى البطريركية يقررون عزله ويسألونها الموافقة على ذلك . وإذ لم تستجب لمطالبهم تركوا الدير وجاءوا إلى القاهرة وظلوا بها ما يقرب من تسعة أشهر . وعندما أرادوا العودة أبرق الرهبان الذين تخلفوا عنهم إلى المسئولين فى الكنيسة والحكومة يناشدونهم عدم عودة المشاغبين .

ولما عين القمص أثناسيوس عوض رئيساً للدير لم يكن أسعد حظاً من أسلافه فاعتصب الرهبان ضده ، ولكن قبل أن يتفاقم الخطب رأى البابا يوساب الثانى أن يحل المشكل برسامته أسقفاً على بلاد النوبة وأن يعين لهم رئيساً آخر يختارونه بأنفسهم .

والواقع أن ثورات الرهبان لم تكن قاصرة على الدير المحرق ! بل وجدت أيضاً

فى الأديرة الأخرى ، ولكن لوقوع أديرتهم فى مناطق صحراوية نائية وعدم توفر الامكانيات المالية لديهم ظهرت ثوراتهم فى صور باهته ضعيفة ولم تصل واحدة منهم إلى درجة ترتب عليها إزعاج الدوائر الدينية أو الحكومية .

ويرجع أصل هذه القلاقل إلى صداع فى رأس المجتمع الدينى الذى أهمل النظم الروحية واحتقار أباطيل العالم ، واستعاض عنها بأمور من وضعه السخيف فساد القلق وعمت الفوضى ، وانطلق الانسان العتيق من معقله بعنف وقوة وسار بصاحبه فى طريق شائك تكتنفه الأخطار والمتاعب .

لقد كانت الأديرة فى عصرها الذهبى لا تملك شيئاً وكان الرهبان يعملون بأيديهم فى سلام ومحبة ، وكان كل شىء بينهم مشتركا ولكن عندما توفر لديهم المال ومشتقاته جعلوا منه معبوداً صارماً أمرهم أن يسكبوا تحت قدميه كل ما حصلوا عليه من نسك وسلام وقناعة .

دير المحرق فى أثيوبيا

يتمتع هذا الدير بشهرة واسعة فى الأوساط الأثيوبية دينية كانت أو مدنية . وقد جاء عنه فى التقاليد الحبشية القديمة أن الملكة منتوآب زارت مصر فى العصور السالفة وتوجهت إلى هذا الدير وأخذت مقداراً من ترابه ورماله وجعلت منها أساساً لدير جديد شيدته فى بلادها وأطلقت عليه دير جشقام أو دير قسقام .

وقد أمرت الملكة أن يصام لهذه الذكرى الطيبة صوماً مقدساً يعيد له فى اليوم السادس من شهر هاتور ، وهو نفس اليوم الذى تحتفى فيه الكنيسة القبطية بتكريس بيعة السيدة العذراء بالدير المحرق .

ولا يزال الأثيوبيون الذين يأتون لزيارة بلادنا من الاكليروس والمدنيين يجعلون زيارة جبل قسقام وديره فى مقدمة الأماكن الدينية الهامة التى يهرعون لزيارتها .

وللمكانة العظيمة التى يحتلها قسقام فى نفوس الرهبان الأثيوبيين زاره كثيرون منهم وتخلف البعض ليعيشوا فيه دائماً وأبداً .

مكتبة الدير المحرق

على الرغم من عظمة هذا الدير ووفرة أرزاقه فإن مكتبته تعتبر هزيلة وصغيرة بالنسبة لبعض مكتبات الأديرة الأخرى ، إذ لا يزيد عدد أسفارها من مخطوط ومطبوع عن ثمان مئة مجلد نصفها مخطوط والآخر من الكتب الدينية التى أشرفت على وضعها الدار البطريركية وقامت بتوزيعها على رؤساء الأديرة كل حسب إمكانياته الخاصة .

ولم يهتم أحد من رؤساء الدير فى المرحلة الأخيرة بتنظيم المكتبة ولا بزيادة حصيلتها من المؤلفات الحديثة بل كان بعضهم متهاوناً فى الاحتفاظ بمقتنياتها الضئيلة فأهدوا عدداً منها إلى أصدقائهم من رهبان وعلمانيين حتى هبط رصيدها وأصبحت رفوفها تكاد أن تكون خاوية إلا من المخطوطات الطقسية التى قلما يقربها أحد .

وقد زار هذه المكتبة فى السنوات الأخيرة الماضية كثيرون من رجال الدين والأدب المهتمين بالتراث القبطى وفى مقدمتهم القمص عبد المسيح صليب المسعودى أمين مكتبة الدار البطريركية سابقاً والأستاذ يسى عبد المسيح أمين مكتبة المتحف القبطى ومرقس سميكه باشا مدير المتحف القبطى ولم يقل أحد منهم أنه رأى بها شيئاً من نفائس المخطوطات أو المؤلفات الثمينة دينية كانت أو علمية .

دير الأنبا صموئيل

يقع هذا الدير تجاه مدينة مغاغة فى جبل القلمون بالصحراء الغربية التى هى امتداد لبرية وادى النطرون أو الاسقيط المقدس جنوباً .

والقلمون كلمة يونانية معناها الغاب أو البوص الذى تصنع منه أقلام النساخة وقد أطلقها القدماء على قرية بالواحات الداخلة كانت فى الماضى مليئة بالكروم والكنائس .

والقلمون جبل فى سوريا الغربية به عدة قرى لا زالت تتكلم السريانية منها معلولا وصيدنايا وبخعة كما يطلق أيضاً على قرية فى لبنان من أعمال طرابلس .

ترجمة القديس صموئيل

ولد هذا المعترف العظيم سنة ٥٤٣ م فى قرية دكلوبا من أعمال مصيل التى هى كرسى فوه ، ولما بلغ أشده مالت نفسه إلى النسك والتعبد فلم يعترض طريقه أحد من آل بيته بل نالت نواياه السامية تشجيعاً من أبيه أرشلاوس الذى كان يعمل كاهناً لكنيسة القرية . فانصرف الفتى إلى برية شيهيت وترهب هناك عند شيخ وقور يقال له أغاثون وأخذ يقوم بصلوات حارة وأعمال نسكية عجيبة حتى فاح أريج بره بين سكان الاسقيط فرشحوه لرتبة القسيسية ورسموه كاهناً على بيعة القديس مكاريوس ، وكان ذلك قبل دخول العرب بسنوات قلائل .

ولما تولى حكم مصر البطريرك كيروس الملكى من قبل الامبراطور هرقل أراد إرغام رهبان البرارى على قبول عقيدة المجمع الخلكيدونى فبعث إليهم سنة ٦٣١ م بطومس لاون ليقرأ على مسامعهم . وإذ لم ترق تحديداته اللاهوتية فى نظر القديس خطفه بعنف من قارئه ومزقه إرباً فغضب رسول القيصر وأمر الجند بضربه فأصابته لكمة فى إحدى عينيه فقلعتها . فتألم البار من هذه المعاملة الوحشية وبات ليلته حزيناً باكياً وإذ بملاك الرب يظهر له ويعزيه ويأمره بالذهاب إلى جبل القلمون

قضى إلى هناك بأمر الرب ولكن كيروس المنافق علم بمسكنه الجديد وتوجه إليه بنفسه وهناك أوسعه شتيمة وضرباً ثم طرده من ديره فمضى الأنبا صموئيل إلى مكان آخر وأقام به إلا أنه لم يكن موفقاً فى هذه الإقامة فقد أغار عليه البربر وأخذوه أسيراً فثابر بينهم على الصوم والصلاة حتى رد الرب سبيه وأعاده إلى أرض الوطن ، ولكن البربر الذين كانوا يهددون بغزواتهم حدود مصر الغربية لم يتركوه ينعم بسلامة العودة فأعادوا الكرة على الصحراء التى كان يقطن بها وأخذوه أسيراً للمرة الثانية ، وهناك التقى بالأنبا يوأنس قمص شيهات الذى سبقه إلى الأسر فكان كل منهما مصدر تعزية للآخر .

وقد أكرم الرب صاحب الترجمة بين البربر فاستطاع بصلاة الإيمان أن يشفى ابناً مريضاً لزعيم منهم كان المعترف يعمل فى بيته كخادم فاعتز به ومنحه حرية العودة فى أى وقت أراد . فلما رغب فى ذلك أعاده سيده إلى ديره عزيزاً مكرماً ، ففرح به الاخوة وعاش بينهم يعمل على ترويضهم وتهذيبهم حتى دعاه الرب إلى جواره فى الثامن من شهر كيهك سنة ٦٣٩ م

زمن تأسيس الدير وخرابه

يفهم من بعض المصادر التاريخية أن هذا الدير كان عامراً ومعروفا منذ العصر المسيحى الذى نشطت فيه الحركة الديرية ثم تخرب بين أواخر القرن الخامس وأوائل السادس وظل مجهولا تحت الرمال حتى كشف عنه الأنبا صموئيل وأعاده إلى الوجود الرهبانى مرة أخرى فى النصف الأول من القرن السابع الميلادى .

وقد أشار إلى عمارته وازدهاره فى هذه الفترة اثنان من المؤرخين الذين عاشوا بعد القرن العاشر الميلادى وهما الشيخان أبو المكارم سعد الله جرجس بن مسعود وتقى الدين المقريزى . فقال عنه الأول فى كتابه الذى وضعه عن الأديرة والكنائس فى ختام القرن الثانى عشر « انه من الأديرة الكبرى ويمتلك أطيانا كثيرة بجهات الصعيد وشنرا ، وملاحات يستخرج منها سنويا ثلاثة آلاف أردب من الملح .

وكان به سنة ٨٩٤ ش أكثر من مئتى راهب ويؤمه كثير من الزائرين » . اهـ

أما المؤرخ الآخر الذى وضع خططه سنة ١٤٣٠م فيقول فى الجزء الرابع ص ٤١٥ « هذا الدير فى برية تحت عقبة القلمون يتوصل المسافر منها إلى الفيوم يقال لها عقبة الغريق . وبنى هذا الدير على اسم صموئيل الراهب، وكان فى زمن الفترة ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما وسلم ومات فى ثامن كيهك . وفى هذا الدير نخل كثير يعمل من ثمره العجوة . وفيه أيضاً شجر اللبخ ولا يوجد إلا فيه . . . وفى هذا الدير قصران مبنيان بالحجارة وهما عاليان كبيران لبياضهما إشراق ، وفيه أيضاً عين ماء تجرى ، وفى خارجه عين أخرى ، وبهذا الوادى عدة معابد ، ثم واد يقال له الأميلح فيه عين ماء تجرى ونخيل مثمر تأخذ العرب ثمرها . وخارج هذا الدير ملاحة يبيع رهبان الدير ملحها فيعم تلك الجهات » . اهـ

ومن هذين المصدرين نعلم أن دير الأنبا صموئيل ظل عامراً منذ تجديده على يد هذا القديس إلى أن عبثت به كوارث الزمن قرب ختام القرن الخامس عشر ، ومن ثم اختفت أخباره من جميع الكتب التاريخية والطقسية .

أخطاء تاريخية وتصحيحها

يقول الأمير عمر طوسون فى كتابه « وادى النطرون وأديرته » ص ١٩٢ فى سياق حديثه عن كنائس دير القديس الأنبا بشوى وبحرى هذه الكنيسة ، كنيسة الأنبا بنيامين البطريرك « ٨٢ » وهو البطريرك الوحيد الذى تخرج من هذا الدير . وباب هذه الكنيسة من داخل كنيسة الأنبا بشوى ، كما انه توجد كنيسة قبليها . كما أن بابها من الداخل أيضاً وهى باسم « الشهيد أبسخيرون » ويوجد بدير يوحنا كاما المعروف بالسريان خبر بناء هذه الكنيسة وحضور جسد هذا الشهيد إلى هذا الدير على يد الأنبا بنيامين « ٨٢ » فحواه أن جسد هذا الشهيد كان بدير الأنبا صموئيل بجبل القلمون بالفيوم، وحيث أنه قد تهدم أرسل الأنبا بنيامين القس ابراهيم ومعه جماعة إلى هناك فأحضروا الجسد ثم توجهوا به ومعهم البطريرك إلى دير

الأنبا بشوى ووضعه بعدما كفنه بأكفان نقية ولفائف حرير وطيّبه بالطيب الفائق، مع الجسد المقدس الذى لأنبا بشوى فى تابوت من الخشب الذى لا ينخره سوس، وكان ذلك فى ٧ طوبة سنة ١٠٤٩ ش (١٣٣٣ م) .

والواقع الذى تؤكده المصادر الأصيلة التى لدينا أن الأنبا بنيامين الثانى لم يكن من رهبان دير الأنبا بشوى بل كان من دير جبل طره : جداول بطاركة الاسكندرية ص ٩٢ وهو المعروف أيضاً بدير البغل : تاريخ الكنيسة القبطية ص ٥٨٠

وأن الجسد الموجود مع جسد الأنبا بشوى فى تابوت واحد هو جسد الأنبا بولا الطموهى وليس جسد الشهيد ابسخيرون كما هو واضح من السنكسار القبطى الخاص بيومى السابع من بابه والثامن من أبيب .

وأن دير السيدة العذراء بالسريان ليس هو دير القديس يوحنا كاما : تحفة السائلين ص ٧٠

وأن دير الأنبا صموئيل لم يكن خرباً فى حبرية البابا بنيامين المتوفى سنة ١٣٣٩م بل كان عامراً إلى سنة ١٤٣٠ م التى كتب فيها المقريزى خططه وأشار إلى ازدهاره وكثرة رهبانه .

كما كان هذا الدير معروفا برهبانه الأفاضل فى القرن الخامس عشر الذى فيه خلا الكرسى المرقسى ، فتوجه إليه وفد من الأساقفة وأراخنة الأمة واختاروا منه راهباً كان يعرف بمستوفى الجيزة وأجلسوه على السدة البابوية باسم غبريال الخامس ١٤٠٩ - ١٤٢٧ م : تاريخ الكنيسة القبطية ص ٦٠٠

هذا وقد كان عمر باشا طوسون قد حصل من القمص أرمانيوس حبشى السريانى على كراسة خاصة بتاريخ الأديرة البحرية بوادى النطرون وألحقها بالفصل الخامس من كتابه دون أن يراجع ما جاء فيها ، بل نشرها على علاتها فاشترك كلاهما فى الخطأ .

▲ ▲ ▲

قضية الأنبا إيسيذوروس وتعمير دير الأنبا صموئيل

فى أواخر القرن التاسع عشر فكر البابا كيرلس الخامس فى رسامة أساقفة على الأديرة القبطية الكبرى وهى دير السيدة العذراء بالمحرق ودير مار انطونيوس ودير الأنبا بولا . ولكى يساوى دير سيدة برموس الذى تخرج منه بهذه الاديرة فقد رشح لأسقفيته القمص افرام البرموسى السريانى جنساً والقبطى رهبنة وطقساً . وقد بدأ البابا باخراج هذه الفكرة إلى حيز العمل فرسم أولا القمص بطرس فى ١٥ نوفمبر سنة ١٨٩٦م أسقفاً على الدير المحرق باسم الانبا باخوميوس ثم عاد وشرطن فى ١٧ اكتوبر سنة ١٨٩٧م القمص افرام على دير سيدة برموس ودعاه « الانبا ايسيذوروس » وقدم معه فى نفس اليوم الأنبا مرقس على دير انطونيوس والانبا ارسانيوس لدير الأنبا بولا ومنح كلا منهم تقليداً يقضى باشرافه على رعاية الرهبان وترقيتهم وتدبير جميع المرافق الخاصة بهم .

وبعد أيام من ترقية الأنبا ايسيذوروس سافر إلى الدير باذن من البابا فاستقبله الرهبان بفرح وحفاوة ، وأعربوا له عن ارتياحهم لهذه الرسامة التى لاقت قبولا حسناً من جميعهم . فبات الأسقف ليلته وفى الصباح الباكر أقام قداساً ورقى عدداً من الرهبان إلى رتبتى القسيسية والقمصية وذلك بحكم وظيفته كرئيس مباشر ثم عاد بعد ذلك إلى الدار البطريركية يصحبه أحد الرهبان الذين تمت ترقيتهم وهو القس مرقس المعروف بابن فاطمة وقابلا البابا وأوقفاه على كل ما حدث فهنأ الأسقف ورهبانه بالمواهب التى حصلوا عليها ودعا بالتوفيق لجميعهم .

ولكن لم يمض على وصول الاسقف إلى القاهرة أكثر من أسبوع حتى وصلت الدار البطريركية رسالة من الدير بقلم القمص عبد المسيح جرجس المسعودى يستنكر فيها أعمال الانبا ايسيذوروس ويطالب بتجريده وطرده . فاحتضن الشكوى الأنبا يؤنس مطران البحيرة ووكيل الكرازة المرقسية وطالب بعقد مجمع مقدس للنظر فى هذه الدعوى ، وفعلا اجتمع المجمع مكوناً من أحبار الكنيسة وتناول

بالبحث قضية الأسقف ورهبانه ، وبعد مناقشات طويلة صاخبة أصدر المجمع قراراً بتجريد الأسقف ورهبانه الستة عشر من جميع الرتب الكهنوتية . إلا أن بعض الدوائر الطائفية لم ترض بهذا الحكم واعتبرته مجحفاً بحق الأسقف ورهبانه ، وطالبت البطريركية باعادة النظر فى هذا القرار الصارم ، ولكنها أبت أن تتراجع وضربت بمطالب المحتجين عرض الحائط . فلما رأى الأسقف فشل الجهود الجبارة التى بذلت لتسوية هذه الخصومة اشترى منزلا ببعد قليلا عن الدار البطريركية وعكف فيه على الدرس وتصنيف الكتب من تاريخية ولاهوتية وتفسيرية .

أما الرهبان الذين اشتركوا معه فى هذه التجربة المريرة فقد انصرفوا إلى مدينة مغاغة ومن هناك اتجهوا غرباً إلى الصحراء الليبية حتى وصلوا إلى خرائب دير الأنبا صموئيل فرمموا الحصن القديم وكان لا يزال قائماً ، وأنشأوا بعض القلالى وأحاطوها بسور بسيط وكان عددهم اثنى عشر راهباً هم القمص اسحق المنياوى والقمص برنابا الباقورى والقمص دانيال العزايزى والقمص دوماديوس العلوانى والقمص زخارى الناسخ والقس ميخائيل الزرباوى والقس جورجى والقس جبرائيل الطهطاوى والقس ابراهيم الفيشاوى والقس لوقا الدهشورى والقس سربان الغنايمى والقس مرقس ابن فاطمة . وقد جعلوا من الأول رئيساً عليهم وتكاتفوا معاً فى تدبير أمور الحياة . ولكن نظراً لعدم توفر الامكانيات المادية لديهم فقد دب بينهم دبيب التذمر والفشل وأخذوا يقرعون أبواب الصلح مع البطريركية وانتهت المساعى التى بذلت فى هذا الشأن من جانبهم بعودة الكثيرين منهم إلى ديرهم الأول ، ما عدا القمص اسحق مكسيموس وهو المفكر بينهم ، والتصق به أيضاً القمص دوماديوس الذى عز عليه مغادرة دير الأنبا صموئيل بعد ترميمه وعقد النية على الاقامة به مدى الحياة .

القمص اسحق يمضى فى طريقه

وطد هذا الراهب عزيمته على البقاء فى جبل القلمون بعد أن تراجع عنه معظم

الزملاء الذين صفح عنهم البابا وقبلهم بالدرجات الكهنوتية التى حصلوا عليها من الأسقف بينما بقى الراسم بمفرده تحت طائلة القصاص .

وقد أراد رئيس الدير أن يملأ الفراغ الذى تركه الآباء بعد رحيلهم إلى شيهيت ففتح أحضانه للراغبين فى الرهبنة ، وصار يستقبل بفرح وبشاشة زملاءه الرهبان الذين لم تطب لهم الإقامة فى الأديرة الأخرى فازدهر الدير ودبت بين جوانبه الحياة الرهبانية . ولكى يوفر لإخوته الذين تطوع لخدمتهم كل ما يحتاجون اليه من ضروريات الحياة ، انصرف نحو الخيرين من الأغنياء فى البلدان المجاورة يسألهم المعونة ويشرح لهم وجهة نظره بخصوص مشروعه الجديد .

ولما كان القمص اسحق عاقلا متزناً يجيد معرفة الكتاب المقدس ويحسن التحدث بأخبار القديسين فقد أفسح له المواطنون على اختلاف مذاهبهم وأنزلوه بينهم منزلة كريمة كما أمدوه بعطاياهم وحسناتهم فمهد بإيمانه مصاعب الطريق .

ثم عاد رئيس دير الأنبا صموئيل يفكر فى مشروع آخر وهو أن يجعل له مقراً فى احدى القرى التى يسهل منها الانطلاق إلى الدير أسوة بالأديرة الأخرى فوقع اختياره على قرية الزوَرا التى تأتى فى العربية الصحيحة بمعنى عزبة واشترى قطعة فسيحة من الأرض تطل على الضفة الشرقية لبحر يوسف وبنى عليها مقراً لإدارة الدير ثم عاد وأرفق به كنيسة باسم الأنبا صموئيل جاءت بركة عظمى لمسيحيى القرية والبلاد المجاورة التى ليست بها كنائس ، وأخذ يقوم برفع القرابين وتأدية الشعائر يساعده فى ذلك أحد رهبان الدير الكهنة الذين لا تخلو ادارة الدير غالباً من واحد منهم .

مساحة الدير قديماً وحديثاً

قدر خبراء المعمار الذين زاروا دير الأنبا صموئيل وطافوا حول أطلاله البالية الرقعة التى كانت تقوم عليها المبانى المندرسة باثنى عشر فداناً ، وليس هذا بكثير على دير كان يسكنه أكثر من مئتى راهب حتى أواخر القرن الثانى عشر .

أما الآن فقد ذهبت قصوره البيضاء وزالت أسواره الشاهقة وحدائقه الغناء وانكمشت مساحته فى رقعة صغيرة لا تتجاوز الفدان الواحد يقوم عليها الحصن القديم مع كنيسة أثرية يرجع تاريخها إلى القرن السابع .

هذا وقد بنى به القمص اسحق عدة قلالى متواضعة وكنيسة حديثة وأنشأ به حديقة صغيرة بها قليل من أشجار النخيل وبعض الخضروات كما أضاف إليه القمص متى المسكين أثناء وجوده هناك مجموعة من القلالى الصحية الحديثة كان الرهبان فى أشد الحاجة إليها .

أثر الآباء الأوائل فى قدسية الدير الحالى

مما لا شك فيه أن الأنبا صموئيل كان زاهداً تقياً مملوءاً من النعمة والقداسة كما تشهد بذلك سيرته الكريمة التى تذكر ما أكرمه به الرب من معجزات باهرة حتى أنه أقام ميتاً بإيمانه العظيم .

ولما رقد على رجاء القيامة وعرض تلميذاه جسده الطاهر فى الكنيسة ليلقى عليه الاخوة نظرة الوداع قبل دفنه أقبل أحدهم وكان مرتلا ضريراً وأخذ يد الأب الطوباوى ووضعها على عينيه فعاد إليه البصر حالا فمجد الحاضرون الرب وأقبلوا على التبرك من جثمان صفيه المقدس .

كما تتلمذ له فى حياته رجلان معروفان بسيرتهما الطاهرة النقية وهما الأنبا يسطس والأنبا أبللو اللذان عاشا بين يديه وتهذبا بمبادئه المسيحية وتعاليمه الرهبانية ثم خلفاه أخيراً فى تدبير الاخوة . ولا يزال الدير يحتفظ برفات مؤسسه مع تلميذه الأول إلى هذا اليوم .

لهذا تقدس أديم هذه البقعة التى عاش عليها رجال الله الأماجد فى تبتل وطهارة ونسك ومحبة حتى صارت مصدر تعزية وبركة لكثيرين من الذين زاروها .

ويقول الرهبان الذين عاشوا فى هذا المنسك الكريم انهم كثيراً ما رأوا بعض الظواهر العجيبة التى تدعو لتمجيد الله وتطويب قديسيه . وقد روى لى أحدهم وكان

قد أقام هناك بصفة مستديمة أنه ذات ليلة من ليالى شهر أغسطس سنة ١٩٢٧ بينما كان الرهبان القلائل يتناولون معاً طعام العشاء ولم يكن بالدير أحد سواهم إذ بناقوس الكنيسة يقرع من تلقاء ذاته ثلاث مرات متواليات فاندهش الآباء من هذه الحركة الغريبة وأخذوا يتساءلون فيما بينهم عما عسى يكون ! ! وفى الصباح الباكر وصلت القافلة وقال مرافقوها إن البابا كيرلس الخامس قد تنيح !

بطريركان من دير القلمون

تخرج من هذا الدير بطريركان عظيمان أسديا للكنيسة خدمات جليلة وهما :

البابا تيموثاوس الثانى

كان هذا المعترف العظيم راهباً بدير القلمون قبل خرابه الأول ، وسار فى بدء حياته الرهبانية سيرة حسنة أهلته أن يكون كاهناً بالاسكندرية . ولما تنيح البابا ديسقوروس شهيد المسيح الصادق الأمين فى منفاه بجزيرة غاغرا اختاره الأرثوذكسيون سنة ٤٥٥ م ليتولى قيادة الكنيسة فى نضالها ضد الخلكيدونيين الذين كانوا ينعمون بمؤازرة حكومة الاحتلال . وقد نفى بعد رسامته إلى الجزيرة النائية التى سيق إليها معلمه الصالح فحسب هذا شرفاً عظيماً لا يدانى ، وعندما أعاده إلى منصبه القيصر باسيليسكوس الأرثوذكسى حمل معه الرفات الطاهرة التى لأبينا ديسقوروس معلم الكنيسة العظيم وأودعها أرض الوطن فى مقبرة أسلافه بمدينة لاسكندرية ، وبعد أن أكمل جهاده الرسولى انضم إلى قومه فى ٣١ يوليو سنة ٤٧٧ م .

البابا غبريال الخامس

ترهب فى هذا الدير بعد أن كشف عنه الأنبا صموئيل وجعله مؤسسة رهبانية تحمل اسمه منذ أوائل القرن السابع ، وكان قد تخرب فى وقت غير معروف بعد نياحة البابا تيموثاوس الثانى .

ولما خلا الكرسى البطريركى بوفاة البابا متاؤس الأول وقع عليه اختيار الأساقفة فشرطنوه فى ٢١ أبريل سنة ١٤٠٩ م فرعى الكنيسة بكل أمانة ودقة فى ظروف قاسية من العوز والاضطهاد وكان ملماً بقوانين البيعة وطقوسها وله فى ذلك مؤلف جليل .

وبعد أن خدم جيله حسب مشورة الرب تنيح فى ٣ يناير سنة ١٤٢٧ م ومن ثم عاد الدير إلى خرابه للمرة الثانية قبل أن يكتمل القرن الخامس عشر وظل مهجوراً حتى كشف عنه رهبان الأنبا ايسيذوروس ، وأعادوا إليه الحياة الرهبانية كما ذكرنا سابقاً .

موقف باباوات الاسكندرية من دير الأنبا صموئيل

رفض البابا كيرلس الخامس أن يمنح هذا الدير صفة قانونية بعد تعميره ولكنه لم يمانع فى رسامة البعض من أبنائه كهنة بصفة استثنائية . فكتب فى ٧ برمهات سنة ١٦٢٢ ش كتاباً إلى الأنبا صرابمون مطران النوبة والخرطوم يكلفه برسامة الراهب ابراهيم الصموئيلى كاهناً ، كما بعث برسالة فى ٢٣ بشنس سنة ١٦٣٠ ش إلى مطران بنى سويف والبهنسا يوصى فيها بترقية الرهبان الذين يرشحهم رئيس دير الأنبا صموئيل لرتبتى القسيسية والقمصية .

وكان البابا يوأنس التاسع عشر ١٩٢٨ — ١٩٤٢ م المعروف بإحساناته الكثيرة يمد رهبان هذا الدير بمعونات مالية كلما أتيحت له الفرصة وذلك على الرغم من موقفه السلبى المعروف من الأسقف ايسيذوروس ورهبانه الذين كانوا سبباً مباشراً فى تعمير هذا الدير فى أواخر عام ١٨٩٧ م ولما عرض عليه البت فى مصيره رفض أن يعترف به كدير قانونى فى المجمع المنعقد برئاسته فى ٣٠ يونيو سنة ١٩٣٧ .

أما البابا مكاريوس الثالث ١٩٤٤ — ١٩٤٥ المعروف بعطفه على الأنبا ايسيذوروس وصداقته للقمص مكسيموس اسحق فلم يتخذ أثناء بطريركيته أى

قرار بشأن هذا الدير وذلك للمشاكل الكثيرة التى واجهته أيام رئاسته القليلة .

ولما جلس على كرسى الحبرية البابا يوساب الثانى ١٩٤٦ — ١٩٥٦ لم يبد أى امتعاض فى بادىء الأمر نحو هذا الدير ولكن عندما أثار حفيظته بعض الرهبان الذين كانوا ينتسبون إليه سابقاً اضطر أن يتخذ قراراً دورياً بعدم الاعتراف بأية رهبنة تحدث خارج أسوار الأديرة السبعة المعروفة .

أما البابا كيرلس السادس الذى تولى رئاسة هذا الدير فترة من الزمن ووقف على جميع مشاكله وأعوازه فعندما تولى إدارة الكنيسة فى ١٠ مايو سنة ١٩٥٩ بادر بالاعتراف به كدير قانونى فى المجمع المنعقد برئاسته فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٥٩ .

رؤساء دير الأنبا صموئيل

خلت مكتبة الدار البطريركية من الوثائق المتعلقة بهذا الدير عندما كان مزدهراً على عهد البابا تيموثاوس الثانى . كما اننا لم نجد فى مخطوطات الأديرة شيئاً يتعلق برؤسائه فى الفترة الكائنة ما بين القرن السابع والخامس عشر ، وكل ما لدينا الآن هو أسماء رؤسائه الذين أشرفوا على إبرازه وتعميره فى المرحلة الأخيرة وهم :

القمص اسحق مكسيموس

ولد فى مدينة المنيا حوالى سنة ١٥٧٤ ش وترهب فى دير سيدة برموس يوم الأحد ١٤ برمهات سنة ١٥٩٨ وذلك فى رئاسة القمص يوحنا الذى رسم فيما بعد مطراناً على البحيرة وبطريركا للكرازة المرقسية باسم يوأنس التاسع عشر . وقد تتلمذ فى بدء رهبانيته للقمص عبد المسيح جرجس المسعودى الذى عندما وقف على نشاطه وطاعته عمل على رسامته قساً فى ٢٨ برمهات سنة ١٦٠١ ش ثم عين أميناً للدير وشرطن قمصاً فى ٨ بشنس سنة ١٦٠٢ ش . ولما نشب النزاع بين البابا كيرلس الخامس والمجلس الملى وصدرت الأوامر الحكومية بنفيه إلى دير سيدة برموس وإبعاد الأنبا يوأنس إلى دير الأنبا بولا رافق صاحب الترجمة الأخير فى منفاه وظل فى خدمته حتى أعيد بأمر من الخديوى صدر فى ٢٠ يناير سنة ١٨٩٣ .

وظل الأب اسحق فى ولاء مع البابا ووكيل الكرازة المرقسية حتى قام كلاهما بطرد الأسقف ايسيذوروس فى أواخر سنة ١٨٩٧ م وتجريد الرهبان الذين قام بترقيتهم فوقف بجانب الآباء وأخذ منهم إحدى عشر راهباً وتوجه بهم إلى أطلال دير الأنبا صموئيل وقام بتعميره كما أسلفنا .

وعلاوة على أعماله الإصلاحية الكثيرة فقد أنشأ مدرسة تخرج منها كثيرون من أبناء القرى المجاورة فصاروا ينظرون إليه فى خشوع واحترام . كما كان ملماً بطقوس الكنيسة يحدّث أبناءه بأخبار القديسين الشهية ويعظهم فى بساطة وروحانية وبعد أن أكمل جهاده لبى نداء ربه يوم الأربعاء ٢٣ مارس سنة ١٩٣٨ م .

القمص عوض ميخائيل

ولد فى نزلة أسمنت من أعمال أبو قرقاص سنة ١٨٧٦ م وترهب بدير الأنبا صموئيل سنة ١٩٠١ ثم نزح منه إلى دير سيدة برموس وبعد أن صرف به زمناً سكن فى دير الأنبا بشوى ونال ثقة رئيسه القمص بطرس فرسمه كاهناً سنة ١٩٠٧ وعينه أميناً للدير فظل فى خدمته عدة سنوات عاد فى نهايتها إلى الدير الذى ترهب به أولا . ولما توفى القمص اسحق خلفه فى الرئاسة وقام بأعباء وظيفته إلى أن تنيح سنة ١٩٤٢ م . وكان ملماً بحساب الابقطى وقد طبع فى ذلك جدولا يعين مواقيت الأعياد القبطية فى السنين القادمة .

القمص مينا المتوحد

أسندت إليه رئاسة الدير سنة ١٩٤٤ من قبل الأنبا أثناسيوس مطران بنى سويف السابق الذى كان يهتم به لوقوعه فى دائرة إيبارشيته فقام فيه بإصلاحات كثيرة ورهب به عدداً من الشبان المثقفين المعروفين بميولهم الدينية ومحبتهم للكنيسة ، وكان الدير فى عهده غير معترف به من الدار البطريركية فلما تولى البطريركية باسم الأنبا كيرلس السادس بادر بالاعتراف بقانونيته كما أسلفنا .

القمص مينا

ترهب فى دير الأنبا صموئيل على يد القمص مينا المتوحد ثم رسم كاهناً وعين رئيساً للدير ، وهو لا يزال فى منصبه يعمل فى صمت وهدوء ، ناكراً لذاته محباً لإخوانه مضحياً فى سبيل راحتهم بكل ما تملكه يداه .

الطاحون العجيب

جاء فى تاريخ الأنبا صموئيل لمؤلفه الشماس نصيف فانوس المطبوع سنة ١٩٥٢ ص ٣٦ ، ٣٧ نقلا عن مجلة الإيمان الصادرة فى شهر كيهك سنة ١٦٦٦ ش « انه كان فى هذا الدير طاحونة للغلال على رأسها عصفورة تدار ليلا ونهاراً وينزل منها الدقيق أولا بأول . وإذا حدث لها عطب فإن غراباً كان يطير إلى ناحية الغرق من أعمال مديرية الفيوم وهناك ينعق فوق بيت نجار فيعرف أن الطاحونة تحتاج إليه فيذهب للدير ويجرى إصلاحها » .

فهل هناك تشابه بين رسالة هذا الغراب ورسالة زميليه اللذين عالا ايليا النبى بالخبز واللحم عند نهر كريت (١ مل ١٧ : ٢ — ٦) والأنبا بولا فى مغارته بصحراء مصر الشرقية ؟ ! تاريخ الكنيسة القبطية ص ٩١ .

مكتبة
دير السيدة العذراء (السريان)

دير مار مينا

كنيسته ـ مدينته ـ ديره الجديد

مينا ويقال له أيضاً ميناس، وأبو مينا، وبومينا هو الشهيد المصرى الصميم الذى ولد سنة ٢٨٥ م من أب مسيحى يقال له أودكسيوس وأم مؤمنة تدعى أوفيمية . كان كلاهما من مدينة نقيوس التى تخربت بعد دخول العرب ، وقامت على أنقاضها الآن قرية زاوية رزين من أعمال المنوفية .

وقد كان أبوه والياً لإحدى المقاطعات فى الامبراطورية الرومانية على عهد كارينوس ٢٨٢ - ٢٨٤ م ، إلا أن المؤرخين اختلفوا فى اسم هذه الولاية فتقول المخطوطات القبطية والمؤلفات المتأخرة التى أخذت عنها إنها فى أفريقيا القديمة التى تقوم عليها الآن المملكة الليبية وأجزاء من الجمهورية التونسية. بينما تذكر المصادر الأجنبية أنه كان والياً على فيريجيه من أعمال آسيا الصغرى. وقد أخذ كتابنا بالرأى الأول . أما الثانى فقد انفرد بذكره مؤلفو اليونان الذين ربما أرادوا بذلك أن يجردوا هذا البطل المغوار من مصريته الأصيلة ويخلعوا عليه جنسيتهم ، كما فعلوا ببعض أعلامنا قبل الانشقاق أو اختلط عليهم الأمر فى قراءة سيرته القبطية فصحفوا Afrikia التى وردت فى اللهجة الصعيدية Afrigia إلى Feregia

وظيفة القديس واستشهاده

عندما بلغ مينا الحادية عشر من عمره توفى أبوه ولحقت به أمه بعد ذلك بثلاث سنوات ، ولما بلغ الخامسة عشر أقنعه أحد أصدقاء والده بالتطوع فى خدمة الجيش الرومانى فانتظم فى سلكه ، وأخذ نجمه يلمع فى الأوساط العسكرية حتى وصل بسرعة إلى رتبة رفيعة وعرف بين أقرانه بالأمانة والبسالة ، وظل فى منصبه إلى أن أعلن دقلديانوس سنة ٣٠٣ م قراره الوحشى الخطير الخاص باضطهاد

النصارى فى كل بلاد الامبراطورية ، فاعتزل هذا الفارس عمله ولجأ إلى البرية عاكفاً على الصوم والصلاة ، ولكى يوفر لنفسه إكتفاء ذاتياً فى هذه المنطقة البعيدة أصلح رقعة واسعة من الأرض وجعل منها مزرعة يانعة كان يأخذ من ريعها ما يكفى لسد أعوازه ويتصدق بما يفضل عنه على الفقراء والمساكين . وذات ليلة بينما كان يقوم بتأملات روحية عميقة ويصلى فى حرارة إلى الله رأى السموات مفتوحة والشهداء الذين سفكوا دماءهم حباً فى المسيح يتوجون بأكاليل نورانية فقام فى الصباح وسلم جماله ومزارعه إلى رجل ليبى يدعى بورفيريوس ومضى على الفور إلى عاصمة الولاية وهناك أعلن عن إيمانه بالسيد المسيح فقبض عليه مرازبة الشر ، وبعد أن عذبوه كثيراً تشرف بإكليل الشهادة فى الخامس عشر من شهر هاتور سنة ٣٠٩ م ، وهو يومئذ فى الرابعة العشرين من عمره .

جسد القديس فى حملة عسكرية

دفن مار مينا من محبيه وعارفى فضله فى المدينة التى استشهد بها ، وظل جسده هناك إلى أن أغار البربر على مريوط وحدود مصر الغربية فطلب والى المنطقة المعتدى عليها مدداً عسكرية من أفريقيا فاسعفته حكومتها بفرقة عسكرية تحت قيادة أمير يقال له أثناسيوس ، كان يعتز بصداقة الشهيد الجليل ويقدسه بعد موته بصورة جعلته يحمل رفاته ويأتى بها مع عتاده وجيشه فى سفينة بحرية إلى مدينة الأسكندرية فوصلها بعد أن تعرض مع رجاله لهجمات من وحوش بحرية مخيفة لم ينجوا منها إلا بذخائر القديس وشفاعته المقبولة . ومن ثم خرج القائد لمقابلة أعدائه فى عرض الصحراء الغربية والجند يتقدمونه بجثمان الشهيد وكأنه تابوت العهد المقدس حتى التقى بهم فى موقعة فاصلة ففتك بهم وقضى على ثورتهم الخطيرة .

وعندما أراد أثناسيوس الرحيل من بلدة « استى » بمريوط فى طريقه إلى أفريقيا وهو يحمل معه الجسد المقدس الذى كان فى نصرة رجاله رفض الجمل المعد لنقله أن يخطو به خطوة واحدة فاستبدله بآخر فلم يتحرك أيضاً من مكانه ، وهكذا

القديس مينا بين جمليه

فشلت التجربة فى ثالث ورابع ! وعندئذ أدرك القائد أن الله اختار هذه البقعة لدفن صفيه الشهيد الذى يظن أن أمه ولدت فى قرية منها ، فرسم صورته على لوح من خشب وقد سجد تحت موطىء قدميه بعيران صغيران ووضع الرقات فى صندوق فاخر وبنى عليه قبراً وانصرف فى طريقه .

اكتشاف قبر القديس

ظل الجسد ثاوياً فى مكانه دون أن يعلم به أحد حتى شاهد صبى كسيح يسكن على مقربة منه نوراً يشع من مدفنه فزحف اليه وبات ليلة هناك ، وفى الصباح عثر

عليه ذووه وأردوا معاقبته لأنه تغيب دون إذن منهم فلما هموا بضربه قفز يجرى سليما معافاً !! فاندهش الناس لهذه الظاهرة العجيبة وأتوا بالكثيرين من مرضاهم فأكرمهم الرب من أجل شهيده بالشفاء !

ويقول السنكسار القبطى إن خروفاً أجرب غطس فى نبع انفجر قرب قبر القديس ثم تمرغ فى ترابه فعاد صحيحاً فتعجب الراعى وأخذ يعالج خرافه المعطوبة على هذه الطريقة . ولما انتشرت أخبار القديس الشفائية فى أرجاء العالم قصدته ابنة قيصر القسطنطينية . وكانت تشكو من جزام خبيث وأخذت من تراب القبر وبللته بماء النبع ثم طلت به جسمها ونامت بجانب الضريح وعندما استيقظت لم تجد أثراً لدائها الوخيم .

بناء كنيسة مريوط

على إثر هذه المعجزة وغيرها من العجائب هرع الناس لزيارة القديس العظيم من مختلف جهات الأرض ، فبنى البابا أثناسيوس الرسولى كنيسة جميلة للمترددين على هذا المكان الطاهر ولكنها كانت صغيرة بالنسبة لجماهير الوافدين عليه ، فلما جلس على كرسى الكرازة البابا ثاؤفيلوس شيـــد على مقربة منها كاتدرائية كبرى أفرغ المهندسون عليها كل ما فى جعبتهم من تنسيق وجمال حتى جاءت تحفة معمارية ليس لها فى البلاد المصرية ما يضارعها . فقد كان طولها ستين متراً ولا ينقص عرضها عن نصف هذه القيمة إلا قليلا . ويقال إن الامبراطور أركاديوس ٣٩٥ - ٤٠٨ م هو الذى أنفق عليها من مال الدولة وجعل جميع أدوات الزينة فيها من ذهب وفضة .

تهدم البيعة وخرابها النهائى

ظلت كنيسة مار مينا محتفظة بجمالها ورونقها حتى قدم الأسكندرية من بغداد فى عهد البابا يوساب الأول ٨٣١ - ٨٤٩ م رجل نسطورى يدعى لعازر يحمل من الخليفة العباسى أمراً بالاستيلاء على مجموعة من الأعمدة الرخامية لحاجة الحكومة

اليها فاجتمع به حال وصوله الموتورون من أراخنة الملكيين وحرضوه على هدم كنيسة مار مينا ونهب مقتنياتها فقام على الفور بتنفيذ مشورتهم الردية وأخذ من الكنيسة أجمل ما بها من أعمدة رخامية وبلاط ملون . فاغتم البابا لهـــذه الخسارة الجسيمة التى لم يقدر أن يتفاداها ، ولكنه استطاع فيما بعد أن يرمم هذه البيعة ويعود بها إلى رونقها الأول .

واستمرت الكنيسة قائمة فى ثوبها المعارى البديع تلاطم أمواج الزمن حتى خلت منطقتها من النصارى فأهملت وتهدمت ، وأخذ البدو فى نقل أمتعتها وبيع محتوياتها الرخامية الجميلة . وكان آخر من أشار اليها من المؤرخين وهى فى حالة جيدة هو الشيخ أبو المكارم جرجس بن مسعود الذى توفى فى الربع الأول من القرن الثالث عشر .

جسد القديس بعد خراب بيعته

تقول بعد الميامر التى تناولت حياة الشهيد إن الإعراب عندما كانوا ينقضون المبانى بحثاً عن الكنوز المزعومة ! عثروا على صندوق جميل الصنع محلى بالصلبان والنقوش الرائعة فتقدموا به إلى أمير البلاد فعالجه حتى فتحه ، وإذ لم يجد به غير عظام بالية استشاط غضباً ، وأمر بطرحها فى مستوقد القصر ولكنها لم تحترق ! ! وعندئذ تقدم لأخذها كاتم سره ، وهو رجل مسيحى يقال له « شيخ الضيعة » ووضعها فى صندوق بمنزله وهو يعتقد فى قرارة نفسه أنها لقديس عظيم ، وظلت فى ضيافته بأشمون الرمان إلى أن انتقل بحكم عمله إلى مدينة بنها فحمل معه الرفات الطاهرة دون أن يعرف اسم صاحبها ، وهناك ظهر الشهيد لراهب تقى اسمه اسحق يمت بصلة القرابة إلى شيخ الضيعة وكشف له عن شخصيته الجليلة فلما علم مضيفه بذلك وضعه فى غرفة خاصة ، وأخذ يكرمه بالصلوات والبخور إلى أن انتقل من بيته بأمر إلهى إلى كنيسة مار مينا بفم الخليج فى حبرية البابا بنيامين الثانى ١٣٢٧ - ١٣٣٩ م ، وبمرور الزمن جهل موضعه لفترة طويلة إلى أن ظهر بهيئة جندى فى ٧ سبتمبر ١٨٧٣ م

للقمص تادرس مينا راعى الكنيسة ، وأمره أن يفتش عن الجسد فظل ينقب فى أرجاء الكنيسة حتى عثر عليه فى سرداب أرضى داخل تابوت يحمل اسمه وبجانبه مخطوط يتضمن سيرته الشهية فنقله إلى المقصورة الحالية التى عملت برسمه ولا زالت تحتفظ بعظامه المكرمة إلى هذا اليوم .

مدينة مار مينا

وتقع على بعد سبعين ميلا فى الجنوب الغربى من الإسكندرية وكانت لجمالها الفائق وحسن تنسيقها تسمى « بالمدينة الرخامية » ، وقد أمر بتشييدها الملك زينون ٤٧٤ - ٤٩١ م فى الموضع القائم بين قـــبر القديس وكنيستيه وسكنها عدد ليس بقليل من القبط والروم . وفيها ولد البطريرك المصرى الأرثوذكسى البابا أغاثون ٦٦٣ - ٦٨٠ م . ويرى الأسقف ايسيذوروس والقس منسى والأمير عمر طوسون فى المؤلفات التاريخية المنسوبة اليهم أن البابا بنيامين الأول ٦٢٣ - ٦٦٣ م كان من هذه المدينة إلا أن الشماس كامل صالح نخلة فى جدوله المصحح لبطاركة الأسكندرية ينسبه إلى بير شوط من أعمال البحيرة .

وعند الفتح العربى جرت بين الروم والمسلمين موقعة خطيرة قرب مريوط التى يرجح أن عمدتها وقتئذ كان خلكيدونياً ، وحينما استقرت بمصر أقدام الفاتحين أقدم ابنه المدعو ثاوفانيوس على اعتناق الاسلام فى ولاية عصبة بن عبد العزيز .

وقد كان البابا مرقس الثانى ٧٩٩ - ٨١٩ م معجباً بالمدينة الرخامية كثير التردد على كنيستها التى خدمها شماساً قبل جلوسه على كرسى البطريركية ، وفيها رسم جرجس وابنه ابراهيم أسقفين بعد أن نبذا ضلالة « برشنوفة » وجعل الواحد على كرسى طنطا والآخر أسقفاً لأتريب .

ويفهم مما كتبه الرحالة أبو عبيد البكرى سنة ١٠٨٦ م أن هذه المدينة ظلت عامرة إلى أن تخربت على أيدى جيوش الخليفة الفاطمى عبد الله المهدى الذى غزا الأسكندرية سنة ٩١٤ م ، ثم ارتد عنها وذلك قبل أن يفتحها جوهر الصقلى .

أديرة مريوط

لم تكن فى مريوط مؤسسات رهبانية بالمعنى المعروف فى نيتريا ومنطقتى القلالى وشيهيت، ولكن وجد بها دير طمنورة الذى اشتهر برئيسه يوحنس صانع العجائب ومنه خرج البابا تاؤدوروس ٧٣٠ - ٧٤٢ م .

وجاء فى الجزء الثانى من دليل المتحف القبطى ص ٢٤٠ « مريوط وهى مركز من مراكز الحدود الغربية غرب الأسكندرية ولم يبق بها سوى أطلال كنيسة كبيرة فى الدير المعروف بظهوره وكان فيه جماعة من الرهابنة الشيوخ والشباب يعذبون أجسادهم بالحديد والسلاسل » .

وقد استولى الروم الملكيون على هذه الكنيسة والدير الملحق بها بعد الانشقاق الخلكيدونى وزارها من أقطابهم الأنبا صفرنيوس أسقف بيت المقدس ٦٣٤-٦٤٢م ووصفها كأجمل كنيسة تقوم فى مصر والصحراء الليبية . كما قصدها يوحنا الرحوم بطريرك الأسكندرية اليونانى ٦٠٨ - ٦٢٥ م الذى عندما تذوق النبيذ المحلى الذى يصنعه الرهبان انحى باللائمة عليهم لأنهم لم يقدموا له منه حال وصوله .

وعندما تغير الوضع السياسى بدخول العرب استرد القبط كنيسة مار مينا والدير الملحق بها من أيدى البيزنطيين الذين اغتصبوها أكثر من مرة واحتفظوا بها إلى أن قضت عليها كوارث الزمن .

ومع أن أديرة مريوط لم تنجب من باباوات الأسكندرية غير البطريرك تاؤدوروس الذى أشرنا اليه آنفاً إلا أن التاريخ يؤكد أن البابا يوحنا الرابع ٧٧٧ - ٧٩٩ م الذى ترهب بالأسقيط المقدس كان كاهناً لكنيسة الشهيد مار مينا قبل اختياره للبطريركية ، كما أن تلميذه الذى خلفه على الكرسى باسم مرقس الثانى ٧٩٩ - ٨١٩ م كان شماساً فى هذه الكنيسة يخدمها بعلمه وتقواه وتراتيله الشجية .

▲ ▲ ▲

دير مار مينا الجديد

إن أول من فكر فى إحياء ذكرى هذا الشهيد وزيارة مثواه المكرم والكشف عن معالم مدينته القديمة فى القرن العشرين هم أعضاء جمعية مار مينا بالإسكندرية وفى مقدمتهم المرحوم بانوب حبشى أستاذ الآثار ، ومدير المتحف اليونانى الرومانى فقاموا برحلات إلى هذه المنطقة التاريخية التليدة وعملوا على الكشف عن مدينتها وتجديد كنيستها المجيدة .

ولما رسم القمص مينا المتوحد بطريركا باسم البابا كيرلس السادس فى ١٠ مايو سنة ١٩٥٩ زار مثوى هذا الشهيد العظيم الذى كان يتخذ منه شفيعاً وشجع الغيورين على تعمير هذه البقاع ذات الذكريات العزيزة ، ولكى يضفى عليها مجداً من قديسيها نقل اليها فى الخامس عشر من شهر فبراير سنة ١٩٦٢ م بعض أجزاء من الجسد الطاهر الذى لا يزال أصله محفوظاً فى الكنيسة التى تحمل اسمه المبجل بفم الخليج .

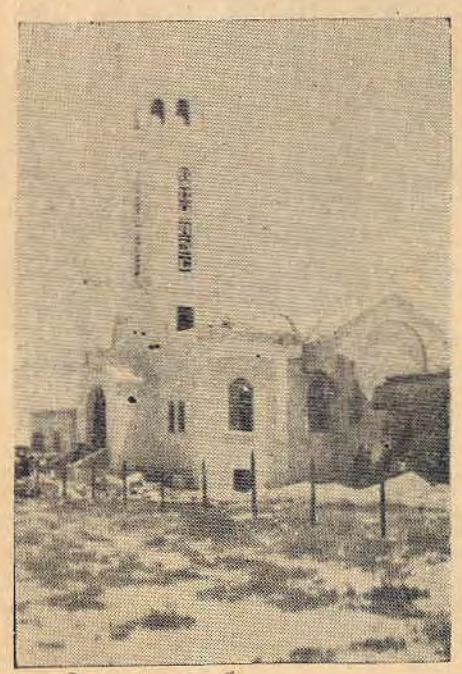

كنيسة مار مينا الجديدة بمريوط

وعلى الرغم من ندورة المياه الجوفية فى مريوط فإن قداسة البابا اشترى فى هذه المنطقة نحو مئة فدان من هيئة تعمير الصحارى وشيد على جانب منها كنيسة برسم شفيعه الجليل تبعد مئات الأمتار عن بيعته المندثرة ، ثم جعل له مسكناً خاصاً تجاوره عدة غرف أعدت لسكنى الكهنة المنتدبين للصلاة من الأديرة الأخرى . ولما كانت نية البابا المعظم متجهة إلى إنشاء

دير يملأ به الفراغ الذى تركته كنيسة مار مينا بعد خرابها فقد جعل من الكنيسة الحديثة والمبانى المرفقة بها ديراً مثالياً يغمر ظله هذه البقعة العزيزة ، وفتح أبوابه للرهبنة فأقبل عليه عدد من الشباب الراغبين فى الزهد والتبتل ، حصل معظمهم أخيراً على رتبة القسيسية .

ويقاسى رهبان مار مينا أتعاباً جمة فى جلب مياه الشرب من محطة بهيج إلى ديرهم العامر الجديد لذا تراهم يراقبون بشغف زائد الجهود الجبارة التى تقوم بها حكومتنا الرشيدة لرى هذه المناطق النائية . وفى سبيل ذلك شقت فرعاً من ترعة النوبارية اتخذ طريقه فى وسط مديرية التحرير وعبر منها إلى مريوط حيث تدفقت مياه النيل لأول مرة فى أفواه الأراضى الجدباء فأحيتها بعد موات طويل وأصبح مسيرها الآن لا يبعد عن الدير إلا قليلا . ولنا ملء الأمل أن يصل اليه فى القريب العاجل ثم يتجاوزه إلى مسافة أبعد فيعم الخير ويزداد الرخاء ويتمكن الرهبان من زراعة أراضيهم فيحصلون بذلك على نوع من الاكتفاء الذاتى .

« عند كثرة همومى تعزياتك فى داخلى تلذذ نفسى »

(مز ٩٤ : ١٩)

المؤلف

ولد فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١١

ذهب إلى دير السيدة بالسريان فى أول ديسمبر ١٩٢٩

ترهب فى ٢ مارس سنة ١٩٣٠

رسم قساً من البابا يؤانس التاسع عشر فى يوم الأحد ٢٣ أغسطس سنة ١٩٣١ فى كنيسة السيدة بالسريان وشرطن قمصاً بيـــد الأنبا ايساك مطران كرسى الفيوم يوم الاثنين ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٦ فى بيعة العذراء بالمغارة . وما زال زورق حياته يلاطم أمواج محيط العالم المضطرب .

دير القديسة كاترين

يقع هـذا الدير الأثرى العظيم الذى يسكنه رهبان من الروم الملكيين فى الجزء الجنوبى من شبه جزيرة سيناء ، وهى إحدى البقاع المصرية الصميمة ، التى احتفظت بها حكوماتنا منذ القدم عبر القارة الاسيوية ، ودافعت عنها كجزء لا يتجزأ من بلادنا العزيزة .

سيناء فى الكتب

أشارت الكتب المقدسة فى جميع الأديان إلى هذه الأراضى الطاهرة التى نزلها العبرانيون عند خروجهم من مصر سنة ١٤٩٠ ق . م بعد أن عبروا البحر الأحمر عند فم الحيروث بمعجزة إلهية . فجاءوا أولا إلى برية شور التى هربت إليها هاجر (تك ١٦ : ٣) ثم توغلوا أخيراً فى سيناء ، وتاهوا بين جبالها المرتفعة ووديانها العميقة أربعين سنة ، وضعت فيها شريعتهم وانتظمت كنيستهم .

وقد رأوا فى هـذه المدة من الآيات الباهرات ما لم يشهده شعب آخر . . فقد أشبعهم الرب بالمن والسلوى ، وفجر لهم من الصخر ماء عذباً ، وظللهم بالسحاب نهاراً ، وأضاءهم بعمود النور ليلا . وكان من أبرز المظاهر الرهيبة التى أبصروها نزول الله بمجده وجلاله ، ملتحفاً بالسحاب على قمة جبل حوريب التى تعلو سطح البحر بمقدار ٧٠٣٥ قدماً .

ولكن اليهود — الذين عرفوا بالتمرد وغلاظة القلوب — لم يحتفظوا بصنيع الرب ، ولم يراعوا حرمة هذا المكان المقدس ، بل صنعوا لهم عجلا ذهبياً وسجدوا أمامه على اختلاف أسباطهم ، ناسبين إليه كل ما شاهدوه فى القفر ، من رعاية ومعجزات .

فى هذه الوهاد التاريخية المجيدة ، التى أعلن الرب فيها عن قدرته السرمدية برعود وبروق . وعند سفح جبل الله المقدس الذى يقال له حوربب (تث ١ : ٦) وجبل

سيناء (خر ١٩ : ١٢) المعروف عند المؤرخين بجبل موسى ، بنى دير القديسة كاترين الذى لا يزال عامراً برهبانه غنياً بتراثه إلى هذا اليوم .

القديسة كاترين

ولدت هذه الفتاة التقية بمدينة الاسكندرية ، فى أواخر القرن الثالث ، من أبوين مصريين كانا يدينان بالوثنية ، وقد حباها الله عقلا راجحاً وجمـــالا فائقاً ، زينته بثقافتها الفلسفية التى جعلتها موضع إعجاب لكل من رآها .

القديسة كاترين

ويقول المؤرخون الذين تناولوا سيرتها العطرة ، أنها شاهدت فى رؤيا الليل السيدة العذراء ومعها الطفل يسوع ، فحاولت أن تقترب منها ، إلا أن الصبى كان يزجرها كلما أرادت ذلك . فلما أصبحت ذهبت إلى أحد كهنة النصارى وقصت عليه رؤيتها ، فأشار عليها أن تعتنق المسيحية . . وتكرس حياتها للرب يسوع فأذعنت لمشورته الصالحة . ولما اصطبغت بالمعمودية المقدسة تكررت معها الرؤيا فى اليوم التالى ورأت يسوع يرحب بمقدمها ويدعوها إليه بفرح وابتسامة ، فازدادت ثقة وإيماناً ، وأخذت من تلك الساعة تتعمق فى دراسة الكتاب المقدس وفحص غوامضه حتى صارت علماً من أعلامه .

وفى سنة ٣٠٧ م قدم إلى الاسكندرية مكسيميانوس قيصر ، وفى محاولة يائسة لإحياء الوثنية أمر بقتل الذين يدينون بالمسيحية ، فتصدت له كاترين ودخلت عليه المعبد وهو بين أوثانه ووبخته بصرامة على عبادته الباطلة ، فأعجب الملك بشجاعتها ، وإذ راقه جمالها حاول أن يجتذبها إلى ديانته لكى يتزوج منها ، فأتى إليها بعدد كبير من علمـــاء الوثنية وكهنتها لكى يناقشوها فى معتقداتها المسيحية ، فتغلبت عليهم ببراهينها القوية حتى آمن معظمهم ، فامتلأ القيصر حماقة وأمر بوضعها فى سجن مظلم بعد أن أوسعها عماله جلداً وضرباً . فجاءت لزيارتها ليلا زوجته فوستا ومعها القائد بورفيريوس ، وكانت قد شاهدتها فى حلم تدعوها إليها وتضع فوق هامتها إكليلا مشعاً . فلما علم مكسيميانوس بهذه الزيارة ورأى أن زوجته تريد إطلاق الفتاة أمر بإعدامها مع قائد جيشه ، ثم عاد وقطع رأس كاترين ، فاستشهدت وهى فى التاسعة عشرة من عمرها ، ودفنت بالاسكندرية ، ثم نقلت رفاتها فيما بعد إلى سيناء . ويعيد لها الروم واللاتين فى ٢٥ نوفمبر من كل عام . أما مؤرخو القبط فقد تحدثوا عن بسالتها واستشهادها ، ولكن لم يحددوا يوماً لتذكار نياحتها .

زمن تأسيس الدير

يفهم من مصادر تاريخية متعددة أن أتقيـاء المسيحيين اتخذوا من جبل سيناء منسكا منذ أوائل القرن الثالث . وان القديسة هيلانه بنت برجين فى الموضع الذى

يقوم عليه الدير لحماية الرهبان المنقطعين للعبادة فى هذا الموضع المبارك . كما يرجح أيضاً أنهـا أشرفت بنفسها على بناء كنيسة العليقة التى لا تزال قائمة إلى هذا اليوم .

والذى عليه معظم المؤرخين أن هذا الدير شيد سنة ٣٦٠ م باسم السيدة العذراء وهى الفترة التى بنيت فيها معظم الأديرة القبطية فى القطر المصرى ، ثم هدمه الغزاة من بدو ونوبيين وظـــل خرباً إلى أن أعاد بناءه الامبراطور جوستنيان الأول سنة ٥٤٥ م باسم القديسة كاترين . وهو العاهل الذى جمع القوانين الرومانية المعروفة باسمه ، وأكمل عمارة كنيسة أجيا صوفيا بمدينة القسطنطينية .

مساحة الدير وأشهر مبانيه

عهد الامبراطور جوستنيان إلى المهندس استفانوس البيزنطى بتخطيط الدير وتصميم كنائسه ، فجعل طوله ٨٢ متراً فى ٤٢ عرضاً وأحاطه بسور مرتفع وفتح فى أعلاه نوافذ صغيرة يستعملها الرهبان فى الدفاع وأغراض أخرى .

وفى داخل الدير مجموعة من الكنائس الأثرية الجميلة ، أكبرها كنيسة التجلى ، وهى تنخفض عن مستوى الأرض القائمة عليها بمقدار مترين ونصف المتر ، وينزل إليها بخمس عشرة درجة ، ولها باب عال من الخشب تزينه نقوش بارزة تمثل النبى موسى وحادثة التجلى وتقدمة ابراهيم لاسحق ابنه .

ولهذه الكنيسة ذات الطابع البازيليكى التى أسست فى عهـــد جوستنيان سبعة مذابح : ثلاثة منها على يمين الهيكل الرئيسى مكرسة باسم قزمان ودميان — سمعان العمودى — يواقيم وحنه ، يقابلها من الجانب الأيسر ثلاثة هياكل أخرى لمريم المصرية — قسطنطين وهيلانه — اندريانوس . أما المذبح الرئيسى الذى يتوسطها فهو برسم التجلى ولكنه صار يعرف أخيراً باسم القديسة كاترين .

ويفصل الهيكل عن صحن الكنيسة حجاب من الخشب مزين بالأيقونات الجميلة كما هو الحال فى معظم الكنائس اليونانية الملكية ، وداخل الهيكل توجد المذابح التى أشرنا إليها ، والرئيسى منها عبارة عن مائدة خشبية محلاة بالصدف تعلوها قبة مطعمة

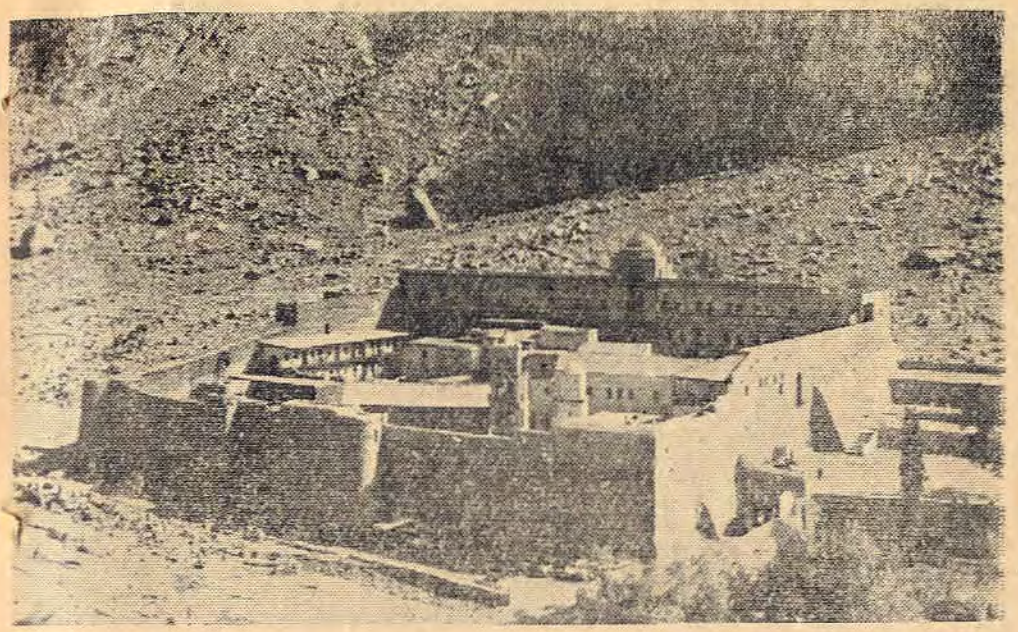

دير القديسة كاترين

بالعاج ترتكز على أربعة أعمدة خشبية . وخلف المذبح مدرج رخامى ينتهى بجدار على شكل نصف دائرة محلى بالفسيفساء وبه عدة صور جميلة .

وفى شرقى الهيكل توجد كنيسة باسم السيدة العذراء كغرفة صغيرة يقال انها موضع العليقة الملتهبة ، لهذا يصلى بها الكهنة وهم حفاة الأقدام إجلالا لقوله تعالى « اخلع حذاءك من رجليك لأن الموضع الذى أنت واقف عليه أرض مقدسة » (خر ٣ : ٥)

وعدا هاتين الكنيستين توجد داخل الدير أربع عشرة كنيسة أخرى ، معظمها لا يتسع لأكثر من اثنين من المصلين . ولما تكاثر الرهبان فى بقاع سيناء المقدسة تعرفوا على كثير من أماكن الكتاب التاريخيـــة وخلدوا ذكرياتها بكنائس صغيرة خارج الأسوار بلغ مجموعها سبع عشرة كنيسة ، أشهرها كنيسة الثالوث التى تعلو قمة جبل موسى . ومما يذكر أنه بين كنائس دير سيناء الكثيرة لا توجد واحدة منها باسم القديسة كاترين التى أخذ الدير منها تسميته الشهيرة .

كنائس سيناء والسلطان جقمق

ذكر السخاوى ص ١٢٥ من كتابه حديثاً مفاده أنه فى حكم السلطان جقمق ، احتج نور الدين ابرهيم بن ظهيره على رئيس دير سيناء ورهبانه أمام قاضى الحنفية بأن المذكورين صرحوا له بوجود ست كنائس فى ديرهم باسم موسى النبى ، والسيدة العذراء ، والقديس يوحنا ، والشهيد استفانوس، ومار باسيليوس ، والكرح . وأن هذه الكنائس تعلو عن مسجد الدير القديم . وفى إحداها منارة مرتفعة بها ناقوس يقرعه الرهبان ثلاث مرات يومياً .

كما أن هناك تسع كنائس متناثرة فى الطور عدا ثلاث بيـع بين وادى اللحاه والربوة ، وبيعة واحدة فى وادى الفقيرة .

وقال نور الدين أيضاً إن رهبان الطور استصلحوا مساحات شاسعة من أرض الوادى وزرعوها كروماً ونخيلا دون أن يدفعوا شيئاً من خراجها لبيت المال . ،

واستجابة لصوت الشاكى شكل السلطان سنة ١٤٤٦ م لجنة لفحص شكواه ! وأمرها بالسفر إلى سيناء لتقصى الحقائق على طبيعتها وصرف لكل واحد منها هجيناً وعشرين ديناراً ، فامتطوا أظعانهم وانطلقوا إلى هناك . وبعد أن استراحوا قليلا قاموا بمعاينة الأماكن التى أشار إليها ابن ظهيرة ، ثم كتبوا محضراً بذلك ، وعند وصولهم إلى القاهرة رفعوه للقاضى شرف الدين بن التبانى ، فأفتى بهدم الكنائس والقلالى وبيع أنقاضها لحساب بيت المال .

ويقول السخاوى أيضاً فى ســـياق حديثه أنه بعد دهر طويل استفتى الشيخ سراج الدين العبادى الشافعى فى هذا الأمر فأقره بشرح طويل لا داعى الآن لذكره .

عمرو وراهب الطور

روى المقريزى فى الجزء الأول من خططه ص ٧٦ ، وابن إياس ج ١ ص ٢٤ ، وابن وصيف شاه فى أخبار مصر ، وعنهم أخذ الياس الأيوبى فى كتابه تاريخ مصر الاسلامية ص ٩٣ أن عمرو بعد أن فرغ من فتح مصر طمع فى كنوز الأقباط فقال

لهم على رواية هشام بن أبى رقية اللخمى : « من كتمنى كنزاً عنده فقدرت عليه قتلته » . فلما شاع قوله بين العباد وشى إليه برجل من أقباط الصعيد يقال له بطرس فقبض عليه وسأله عن كنزه فأنكر ورفض أن يعترف به أو يرشد إليه ، فطرحه فى السجن وأمر من حوله بالتحرى عنه واستدراجه مع ملاحظة حركاته وأقواله ، فذهب أحدهم وأخبر الفاتح أنه يسأل دائماً عن راهب فى الطور ! ! فكتب عمرو برسالة إلى الراهب يقول فيها : « أن ابعث إلىّ بما عندك » وختمها بخاتم بطرس بعد أن انتزعه منه . وبعد أيام جاء الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص ، ففتحها عمرو وإذ به يجد فيها رسالة تخبر بأن مالكم تحت الفسقية الكبيرة ، فحبس عمرو عنها الماء ثم قلع البلاط الذى تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردباً ذهباً مصرياً ! !

دير القديسة كاترين فى الكنيسة اليونانية

يعتبر دير سيناء القسم السابع من أقسام الكنيسة اليونانية الملكية فى العالم ، وهى القسطنطينية والاسكندرية وانطاكية وأورشليم وبلاد المورة وقبرص وسيناء وكل قسم من هذه الأقسام مستقل بذاته فى إدارة شئونه ولكنه يشترك مع الأقسام الأخرى فى اللغة والجنسية والطقس والعقيدة .

وكان الدير قديماً تابعاً لإيبارشية بترا الفلسطينية . فلما سقطت مدينتها فى أيدى الملكة مافيا العربية سنة ٣٧٨ م على عهد الامبراطور فالنص تحوّل الكرسى منها إلى مدينة فاران ، ثم انتقل إلى طور سيناء سنة ٦٤٩ م التى حسبت منذ ذلك الحين وحدة كنسية مستقلة يرأسها مطران يلقب برئيس أساقفة طور سيناء وفاران ورايثو .

وقد فشل بطاركة الاسكندرية الملكيين فى الاستيلاء على هذا الدير وبرروا مطالبهم بوقوعه فى دوائرهم الراعوية ، إلا أن رؤساء الكنائس اليونانية الأخرى رفضوا تخويلهم هذه السيادة واعترفوا للدير باستقلاله ، على أن يقبل رئيسه الشرطونية من بطريرك أورشليم دون أن يخضع له فى شىء بعد الرسامة . ولكن

للبطريرك الحق أن يفصل فى الخلافات التى تنشب بين المطران ورهبانه ، متى طلبوا منه ذلك .

ويقيم رئيس أساقفة سيناء فى وكالة الدير بالقاهرة التى تقع حالياً بميدان الظاهر فى بناء فاخر جميل يشرف على ثلاثة شوارع يطلق على واحد منها اسم طورسيناء .

وبالنسبة لوجود وكالة الدير بالقاهرة ، فقد اشتكى نيكفوروس بطريرك اليونان الاسكندرى ١٦٢٩ — ١٦٤٥م وخليفته يوانيكوس ١٦٤٥ — ١٦٥٧ من رهبانها لأنهم يقيمون القداس فى ايبارشيته ويلبون الصينية دون إذن منه بذلك . وظل هذا الخلاف قائماً حتى وضع له حداً البطريرك ملاتيوس الاسكندرى فأبرم سنة ١٩٣٢ م مع المطران برفوريوس الحالى اتفاقية جاء فيها :—

« إن كرسى المطرانية السينائية هو دير جبل سيناء . ولهذا الدير الحق أن يكون له فى القاهرة وكالة يسكنها ثلاثة رهبان . وللبطريرك الاسكندرى الحق أن يطلب تغيير هؤلاء الرهبان حالا . وأن يكونوا مدة إقامتهم فى الوكالة المذكورة خاضعين لسلطة المحاكم البطريركية . وليس لمطران سيناء أن يقيم فى الأراضى الخاضعة للبطريركية ولا أن يقيم فيها الليتورجيا إلا بإذن البطريرك . وعليه حينئذ أن يذكر البطريرك فى الذبتيخا « مجمع القديسين » .

وللوكالة السينائية التى بالقاهرة الحق أن يكون فيها كنيسة بشرط أن تكون هذه الكنيسة خاضعة لمراقبة البطريرك وغير حاصلة على الحقوق الراعوية : تاريخ الكنيسة الملكية ج ٢ ص ١٨٤ و ١٨٥

▲ ▲ ▲

رؤساء أساقفة سيناء

عثر الباحثون من مؤرخى اليونان وغيرهم على أسماء سبعة وخمسين أسقفاً من أساقفة بترا وفاران وسيناء متناثرين فى بطون الكتب المختلفة كان أقدمهم عهداً المطران نتراس الذى عاش فى منتصف القرن الخامس ، ثم يأتى بعده أساقفة آخرون

وجدوا فى فترات غير منتظمة حتى منتصف القرن السادس عشر ، ومن ثم تقدم وثائق الدير قائمة بأسماء رؤسائه على النحو التالى :

ايفنيوس ١٥٧٥	١٧٨٩ — ١٧٩٤ فراغ
انسطاسيوس ١٥٨٣	زوروثيوس ١٧٩٤
لافرنديوس ١٥٩٢	١٧٩٧ — ١٨٠٤ فراغ بسبب
يواصف ١٦١٧	الحروب الفرنسية
انانياس البيزنطى ١٦٦١	قسطنديوس الثانى ١٨٠٤ كان رئيساً
يوانيكوس ١٦٦٨	للدير وبطريركا مسكونياً
قزماس البيزنطى ١٧٠٤	كيرلس الثانى ١٨٥٩ — ١٨٦٧
أثناسيوس ١٧٠٦	كاليه استراتوس ١٨٦٧ — ١٨٨٤
يوانيكوس الثانى ١٧١٨	بورفوريوس الأول ١٨٨٥ — ١٩٠٤
نيكوفوروس الكريتى ١٧٢٩	بورفوريوس الثانى ١٩٠٤ — ١٩٢٦
قسطنديوس الأول ١٧٤٩	بورفوريوس الثالث ١٩٢٦ وهو
كيرلس الكريتى ١٧٥٩	الرئيس الحالى .

مكتبة سيناء

يمتلك دير القديسة كاترين ، مكتبة ثمينة ذات شهرة عالمية ، ذاع صيتها فى كل أنحاء الأرض بعد أن زارها الرحالة السكسونى العلامة تشيندروف سنة ١٨٥٩ م وأتى منها بمخطوط لكل أسفار الكتاب المقدس ، يرجع تاريخه إلى القرن الرابع الميلادى . وقد اهتم بنشر هذا المخطوط النفيس على نفقته الخاصة ، اسكندر الثانى قيصر روسيا سنة ١٨٦٢ م فطبع منه ثلثمائة نسخة فى أربعة مجلدات ، قام بإهدائها إلى أصدقائه من العظماء والملوك ومكاتب أوروبا الشهيرة .

وما زالت المكتبة إلى الآن تجمع بين جدرانها مجموعة من المخطوطات النادرة ، منها ٢٤٠٠ باليونانية ، ٦٧٠ بالعربية ، ٥٠٠ بالسريانية مكتوبة بالقلمين الملكى والسطرنجيلى ، ١٢٠ بالأرمنية ، ٩ بالحبشية .

أما الكتب المطبوعة فيوجد منها أربعة آلاف مجلد يبتدىء تاريخها من وقت ظهور الطباعة إلى سنة ١٨٠٠ م ، وهذا بخلاف الكتب المطبعية التى وضعت بعد هذا التاريخ إلى يومنا هذا .

وأثمن المخطوطات التى ما زالت تحتفظ بها المكتبة قطارس باللغة اليونانية مكتوب على رق بماء الذهب فى حالة جيدة يقول البعض إنه من صنع البطريرك ثيؤدوسيوس المسكونى الذى عاش فى القرن التاسع ، والأرجح أنه من هدايا الملوك البيزنطيين لأنى لم أجد فى القرن التاسع بين بطاركة القسطنطينية من تسمى بهذا الاسم .

وكتاب آخر للأناجيل باللغة العربية يعتبر أقدم كتاب من نوعه مؤرخ سنة ٨٩٧ م . ثم سفر المزامير فى ست ورقات لا ترى حروفه بالعين المجردة ينسبه الرهبان إلى الراهبة كاسيانة البيزنطية التى عاشت فى القرن الثامن ، بينما لم تظهر النساخة من هذا النوع إلا فى القرن الثالث عشر ! !

كما يوجد بالمكتبة أيضاً سفر به مواعظ البطريرك كيرلس الأورشليمى كتب فى العشرة الأولى من القرن العاشر الميلادى ، وقطارس باليونانية والعربية ، وقوانين المجامع نسخا معاً سنة ٩٩٥ م .

ويعود الفضل فى ترتيب هذه المكتبة وتنسيق موادها للمرحوم الأستاذ يسى عبد المسيح أمين مكتبة المتحف القبطى سابقاً .

هذا وقد تعرض الدير ورهبانه للعدوان الاسرائيلى فى نوفمبر سنة ١٩٥٦ ، ويونيو ١٩٦٧

عدد رهبان الدير ووكالته فى الخارج ورعاياه

على الرغم من عظمة دير سيناء وشهرته الواسعة وكثرة أرزاقه فإن الإقبال عليه للترهب قليل جداً لهذا كان عدد رهبان الدير لا يزيد عن ستة وعشرين راهباً .

وللدير توكيلات « ميتوشى أون » فى روسيا ورومانيا وتركيا واليونان وكريت

وقبرص ولبنان ومصر لإدارة أوقافه الكثيرة المنتشرة فى هذه البلدان . ولكن بعد الثورة الروسية الحمراء وبلشفة رومانيا فقد الدير أملاكه الواسعة فى هذين البلدين كما قامت تركيا سنة ١٩٦٤ بحركة مماثلة فاستولت على أوقاف سيناء الواقعة فى أراضيها ، ورفضت أن تدفع تعويضاً عنها وقدرها المسئولون بعشرة ملايين ليرة عثمانية أو ما يعادل مليون جنيه مصرى .

وليست لأسقفية سيناء رعايا من المسيحيين فى الوقت الحاضر . لأن العائلات المسيحية التى جاء بها الامبراطور يوستنيان من نصارى الفلاخ برومانيا ، أو من طرابزون والأسكندرية فى رواية أخرى ، لحماية الدير والعمل فى مرافقه المختلفة . دخلت فى دين الاسلام بعد ظهور فتوحاته الواسعة واندمجت بين قبائل البدو باسم عشيرة الجبالية وماتت آخر امرأة مسيحية منهم سنة ١٧٥٠ م ، وذلك كما أفاد الأستاذ عباس مصطفى عمار فى كتابه « المدخل الشرقى لمصر » ص ١٨٣

وكانت فاران ورايثو مليئتين بالمسيحيين فى العصور الماضية إلا أنهما تخربتا فيما بعد . ومما يذكر أن رايثو ليست هى الطور كما يفهم البعض بل هى مدينة أخرى كانت تعرف « بالراية » وقد تهدمت ولا تزال أنقاضها ظاهرة جنوبى الطور الحالية بمقدار ثمانى كيلومترات « القاموس الجغرافى » ج ٤ ص ٢٦٧

مسجد الدير وآباره وحدائقه

ومن تسامح الرهبان واحترامهم لجميع الأديان أنهم أنشأوا مسجداً بداخل الدير وعلى بعد عشرة أمتار من الكنيسة الكبرى ليتمكن زائروهم المسلمون من تأدية الشعائر .

وليس بالمسجد ما يستحق الذكر سوى منبره الخشبى الذى كتب عليه بالخط الكوفى « باسم الإمام الآمر بأحكام الله والأمير أبو القاسم شاهنشاه الذى أمر بإنشائه فى سنة ٥٠٠ هـ » .

وبالدير ثلاثة آبار : الأولى هى عين موسى . والثانية من صنع المهندس استفانوس الذى قام بتصميم الدير وبنائه من قبل يوستنيان . أما الأخيرة فقد حفرها الرهبان فى وقت غير معروف .

ولصغر مساحة الدير فليس به أكثر من شجرة أو اثنتين ، إلا أنه يملك خمس حدائق غناء فى أماكن مختلفة من سيناء مليئة بالزيتون والكروم وجميع أنواع الفاكهة .

مشاهير سيناء

أخرج دير سيناء عدداً من القديسين والعلماء الذين خدموا فى مرافق مختلفة من الكنيسة اليونانية، نذكر منهم على سبيل المثال القديس نيلوس القسطنطينى + ٤٣٠م الذى ترهب بعد أن كان حاكماً للقسطنطينية .

والبطاركة أنسطاسيوس الأول وأغريغوريوس الأول وأنسطاسيوس الثانى الشهيد ، وقد تولى ثلاثتهم بطريركية الكرسى الأنطاكى فى الكنيسة الملكية .

كما عرف من علمائه أنسطاسيوس السيناتى + ٧٠٠ الذى تدل محاضراته على عدائه لمعتقد الطبيعة الواحدة .

والراهب أنسطاس + ٦٦٠م الذى دوّن قبل وفاته أربعين سيرة لآباء سيناء المعروفين .

ومما يذكر أن فى هذا الدير ترهب « قزمان » العالم الجليل والرحالة القبطى الكبير الذى طاف الهند والصين وسيلان وغيرها من البلدان وقد نشر المؤلف ترجمته فى العدد العاشر من رسالة المحبة الصادر سنة ١٩٥٢ ، هذا ولم يعرف من الأقباط أحد غيره سكن فى سيناء كما لم يكن للكنيسة القبطية أديرة فيها .

اليوبيل المئوى الرابع عشر

كتب الأنبا بورفيريوس إلى أساقفة الكنيسة الملكية فى العالم يدعوهم إلى مشاركته فى الاحتفال بمرور ١٤٠٠ سنة على تأسيس الدير فى عهد يوستنيان فأقبلت

عليه الوفود وفى مقدمتها جلالة الملك قسطنطين عاهل اليونان وبمعيته أسقفان والأنبا مكاريوس مطران قبرص ورئيس جمهوريتها ، وممثلون من الأساقفة لكل من كنائس القسطنطينية والاسكندرية وأورشليم وروسيا وفنلندا .

وفى صباح الأحد ١٨ سبتمبر سنة ١٩٦٦ قام الأنبا مكاريوس بصلاة القداس الاحتفالى فى كنيسة التجلى بالدير ، وبعد الصلاه اجتمع المحتفلون فى غرفة أنيقة وتبادلوا الهدايا مع الأنبا بورفوريوس رئيس أساقفة سيناء الذى تقبل من الملك قسطنطين قلادة اليونان الكبرى ، ومن الرئيس مكاريوس صينية من الفضة الخالصة ، ومن رئيس أساقفة فنلندا صليب فنلندا الأعظم وهو من الذهب المحلى بالماس ، ومن

جلالة ملك اليونان فى الوسط وعن يساره الأب اغريغوريوس وكيل الدير
وبجواره كبير الياوران وعن يمين جلالته الأب دميانوس الأستاذ بالمدرسة العبيدية بالقاهرة

جلالة الملك قسطنطين الثانى ملك اليونان يتوسط وفود الأساقفة الذين حضروا الاحتفال باليوبيل المئوى الرابع عشر لتأسيس دير القديسة كاترين ، وقد ظهر من يسار جلالته نيافة الأنبا مكاريوس رئيس أساقفة قبرص وعن أقصى يمينه (قبل الأخير) مار نيقولاوس الخامس بطريرك الاسكندرية للروم الأرثوذكس

الأسقف مكاريوس رئيس جمهورية قبرص فى الوسط وعن يساره الأنبا اسبريدون مطران رودس وعن يمينه الأنبا بورفوريوس رئيس أساقفة سيناء

المطران الروسى نموذجاً من العاج يمثل كنيسة جميلة مع طاقم قهوة وسواراً من الذهب . ثم قام المطران بتحية ضيوفه فقدم لجلالة ملك اليونان أيقونة من الذهب وصليباً نفيساً ، كما أعطى صليباً ذهبياً لكل من الرئيس مكاريوس والمطارنة الآخرين .

وبعد أن تناولوا طعام الإفطار قاموا بجولة بين معالم سيناء التاريخية الشهيرة ثم عادوا إلى بلادهم مودعين بالحفاوة والإجلال من السيد الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ورجال حكومته الأجلاء الذين أشرفوا بأنفسهم على تسهيل المواصلات والعناية بضيوفهم أثناء الرحلات .

مصادر الكتاب

تاريخ بطاركة الأسكندرية للأنبا ساويروس أسقف الأشمونين

تاريخ الكنيسة القبطية للشماس منسى يوحنا

تاريخ الأمة القبطية وكنيستها للسيدة بوتشر

الخريدة النفيسة فى تاريخ الكنيسة للأسقف إيسيذوروس

تاريخ الأمة القبطية ليعقوب نخله روفيلة

تاريخ وجداول بطاركة الأسكندرية للشماس كامل صالح نخله

تاريخ الباباوات للشماس كامل صالح نخله

تاريخ الكنيسة الرسولية الأورشليمية لخليل ابراهيم قزقيا

تاريخ الكنيسة السريانية الأنطاكية للبطريرك مار أغناطيوس يعقوب الثالث

اللؤلؤ المنثور فى تاريخ العلوم والآداب السريانية للبطريرك مار أغناطيوس افرآم الأول برسوم

تاريخ الأنبا صموئيل للشماس نصيف فانوس

السريان فى القطر المصرى للقس اسحق أرمله

السوريون فى مصر للقس بولس قرآلى

تحفة السائلين فى أديرة المصريين للقمص عبد المسيح صليب المسعودى

دير السيدة العذراء برموس للقمص أنطونيوس البرموسى(١)

فى صحراء العرب والأديرة الشرقية لزكى تاوضروس ولبيب حبشى

وادى النطرون وأديرته للأمير عمر طوسون

الخطط المقريزية للشيخ تقى الدين أحمد المقريزى

بلوغ المرام فى تاريخ خليفة الأنبا ابرام للقمص عبد المسيح واصف(٢)

---

(١) حالياً الأنبا ديسقوروس أسقف المنوفية

(٢) هو المتنيح الأنبا لوكاس مطران منفلوط

أديرة وادى النطرون للدكتور منير شكرى

دليل المتحف القبطى لمرقس سميكه باشا

المدخل الشرقى لمصر تأليف عباس مصطفى عمار

صحارى مصر للدكتور عبد الحميد منتصر ومحمد القصاص

الطرفة النقية من تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية للخورى عيسى أسعد

الشهيد مار مينا ـ طبع الأسكندرية

رسالة المحبة مقالات للمؤلف عن أديرة وادى النطرون

هذا وقد ساعدنا البعض فى ترجمة بعض الأخبار من الكتب الأجنبية الآتية :

أديرة وادى النطرون لإيفلين هوايت

تاريخ كنيسة الأسكندرية للراهب فانسليب الدومنيكى

مذكرات الجنرال أندريوسى الفرنسى

الأديرة القبطية للسيد شستر

رحلة إلى مصر للسيد جرانجر

رحلة الدوق دى راجوس

فردوس الآباء لبلاديوس

الكنائس والأديره القبطية لألفريد بتلر

دائرة المعارف اليونانية

مكتبة دير السيدة العذراء (السريان)

فهرست الكتاب

	صفحة
صورة قداسة البابا	٣
إهداء الكتاب	٥
الصحراء الشرقية والحياة الرهبانية	٦
دير مار أنطونيوس	١٣
دير الأنبا بولا	٤٩
وادى النطرون والأديرة الغربية	٦٩
دير القديس مكاريوس	٩٤
دير الأنبا بشوى	١١٨
دير السيدة العذراء بالسريان	١٣٩
دير سيدة برموس	١٨٣
دير السيدة العذراء بالمحرق	٢٠٣
دير الأنبا صموئيل	٢٢٣
دير مار مينا	٢٣٦
دير القديسة كاترين بسيناء	٢٥٤

أديرة الراهبات

كانت كثيرة فى عهد الرهبنة الزاهر، ولكنها تخربت فيما بعد بسبب العوامل التى لحقت بأديرة الرهبان ولم يبق منها غير خمسة أديرة بمدينة القاهرة هى :

دير السيدة العذراء بحارة زويلة

دير مار جرجس بحارة زويلة

دير الأمير تادرس بحارة الروم

دير مار جرجس بمصر القديمة

دير الشهيد مركوريوس الشهير بأبى السيفين بمصر القديمة

شكر

يتقدم المؤلف بعد حمد الله تعالى بشكر السادة الأجلاء الذين ساعدونا فى طبع هذا الكتاب وأمدونا بالصور والكليشيهات وفى مقدمتهم نيافة الحبر الجليل الأنبا ثاوفيلوس أسقف دير السريان وقدس الأب النبيل القمص متى رئيس دير الأنبا أنطونيوس والسيد المحترم الأستاذ عزيز جاد الله التاجر المعروف بالقاهرة أجزل الله ثوابهم وبارك خدماتهم النافعة .

تصحيح الخطأ

خطأ	صواب	سطر	صفحة
السوبس	السويس	٧	٦
نظيرتها	نظيراتها	١٧	٥٥
انقضت	انقرضت	٢	٥٧
سبعة وثلاثين	سبعة وثلاثون	١٩	٥٧
كانوا	كانا	٧	٦٠
نشترك	تشترك	٢٠	٦٠
١١ يوليو	١٧ أكتوبر	٨	١٦١
١٩٤٢	١٩٦٢	٢	٢١٨
لنسوية	لتسوية	٦	٢٢٨

كان الفراغ من طبعه يوم الخميس الموافق
٦ بؤونة ١٦٨٤ ـ ١٣ يونية ١٩٦٨